المكتبة التاريخية

التنبيه والإشراف

للعلامة المؤرخ الجغرافي أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي

المتوفى سنة ٣٤٥ هـ

المكتبة التاريخية

التنبيه والإشراف

للعلامة المؤرخ الجغرافي أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي

المتوفى سنة ٣٤٥ هـ

عني بتصحيحه ومراجعته

عبد الله إسماعيل الصاوي

وقد ذيله بفهارس قيمة وهي :

١ » فهرس الموضوعات ٢ » فهرس الأعلام ٣ » فهرس الجماعات

٤ » فهرس الأماكن والبقاع

يطلب من مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها

لصاحبها عبد الحميد سالم

١١٨ شارع محمد علي (أمام دار الكتب الملكية) بمصر

١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف بشارع درب الجماميز ١٠٢ بالقرب من باب الخلق بالقاهرة

تقدمة

ما أظنني فى حاجة الى التعريف بمؤلف هذا الكتاب ، فقد وقف العلماء من مؤلفه القيم « مروج الذهب » على رجل الدنيا وعلامتها

وإن فى مروج الذهب لغناء للناس عن أن يتساءلوا عن فضل الرجل وعلمه الواسع ، وإحاطته التى لا حد لها ، مع فقهه وأمانته فيما ينقل من أخبار

ولن نصل من استعراض كتابيه «مروج الذهب» و« التنبيه والاشراف » على أقل من أنه : عالم ، فلكى ، حاسب ، جغرافى ، فقيه ، محدث ، جدلى ، نظار ، ديانى ، مؤرخ ، ناسب ، أخبارى ، فيلسوف ، أديب . راوية

وأنه كان ملماً بعدة لغات كثيرة كالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسريانية ، وكان ذا حظ وافر من مختلف الثقافات التى وصل إليها علم الانسان منذ بدأ الله الخلق إلى عصر المسعودى

وهوغريب فيما ينقل ، مبدع فيما يصف ، قصاص بارع ، ذو أسلوب جذاب ، وعبارة ممتعة ، وقد تتلمذ له كثير من العلماء والمؤرخين ، وأكثروا من النقل عنه والتوثيق له

وهو كثير التنقل بالقارىء من تاريخ إلى علم إلى فقه إلى أدب وشعر إلى فلسفة إلى نقد ، الى غير ذلك ، مما يدل على أنه ذو ثروة علمية فذة

*
* *

ويظهر أن الثروة العلمية التى امتاز المسعودى بها لم يدونها كلا فى كتابيه هذين ، فحسب بل بعثرها فى كتبه ، وفرقها بين مصنفاته ، تفرقة عادلة ، وقسمة راعى فيها أن يكون فى كل مؤلف منها ما يحببه الى القراء ، ويرفع قدره ومنزلته بين العلماء .

فكثيرا ما يرى الباحث فى كتب المسعودى أنه يعرض إلى إجمال بعض الموضوعات الطريفة ، والأحاديث الغريبة ، فى مختلف العلوم والفنون فى هذين الكتابين ، يلم بهإلمامة سريعة ، ثم يذكر أنه بسطه مفصلا ، وذكره بتمامه فى كتاب من كتبه ، فلا يزال الباحث يبحث عن ذلك الكتاب ضمن ما طبع أو مالم يطبع ، وربما دعاه الشوق إلى البحث فى مكاتب أروبا والمكاتب العامة والخاصة

ثم لا تكون نتيجة هذا البحث إلا الخيبة والفشل والتحسر الدائم على ما فقد وضاع من تراث الآباء

ذلك كان موقفى حين قرأت مروج الذهب للمسعودى لأول مرة ، ولطالما أمضيت الأيام فى البحث ، وأضنيت النفس فى التنقيب عن كتبه ولا سيا عن كتاب أخبار الزمان الذى هام به العلماء ، لافراط المسعودى فى تقريظه ، وإلماعه بما تضمنه من علوم وأبحاث مفيدة — اعتقدت أن فى العثور عليه أشباعاً لرغباتى العلمية ، بل ظننت أن سعادة العالم رهينة بما قد ضمنه ذلك الكتاب من حلول لمسائل علمية معقدة ، ومشكلات لم يصل العلم الى حلها ، ولا سيا مسائله الفلسفية ، وما وراء الطبيعة ، وأخباره الظريفة

ولم أكن فريداً فى الشعور بتلك الحالة ، بل ذلك شأن كل من يقرأ كتب المسعودى ، أو يلم بها بعض الالمام

ولقد حدثت أن مستشرقاً استهواه علم المسعودى ، وأسلوبه الجذاب ، وفتنته إحالاته العجيبة ، فبحث أولا بنفسه ، ثم لجأ الى حكومته فأمدته بالمال ، وظل يبحث ويتابع البحث ، حتى عثر على نسخة من كتاب أخبار الزمان فى بلاد شنقيط بصحراء أفريقية ، فرام شراءها ، وبذل فيها ثمنا عاليا ، فما سمحت انفس الشناقطة ببيعها ، ولا رضوا أن يستبدلوها بالذهب الوفير

فلما أعياه شراؤها عرض عليهم أن يصورها بالفتوغرافيا نظير مبلغ من المال جسيم ، فما أعاروا عرضه ذلك التفاتا ، بل منعوه النظر اليها والاستمتاع بها

فرحل عنهم ، حقبة من الدهر ، ولما استيقن أن القوم قد أنسوا شخصه ، وما كان قد جاء لأجله ، عاد اليهم خائفا يترقب ، وقد عزم على استنساخها فاكترى رجلا منهم عهد اليه باستنساخها

لكنهم إذ فطنوا إلى الأمر ، لم يجدوا جزاءا لهذا المستشرق ـ الذى أحب العلم ، وضحى بوقته وراحته ولذاته فى سبيله ، واستمات فى تحقيق فكرة يصل نفعها إلى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ـ إلا القتل ، فذهب ضحية إحالات المسعودى والبحث عن كتبه !

وكتابا المسعودى يمثلان العصر الذهبي للاسلام ، والثقافات العالية، التى وصل إليها العلماء ، وهما جديران بأن يستصحبا وأن لا يملا، وأن يحرص عليهما العلماء والمتأدبون

ولقد حرصت الحرص كله على أن أكون سباقا الى طبع هذا الكتاب ، براً بالمسعودى وغيرة على كتابه هذا !

وقد أحصيت كتبه التى ذكرها فى كتاب مروج الذهب ، وكتاب التنبيه والاشراف وأحال عليها وأنا أثبتها فيما يلى :

(كتبه التى أشار اليها فى كتابه التنبيه والاشراف)

١ كتاب أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية، والأجيال الخالية ، والممالك الداثرة

٢ الكتاب الأوسط

٣ كتاب مروج الذهب، ومعادن الجوهر ، فى تحف الاشراف من الملوك وأهل الديارات

٤ كتاب فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف
٥ كتاب ذخائر العلوم ، وما كان فى سالف الدهور
٦ كتاب نظم الجواهر ، فى تدبير الممالك والعساكر
٧ كتاب الاستذكار ، لما جرى فى سالف الأعصار
٨ كتاب التنبيه والاشراف ، وهو هذا
٩ كتاب نظم الاعلام ، فى أصول الاحكام
١٠ كتاب نظم الأدلة ، فى أصول الملة
١١ كتاب المسائل والعلل ، فى المذاهب والملل
١٢ كتاب خزائن الدين ، وسر العالمين
١٣ كتاب المقالات ، فى أصول الديانات
١٤ كتاب سر الحياة
١٥ رسالة البيان فى أسماء الأئمة
١٦ الأخبار المسعوديات
١٧ كتاب وصل المجالس
١٨ كتاب تقلب الدول ، وتغيير الآراء والملل
١٩ كتاب الابانة ، فى أصول الديانة
٢٠ كتاب مقاتل فرسان العجم
٢١ كتاب الصفوة فى الامامة
٢٢ كتاب الاستبصار فى الامامة

كتبه التى انفرد بذكرها فى كتاب مروج الذهب والاحالة اليها

٢٣ كتاب المبادىء والتراكيب
٢٤ كتاب الرءوس السبعة

٢٥ الزاهى
٢٦ كتاب الدعاوى
٢٧ كتاب الاسترجاع
٢٨ كتاب مزاهر الاخبار ، وظرائف الآثار
٢٩ كتاب الرؤيا والكمال
٣٠ كتاب طب النفوس
٣١ كتاب حدائق الأذهان ، فى اخبار الرسول
٣٢ كتاب القضايا والتجارب
٣٣ كتاب الواجب ، فى الفروض اللوازم
٣٤ كتاب الزلف

ويظهر أن كتبه هذه كلها قد ضاعت ولم يقف العلماء على شىء منها سوى :

(١) مروج الذهب وقد طبع عدة مرات فى جزءين ، وطبع أخيرا فى أربعة اجزاء باشر مراجعتها الأستاذ العلامة الشيخ محمد محيى الدين المدرس بكلية اللغة العربية ، فالله يتولى جزاءه وحسن مكافأته

وعنى المستشرق باربيه دى مينا بنقله الى اللغة الفرنسية وطبع فى باريس سنة ١٨٧٢ فى تسعة اجزاء

وفى مجلة الضياء (السنة الثانية) مقال للاستاذ عبد الله المراشى ينقد فيه هذه الترجمة كما نقله الى الانكليزية العلامة المستشرق سبرنجر

(٢) كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ، من الأمم الماضية والممالك الداثرة ـ يقرب من ثلاثين مجلدا ، والمسعودى يكثر من الاشارة اليه ، وهذا الكتاب لا يوجد منه الا جزء واحد فى مكتبة فينا

وفى المكتبة الملكية بالقاهرة كتاب بهذا الاسم ، مصور عن نسخة فى

المكتبة الأهلية ، بباريس فى جزء واحد تام

وهو كتاب يحوى كثيرا من غرائب العالم وعجائب المخلوقات ، وطرائف الأخبار عن سالف الأمم من آدم والأنبياء من ولده والملوك والكهان والحكماء والطلسمات والهياكل والبرابى والسحرة والجن وما حدث من الكوائن العظام كالطوفان وغيره مع ذكره عجائب الجزائر والبحار منذ أنشأ الله الخلق

(٣) كتاب التنبيه والاشراف وهو هذا ، وقد طبع قبل ذلك فى ليدن سنة ١٨٩٤ وهو الجزء الثامن من المكتبة الجغرافية التى عنى بنشرها العلامة المستشرق «دى جوجي» وقد علق عليها وذيلها بملاحظات كثيرة واقتصرت على النافع منها

وهو يذكر فى مقدمته أن المستشرق ساكى كان قد علق عليها قبل ذلك فى عام ١٨١٠ وراجعها

وهو يحوى لما من ذكر الأفلاك وهيئاتها ، والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها وأقسام الأزمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والأرض وشكلها ومساحتها والنواحى والآفاق وتأثيرها على السكان وحدود الأقاليم السبعة والعروض والأطوال ومصاب الأنهار وذكر الأمم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم وأخبارهم وجوامع تاريخ العالم والأنبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته وسنى هجرته وسير الخلفاء الراشدين والخلفاء من بعدهم ، مع التعرض إلى ذكر من كان فى عهدهم من ملوك الروم والأفدية التى حدثت فى أيامهم فى عهد الراشدين والأمويين والعباسيين وتكلم على الخلفاء جميعا إلى سنة ٣٤٥ وهي السنة التى مات فيها وقد تعرض الى ذكر طرف عن ملوك الأندلس

(٤) الكتاب الأوسط ، ويوجد فى مكتبة أكسفورد نسخة يظن أنها هو كما يظن بعض الباحثين أنه وقف على أجزاء منه فى بعض مكاتب دمشق

موجز عن حياة المؤلف

هو أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى[1] ، يتصل نسبه بعبد الله ابن مسعود الصحابى الجليل ، ومن ثم أطلق عليه المسعودى

فأما منشؤه فان الثقات من المؤرخين يروون أنه نشأ فى بغداد ، على ان ابن النديم يروى انه من أهل المغرب فلعله شخص آخر ، أو لعل بعض اجداده نزحوا إلى المغـرب

والمسعودى نفسه يذكر فى موضعين من مؤلفاته فى التنبيه والاشراف وفى مروج الذهب أن العراق موطنه وقد أكثر من الحنين إليه وأغرق فى الثناء عليه وابن خلكان يذكر ان عداده فى البغداديين

وعلى أية حال فقد قضى زهرة شبابه فى بغداد ، ولـكنه غادر أقليم العراق بمحض إرادته ، وإرضاء لميوله وأذواقه، ورغبة منه فى التجول ؛فخرج عن بغداد سنة ٣٠١ ليقوم برحلة قيل إنها استمرت ثلاثة اعوام ، وقد قضاها متنقلا بين ربوع فارس وكرمان

ثم بعد أن جاب بلاد الهند وصيمور قطن أخيرا فى مـدينة بومبـاى حتى سنة ٣٠٤ ومن المحتمل ان يكون قد اقام حينئذاك فى جزيرة سيلان

ومن ثم وصل الى مدينة عمان ، ويمكن ان نستنتج أنه ذهب إلى قناطر ماليسية العجيبة العظيمة ، وشارف الصين

ومع أنه خاطر بتلك الرحلة وخصص لها نفسه ووقته ،فانه تعمق فى دراسات

---

١) جاء اسمه فى ديباجة كتابه أخبار الزمان هـكذا : أبو الحسن على بن الحسين بن على بن عبد الله الهذلى المسعودى ، وفى نسخة أخرى الهلالى ويظهر أنها محرفة

الحدود الاسلامية، واستعان على ذلك بالآلات العلمية التى كانت معروفة ابان حياته

وهو يحدثنا انه كان فى سنة ٣١٤ فى فلسطين فى انطاكية ، ويظن ايضا انه قضى السنوات العشرة التى بين رحلته الأولى واقامته هذه فى فلسطين متنقلا بين العراق وسوريا ومصر

ثم هو يحدثنا بعد انه كان فى سنة ٣٣٦ قد أتم تاليف كتابه مروج الذهب فى فسطاط مصر، وكان قد بدأ تأليفه سنة ٣٣٢

ويذكر كذلك انه فى سنة ٣٤٤ كان يشتغل بوضع النسخة الأولى من كتاب التنبيه والاشراف فى الفسطاط نفسه ؛ ثم فى سنة ٣٤٥ زاد فيها واصلحها

ويظهر مما ذكره من الكتب التاريخية فى كتابه «مروج الذهب، والتنبيه والاشراف أن المكتبة العربية التاريخية فى عصره كانت غنية جداً عامرة بالمؤلفات فقد أورد فيهما عددا وفيرا من أسماء الكتب وأسماء المؤلفين

والمؤرخون يذكرون انه توفى فى سنة ٣٤٥ وبعض يقول فى ٣٤٦ والخطب يسير ، لكنه يجل حين نذكر ان ذلك العالم المورخ الكبير الذى عاش معنيا بالعالم وبالعلم وبالتاريخ والمؤرخين اهمله التاريخ ، فلم يذكر المؤرخون شيئا من نعوته ولا من تاريخ طفولته أو حياته

ولكن يكفينا عزاء بقاؤه حيا فى بطون ما بقى من كتبه تعمر به قلوب العلماء وصدور الاجلاء ، فرحمه الله رحمة واسعة ؟

القاهرة « درب الجماميز ١٠٣ »



استدراك على الطبعة الأروبية

سيجدالناظر فيأثناء طبعتنا الجديدة هذه العلامة* بحذاء بعض الكلمات، وقد وضعت لتدل على أننا عدلنا عن الطبعة الأروبية فيها، لأنها خطأ إما لمخالفة المعنى أوالعربية أو بعض النصوص — وفى بعض الأحيان نضعها بجوار كلمة بدون تغيير لأن لنا رأيا فيها أو فى تصويبها ، نذكره فى هذا المستدرك

وسيرى المطلع ايضا نفس العلامة فى هذا المستدرك موضوعة بحذاء الكلمات التى وقع فيها خطأ فيهذه الطبعة فنحن إذن نستعملها فى هذا المستدرك بدلا من كلمة الصواب

والرقم الكبير فى مستوى الكتابة هو رقم الصفحة ، والصغير فى الأعلى يشير إلى رقم السطر ، وهذه هى نصوص العبارات التى كانت فى الطبعة الاروبية و(ن) اشارة إلى نسخة أخرى

(٢)[١٠] الاروبية طباعية وقد كتبناها كما وردت فى نسخة أخرى[١٢] ومائية وهذا لا معنى له ٣[١٧] ما ينفون ، وهو أيضا لا معنى له[١٨] المعضلة ٤[٦] الاصطقص كلمة يونانية معناها يقرب من الذرات وقد رسم بعدة أشكال فى الكتب العربية فكتب (استقصات) و (اسطقصات) و (اصتسات) ٦[١٠] بالرقتين والمحفوظ عن ديوان أبى تمام بالرقمتين ، وهما صحيحتان ١٣[١٦] وعشرين تمضى ، وقد زدنا يوما للحاجة اليها ١٧[٤] فحملت مثلها نسيم الدبور ، وهو لا يستقيم عروضا[٨] ولما لم يبين وفى ن لما تبين ، وكلا الرسمين لا يوافق العربية ١٨[٨] بتنسيقها ، وهذا التصحيح عن نسخة أخرى ١٩[٤] والظرائف بالظاء المعجمة ٢٠[١٥] لما يستجر والاستجرار لا معنى له ٢٣[١٠] كلمة يكون زدناها للزومها عربية ٢٤[٨] الاقليم لسابع ، ولما كانت كلمة السابع قد جاءت فى الأروبية أول السطر ، فقد توقعنا أن الألف

سقطت أثناء الطبع ٢٥ [٢] بالسوداء ، وهو لامعنى له ٢٧ [١٠] ذوالأصوات وهوخطأ عربية [٣] كثيرة ، وماذكرناه عن نسخة أخرى ٣٢ [٨]* والتبط : صوابها النبط ٣٣ [٤] إذ خلق ، والعبارة بهذه الرواية لا معنى لها [١٥] هربذ ، وفى القاموس الهرابذة ٣٦ [٦] وخمسون ألف والصواب عربية ما اثبتناه [١١] سبعة ، وهو غير مفهوم عليها ولا صحيح ٣٨ [٨] ويعزز علينا وهو خطأ واضح [١٣] ن طرخت [١٤] طرتَ وهى خطأ [٢١] البلدان ، والمعنى عليها ضعيف ٤١ [٥] واخفائها ، وهى غيرمناسبة ٤٢ [١]* الصواب سنة ٢٤٨ ، [١٧] احد ٤٣ [٧] المصمد مينا [١٨] ترمى ٤٤ [١٨] ويظل ٤٦ [١٥]* آخذا [٢١] ن المعمول ٤٨ [٤] الصواب : يجتمع ٥٠ [٢٠]* يكون ٥٤ [١٢]* الاطمة النائية [١٨] مختلف والمعنى لا يستقيم ٦٥ [١٩]* ألف ٦٧ [١٤] يحدث ٦٨ [١]* طبرستان ٧٢ [٤] سنخنا ٧٣ [٥]* وتشعبت ٧٥ [٤] أنسابهم ٧٧ [٨] دع مدح دارجنا أو انتهى ٧٨ [٤] آباء [١٠] بزموم [١٤]* بالجزيرة ٧٩ [٧] ن القنان ، وفى مروج الذهب انقياد [٨] رواية الشهنامة افراسياب بن يشنك ، بطل التورانيين ملك ٢٠٠ سنة : وبعضهم يقول ٤٠٠ سنة ٨١٠ [١٣] الطيبةوالخير وفى ن والحيرة ٨٢ [٣]* على ملكهم [٧] اسبندياذ ، ن اسندياذ واسفنديار عن نسخة أخرى ، وعن الشهنامة وشروحها [١٠]* فى هؤلاء ٨٣ [٦]* الجبار [١٠] زيادة عن ن ٨٧ [٤] اسبندياذ [٧]* داعيته كما فى نسخة اخرى [٢٠] هرمز ٨٨ [٢] زيادة عن كتب التاريخ ٨٩ [١٩] الصواب حذف العلامة ٩٠ [٩]* خراسان [٢١] وهو موبذان موبذ ٩١ [١٦]* اسفنديار ٩٢ [١٤] ن اسبنديار ، اسبندار ٩٣ [١٠] العجمية ، ن العظيمة ٩٤ [٥] آثينهم ون ابنهم [٢٢] جرير بن الخطفى ٩٥ [١٠] عودا [١١]* نبالى ٩٦ [٦] باطنة عصرنا ، ن ماظنه [٨] واعراض [٩] آخذنا ، ن بما أخبرناه ١٠٥ [١١] الأولى وفى ن الاولى والثانى ، وقد رسمناها الاوالى بمعنى الاوائل لموافقته الثوانى ، وهى عربية وردت فى شعر المتنبى :

يدفن بعضنا بعضا ويمشى أواخرنا على هام الاوالى

تتمة

١٠٦[١٠] بن لاون ١٠٩[٦]* الاسرائيليين مع حذف العلامة ، وكنت اثبتها لأن هذه الكلمة وردت كثيرا محذوفة الياء الأولى ١١١[٥]* اسباسيانوس ١١٣[٩]* ابرديصان [١٦] والخلص ١١٤[٤] اسبندياز ١٢١[٢٢]* للروم ١٢٣[١١] فاخفاها بلبه ، ن فاحضاها ثانية [١٩] جملا [١٤] المظل ١٢٤[١٢] غلظ ١٢٦[٥]* قسطنطينية [٨] قورلس ، ن قرلس وتكرر فى موضع آخر قورلس ١٢٧[١٠] ألموتة ١٢٨[١٢]* بطريك ١٣٢[١٩] وكتاب ١٣٤[١٥] وملأه ١٣٥[٩] فناق ، ن ، ماق والتصحيح عن القاموس بالرسم ١٣٨[٢] والشمنية ، ن والتسمينة والتصحيح عن البيرونى ـ لصين ١٣٩[١] كتابه ١٤٠[١٤] وما أباده ، وهى رواية جاءت فى ديباجة كتاب أخبار الزمان فى الورقة الأولى من المصورة والمخطوطة ، وهى غير مشهورة ١٤٥[٩] تفنى [١٦] ثمانى وعشرين ١٤٧[٥] بطريرخا ، ن بطريق ، ن بطرقا ، ن بتركا [٧] طيماثاوس [٩] البطريرخ [١٢] البطريرخ ١٤٨[٤]* بالموكل ١٥١[١] فى ياقوت الناطلين وضبطه بضم الطاء [١٤] ميل ١٥٢[١٦] والهم و ن واليهم ١٥٤[١٥]،[١٩] الافرنجية ١٥٧ [١٥] انظر اللسان فى المواد سمأل ، تبع ، نفض [١٨] المرنجج ، انظر اللسان مادة حمر ١٥٨[١٤] لتكفو [١٩] الرواية المشهورة شب عمرو [٢٠] ابنة عامر بن ضرب والتصحيح عن كتب الأمثال والقاموس ١٥٩[٨] ابو داود جارية والتصحيح عن القاموس [١٢] وأهلُ ـ يحتمل أن تكون متنزرينا ولو أن المعنى مأخوذ من قوله من نزار ١٦١[٢١] ن الصواريف ١٦٢[٩] وأبى مسلم ١٦٤[٤] وبشر ١٦٥[٣]* بشر الثملى [١٩] فالى ماوصلا اليها ما كاتب نصر الثملى ١٦٩ [١٢]،[١٣]،[١٤]* يزدجرد ١٧٠[١٢] مآب ١٧٢[١١] اسبندياذ ١٧٣*(رقم الصفحة)١٧٥[١٩] مشقة ، ن مسقه ١٧٧[٦] لعله الفضا ١٧٩[١٠] منفرقهم ، ن منصور فهى ١٨٧[٤] بعد العام ، وهذا عن ن بالهامش ١٨٨[١٩] وشابه ، ن شانه ١٨٩[٣] اجتمعت لا موضع [٤] منكراً ، ن منكسراً ١٩١[١٣] الكلدانيين ١٩٥[٨] أبنائه الكائنات [١٩] تجاوز وهذه عن ن بالهامش

١٩٦[٢]الموزون ، ن الموثور ١٩٧[٤]وبنى المطلب بن عبد مناف ٢٠٠[٢]وخروج بنى
هاشم بنى المطلب ٢٠١[١٧] الانصارى ٢٠٢ [٣] ثم غزوة رسول الله [١٩] بدر
٢٠٣ [١] الاخيرة[١٠]* ابن عامر ٢٠٤[٤]* وهى بدر ٢٠٥[٤]مثل ذلك رجالا[٨]لمرض ،
إذ لم تكن السيدة رقية ماتت عند التأهب للغزوة ، ولكنها ماتت بعد ذلك ،
فالمرض هو المانع [١٣]رياح ، ن رزاح ٢٠١[٤]بجران ، ن نجران ، والتصويب عن
معجم البلدان لياقوت [٩] أمر ٢١١ [١٥] ففاته ٢١٥ [١٣]* ولما هبطنا بطن مر
٢١٩[١٢]* زيد بن حارثة ٢٢١[٤]* والعرنيون ٢٢٦[٥] ففلوا [٢٠] أصمخة بن أفخرة ،
والتصحيح القاموس[٢١]أخا والتصحيح عن معجم ياقوت ٢٢٧ [٣] الفرقب النونى ،
والمقرقب الصواب فأما نونى فيحتمل اليونانى كما فى تاريخ الكندى ٢٣٣[٨] بن صبابة
والتصويب عن القاموس ٢٣٤[١٧]متضمنة[١٨]لعل الصواب فيما أرى : فلم يتعد
ذلك ـ وهذا هو المشهور عند الامام مالك فقد حكى عنه أنه قال يضمن فيما
يغاب عليه إذا لم يكن على التلف بينة ولا يضمن فيما لا يغاب عليه ولو قامت
البينة على تلفه (ص ٢٦٣ بداية ابن رشد) ٢٤١[١]باذام ، ن باذان[٩]مدحج
٢٤٢[٤]الصواب التسع الغزوات [١٤]ثمانى وأربعين ٢٤٣[٢]بهذه [٦]المعروف
سالف [٩]* الصواب حذف العلامة [١٣]الخشخاش الجيش العظيم [١٤]انظر فقه اللغة
للثعالبي ٢٤٤[٢]ليسوا الجيش وهذه عن ن بالهامش[٣]الكثير ٢٤٥ [٣]معمول
[٦]فيدعه ٢٤٦[٧]ذ كره الجهشيارى هكذا : حنظلة بن الربيع بن الموقع بن صيفى
ابن اخى أكثم بن صيفى [١١] فى الجهشيارى امرأته [١٤] فيه أيضا وجدى
٢٤٧[٤] ن وهم فى التعدد ، ن وهم العدد ٢٤٩[١٠]حاذة[١١]أفيمية ٢٥١[٩]رفمة ٢٥٢[١١]ن
اخر عحيه ، محص ٢٥٤[١١]ن وأما ٢٥٥[١٥]ثمانى ٢٥٧[٤]اليحسبي ٢٥٨[٦]فى الطبرى
عبد الله [٩]عبد الله بن ثعلبة [١٠]الدول ـ ن عمرو [١٣]ن حرام ٢٦١[١٨]لم يبق
يتوقف [٢١]خشين ٢٦٣[١٦]وأجز [٢١]وصار ٢٦٧[٥]يأبون بضم الباء وهو خطأ

عربية ٢٦٨[٢] فى حماسة البحترى : صدعا بيننا[٦] الصواب حذف العلامة[٨] أجريت الدموع البواديا [١٥] الدين [١٨] الصواب ردعت ٢٧٢[٢٢]* رتبيل ٢٧٣[١٢] لعل الصواب فتعوزه السلامة ٢٧٨[٤] فى الاغانى عباس[٥] فى الطبرى شرحبيل وفى ن عون ، عوف [٦] فى فهرس الاغانى القرفل [١١] لعل الصواب نزير ٢٨٠[١٣] فتذكر ٢٨٤[٩] فى العقد الفريد صقلا ، ن صقلان ٢٨٧[٦] مسيرة [٧] الد ف ٢٩٠[٦] ن الزيع ، ن الربع[٩]* عبد الملك ٢٩٨[٣]* ذكوان ٢٩٩[١٤] نبيها على الأمور ٣٠١[١٩] خفيا [٢٣]* طاهر ٣٠٥[١٤] وكان الفتح ، وأسر بابك ٣٠٦[١٠] وما جرت ٣٠٩[٣] سامراى ٣١٠[٩] فى البلاذرى المباق ، وفى ياقوت البقة[١٧] بابلون [١٩] بن الحكم المصرى ٣١١[٥] أن استمامه ـ وبنى فيه وقد كتبناها عن ن بالهامش ٣١٣[١٢] الاستبدال ٣١٤[١] وكان سليما مجيبا [٢] وضعت ٣١٧[١١]* ونسبه [١٣] وطلب صالح ٣١٨[٨] هذبا ٣١٩[٦] فى ن باصطريذ ؛ فى ن اخرى باضطريد ٣٢٢[١٠]، [١١]، [١٢] بياض بالأصل [١٨] فبايع ٣٢٣[٥] ، [٦] بياض فى الأصل ٣٢٧[٦] ن انات ٣٢٨[١٢] خاصته وصنائعه* ٣٣٠[١٦]* حمدان ٣٣١[١٢] فسبقه ، وحازها ٣٣٢[٥٣]* وكان مؤنس الخادم ، ونصر الحاجب [١١] ابن هبيرة [١٨] ابن أبى الساج ٣٣٤[٢٢]* وتأزيرات ٣٣٥[١٩] بياض بالأصل ٣٣٩[٣]* ابن نفيس[٩]* أصبهان ٣٤٠[٢١] ن نارى والأصح ماذكرناه وهوتبلى والتبل الثأر ٣٤٢[١]* القطيفيين ٣٤٣[١٤]* ابن أبى عون ٣٤٧[٥] والغور فى ايامهم ٣٤٨[٦] ومنه ، وقد اصلحناها كما هناك لتفيد معنى ، ولتناسب الجملة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

ذكر الغرض من هذا الكتاب

قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (أما بعد) فانا لما صنفنا كتابنا الأكبر فى (أخبار الزمان ومن أباده الحدثان) من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، وشفعناه بالكتاب الأوسط فى معناه ثم قفوناه بكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) فى تحف الأشراف من الملوك وأهل الدرايات ثم أتلينا ذلك بكتاب (فنون المعارف ،وما جرى فى الدهور السوالف) وأتبعناه بكتاب (ذخائر العلوم ، وما كان فى سالف الدهور) وأردفناه بكتاب (الاستذكار لما جرى فى سالف الاعصار) ذكرنا فى هذه الكتب الأخبار عن بدء العالم والخلق وتفرقهم على الأرض والممالك والبر والبحر والقرون البائدة ، والأمم الخالية الدائرة الأكابر كالهند والصين والكلدانيين ـ وهم السريانيون ـ والعرب والفرس واليونانيين والروم وغيرهم ، وتاريخ الازمان الماضية والاجيال الخالية والأنبياء وذكر قصصهم وسير الملوك وسياساتهم ومساكن الامم وتباينها فى عبادتها ، واختلافها فى آرائها وصفة بحار العالم وابتدائها وانتهائها واتصال بعضها ببعض ومالا يتصل منها وما يظهر فيه المد والجزر وما لا يظهر ، ومقاديرها فى الطول والعرض وما يتشعب من كل بحر من الخلجان ويصب إليه من كبار الأنهار وما فيها من الجزائر العظام وما كان من الارض براً فصار بحرا ، وبحرا فصار براً على مرور الأزمان وكرور الدهور ، وما قاله حكماء الامم فى كيفية شبابها وهرمها وعلل جميع ذلك ، والأنهار الكبار ومبادئها ومصابها ومقادير

مسافاتها على وجه الأرض من ابتدائها إلى انتهائها، والاخبار عن شكل الأرض وهيئتها وما قالته حكماء الامم من الفلاسفة وغيرهم فى قسمتها ، والربع المسكون منها وحدبها وأنجادها وأغوارها وتنازع الناس فى كيفية ثباتها وتأثيرات الكواكب فى سكانها ، واختلاف صورهم وألوانهم وأخلاقهم . ووصف الاقاليم السبعة وأطوالها وعروضها وعامرها وغامرها ومقادير ذلك ، ومجارى الأفلاك وهيئاتها واختلاف حركتها ، وابعاد الكواكب وجرامها واتصالها وانفصالها وكيفية مسيرها وتنقلها فى أفلاكها ومضاداتها اياها فى حركاتها ووجوه تأثيراتها فى عالم الكون والفساد التى بها قوام الاكوان ، وهل أفعالها على المماسة أم على المباينة عن ارادة وقصد أم غير ذلك وكيف ذلك وما سببه؟ وهل حركات الافلاك والنجوم جميعا طباع أم اختيار؟ وهل للفلك علة طبيعية* فاعلة فى الأشياء المعلولة التى هو مشتمل عليها ومحيط بها والنواحي والآفاق من الشرق والغرب والشمال والجنوب . وما على ظهر الأرض من عجيب البنيان ، وما قاله الناس فى مقدار عمر العالم ومبدئه وغايته ومنتهاه ، وعلة طول الأعمار وقصرها وآداب الرياسة وضروب أقسام السياسة المدنية ؛ الملوكية منها والعامية ، مما يلزم الملك فى سياسة نفسه ورعيته . ووجوه أقسام السياسة الديانية ، وعدد أجزائها ، ولأية علة لابد للملك من دين ، كما لابد للدين من ملك . ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه ، ولمَ وجب ذلك وما سببه ؟ وكيف تدخل الآفات على الملك ، وتزول الدول ، وتبيد الشرائع والملل ؟ والآفات التى تحدث فى نفس الملك والدين ، والآفات الخارجة المعترضة لذلك وتحصين الدين والملك ، وكيف يعالج كل واحد منهما بصاحبه إذا اعتل من نفسه أو من عارض يعرض له ؛ وماهية* ذلك العلاج ، وكيفيته وأمارات اقبال الدول . وسياسة البلدان والأديان والجيوش على طبقاتهم ووجوه

الحيل والمكايد فى الحروب ظاهرا وباطنا ، وغير ذلك من أخبار العالم وعجائبه

وأخبار نبينا صلى الله عليه وسلم ومولده . وما ظهر فى العالم من الآيات والكوائن والأحداث المنذرات بظهوره قبل مولده؛ من أخبار الكهان وغيرهم وما أظهر الله سبحانه على يديه من الدلائل والعلامات ، وجوامع[1] المعجزات . ومنشئه ومبعثه وهجرته ومغازيه وسراياه وسواريه ومناسره إلى وفاته ، والخلفاء بعده والملوك والغرر من أخبارهم

وما كان من الكوائن والاحداث والفتوح فى أيامهم ، وأخبار وزرائهم وكتابهم إلى خلافة المطيع

وذكرنا من كان فى كل عصر من حملة الأخبار ، ونقلة السير والآثار ، وطبقاتهم من عصر الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من فقهاء الامصار وغيرهم من ذوى الآراء والنحل والمذاهب والجدل بين فرق أهل الصلاة ومن مات منهم فى سنة سنة إلى هذا الوقت المؤرخ .

وذكرنا فى كتاب (نظم الاعلام فى أصول الاحكام) وكتاب (نظم الأدلة فى أصول الملة) وكتاب (المسائل والعلل . فى المذاهب والملل) تنازع المتفقهين فى مقدمات أصول الدين والحوادث التى اختلفت فيها آراؤهم وما يذهب اليه من القول بالظاهر وابطال القياس والرأى والاستحسان فى الاحكام إذ كان الله جل وعز قد أكمل الدين وأوضح السبيل وبين للمكلفين ما يتقون* فى آياته المنزلة وسنن رسوله المفصلة* التى زجرهم بها عن التقليد ونهاهم عن تجاوز ما فيها من التحديد ، وما اتصل بذلك من الكلام فى أصول الفتوى والاحكام ؛ العقليات منها والسمعيات وغير ذلك من فنون العلوم ، وضروب الأخبار ، مما لم تأت الترجمة على وصفه ،

---

(١) فى الاروبية والجرائح المعجزات

ولا انتظمت ذكره

رأينا أن نتبع ذلك بكتاب سابع مختصر نترجه بكتاب (التنبيه والاشراف) وهو التالى لكتاب (الاستذكار ، لما جرى في سالف الأعصار) نودعه لمامن ذكر الافلاك وهيئآتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها ، وكيفية أفعالها ، والبيان عن قسمة الازمنة وفصول السنة ، ومالكل فصل من المنازل والتنازع فى المبتدإ به منها . والاصطقصات* وغيرذلك والرياح ومهابها وافعالها وتأثيراتها

والأرض وشكلها وماقيل فى مقدار مساحتها وعامرها وغامرها والنواحي والآفاق وما يغلب عليها وتأثيراتها فى سكانها، وما اتصل بذلك وذكر الأقاليم السبعة وقسمتها وحدودها وما قيل فى طولها وعرضها ، وقسمة الأقاليم على الكواكب السبعة — الخمسة والنيرين—

ووصف الاقليم الرابع وتفضيله على سائر الاقاليم ،وما خص به ساكنوه من الفضائل التى باينوا بها سكان غيره منها ، وما اتصل بذلك من الكلام فى عروض البلدان وأطوالها ، والأهوية وتأثيراتها وغير ذلك

وذكر البحار وأعدادها وماقيل فى أطوالها وأعراضها واتصالها وانفصالها ومصبات عظام الأنهار اليها وما يحيط بها من الممالك وغير ذلك من أحوالها

وذكر الأمم السبع فى سالف الازمان ،ولغاتهم وآرائهم .ومواضع مساكنهم وما بانت به كل أمة من غيرها . وما اتصل بذلك

ثم نتبع ذلك بتسمية ملوك الفرس الأول ، والطوائف ، والساسانية على طبقاتهم وأعدادهم ومقدار ماملكوا من السنين وملوك اليونانيين وأعدادهم، ومقدار ملكهم، وملوك الروم على طبقاتهم من الحنفاء ، وهم الصابئون والمتنصرة ، وعدتهم

وجملة ماملكوا من السنين . وما كان من الكوائن والاحداث العظام الديانية والملوكية في أيامهم وصفة بنودهم وحدودها ومقاديرها ومايتصل منها بالخليج ومجرى الروم والخزر وما اتصل بذلك من اللمع المنبهة على ماتقدم من تأليفنا فيما سلف من كتبنا وذكر الأفدية بين المسلمين والروم إلى هذا الوقت وتواريخ الأمم ، وجامع تأريخ العالم والانبياء والملوك من آدم الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وحصر ذلك وما اتصل به ومعرفة سنى الامم الشمسية والقمرية وشهورها ، وكبسها ونسيئها ، وغير ذلك من أحوالها وما اتصل بذلك من التنبيهات على ماتقدم جمعه وتأليفه ، وذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومبعثه وهجرته وعدد غزواته وسراياه وسواربه وكتابه ووفاته والخلفاء بعده والملوك وأخلاقهم وكتابهم ووزرائهم وقضاتهم وحجابهم ونقوش خواتيمهم

وما كان من الحوادث العظيمة الديانية والملوكية فى أيامهم وحصر تواريخهم إلى وقتناهذا وهو سنة ٣٤٥ للهجرة فى خلافة المطيع منبهين بذلك على ما قدمنا ذكره من كتبنا

وانما اقتصرنا فى كتابنا هذا على ذكر هذه الممالك لعظم ملك ملوك الفرس وتقادم امرهم ، واتصال ملكهم ، وما كانوا عليه من حسن السياسة وانتظام التدبير ، وعمارة البلاد ، والرأفة بالعباد ، وانقياد كثير من ملوك العالم إلى طاعتهم وحملهم اليهم الأتاوة والخراج ، وانهم ملكوا الاقليم الرابع ؛ وهو إقليم بابل أوسط الأرض وأشرف الأقاليم . وأن مملكتى اليونانيين والروم تتلوان مملكة فارس فى العظم والعز ، ولما خصوا به من انواع الحكم والفلسفة والمهن العجيبة ، والصنائع البديعة ولأن مملكة الروم الى وقتنا هذا ثابتة الرسوم متسقة التدبير ؛ وإن كان اليونانيون قد دخلوا في جملة الروم منذ احتووا على ملكهم كدخول

الكلدانيين - وهم السريانيون سكان العراق - فى جملة الفرس الأولى لغلبتهم عليهم .

فأحببنا أن لانخلى كتابنا هذا من ذكرهم ، وإن كنا قد ذكرنا سائر الممالك التى على وجه الأرض وما أزيل منها ودثر ، وما هو باق إلى هذا الوقت وأخبار ملوكهم وسياساتهم وسائر احوالهم فيما سميناه من كتبنا

على أنا نعتذر من سهو إن عرض فى تصنيفنا مما لا يسلم منه من لحقته غفلة الانسانية ، وسهوة البشرية ، ثم مادفعنا اليه من طول الغربة وبعد الدار ، وتواتر الاسفار طورا مشرقين وطورا مغربين كما قال أبو تمام

خليفة الخِضْرِ من يَرْبَع على وطن ... فى بلدة فظهور العِيس أوطانى
بالشأم قومى وبغداد الهوى وأنا ... بالرقتين وبالفسطاط إخوانى

وكقوله أيضا

فغربت حتى لم أجد ذكرَ مشرق ... وشرقت حتى قد نسيت المغاربا
خطوبٌ إذا لاقيتهن رَدَدْنَنى ... جريحا كأنى قد لقيت الكتائبا

ونحن آخذون فيما به وعدنا ، وله قصدنا . وبالله نستعين ، وإياه نسأل التوفيق والتسديد .

ذكر الأفلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها

فلنبدأ بذكر الفلك الذى نبهنا الله سبحانه عليه ، وأشار فى نص الكتاب اليه لما فيه من عجائب حكمته ولطائف قدرته وخصائص التدبير وبدائع التركيب التى

تدل بعجائب نظمها وغرائب تأليفها على وحدانية مبدعها وأزلية منشئها قال الله جل وعز (لاَ الشمسُ ينبغى لها أنْ تدركَ القمرَ ولا الليلُ سابق النهار وكلٌّ فى فلك يسبحون) اى في دائرة منها يكونون. إذ اسم الفلك يدل على الاستدارة فى لغة العرب، والفلك السماء قال الله عز وجل (لَخَلْـق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولـكن أكثرَ الناسَ لايعلمونَ)

قال المسعودى: وقد تنازع الناس فى الفلك ممن سلف وخلف فقال أفلاطون وثامِسْطِيوس والرواقيون وعدة ممن تقدم عصر افلاطون وتأخر عنه من الفلاسفة إنه من الطبائع الاربع التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة إلا أن الغالب عليه النارية وليست ناريته محرقة إنما هى مثل النار الغريزية فى الأبدان؛ وقال آخرون إنه من النار والهواء والماء دون الارض

وذهب ارسطاطاليس وأكثر الفلاسفة ممن تقدم عصره وتأخر عنه وغيرهم من حكماء الهند والفرس والكلدانيين الى أنه طبيعة خامسة خارجة عن الطبائع الأربع ليست فيه حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وانه جسم مدور كرى اجوف يدور على محورين وهما القطبان احدهما رأس السرطان ومنتهى بنات نعش، من تلقاء نقطة الجنوب، والآخر رأس الجدى وفيه كواكب مثل بنات نعش من تلقاء نقطة الشمال وخط الاستواء فى وسط الفلك وهو خط ما بين الشمال والجنوب واوسع موضع فيه من نقطة المشرق الى نقطة المغرب وهو منقسم بأربعة ارباع كل ربع منها تسعون درجة على خطين يتقاطعان على مركزه وهو موضع الأرض منه احد الربعين وهو احد القطبين نقطة الشمال وبازائه نقطة الجنوب والربع الثالث نقطة المشرق وبازائها نقطة المغرب، وهو يدور دورانا طبيعيا دائما وبدورانه ودوران الكواكب التى فيه تنفعل الكيفيات وانبسطت الاركان

الأربعةوهى النار والماء والهواء والأرض فيتصل ركنان منها وهما النار والهواء بالعلو وركنان منها وهما الماء والارض بالسفل ثم تتحرك هذه الكيفيات بتحرك الجواهر العلوية والاجسام السمائية على حسب مداراتها ومسيرها وحركاتها وتأثيراتها فيتحرك الركنان الاعليان بتحرك الكيفيات والركنان الأسفلان بتحرك الركنين الأعليين وتهب بذلك الرياح الاثنتا عشرة ، فتنشأ السحائب وينزل القطر ويتصل بذلك الآثار العلوية ويتصل بالآثار العلوية الآثار السفلية الموجودة فى الحيوان والنبات البرى والبحرى . وفى الجواهر والمعادن حتى يكون التدبير فى جميع هـذه العوالم متسقاً مطردا ، متصلا بعضه ببعض بالفعل ، كامنا بعضه فى بعض بالقوة .

حتى تظهر آثار الصنعة ، وأمارات الحكمة ، ودلائل الربوبية ، وترتبط المعلولات بعللها ، وتشهد للصانع بصنعته ، وبدائع حكمته .

وجعل عز وجل الفلك الأعلى ، وهو فلك الاستواء ، وما يشتمل عليه من طبائع التدوير ، فأولها كرة الارض يحيط بها فلك القمر ويحيط بفلك القمر فلك عطارد ، وبفلك عطارد فلك الزهرة ، وبفلك الزهرة فلك الشمس ، وبفلك الشمس فلك المريخ ، وبفلك المريخ فلك المشترى ، وبفلك المشترى فلك زحل وبفلك زحل فلك الكواكب الثابتة ، وبفلك الكواكب الثابتة فلك البروج وبفلك البروج فلك الاستواء وهو المحيط بها والمحرك لها .

ومن ذوى المعرفة بعلم الافلاك والنجوم من يعد فلك الاستواء ، وفلك البروج الثابتة فلكا واحدا ؛ لما يرى من تجاذبهما ، واتفاق أقطارهما ومراكزهما

والارض فى وسط الجميع مركز له كالنقطة فى وسط الدائرة والفلك متجاف

عنها من حيث ما أحاط بها بدل مانحو[1] وجهها الذى يكون عليها حيثما كانت وهو أعلى الفلك على سمت رأسك فذلك نصف قطر الفلك الاعلى[2] أخذ منه نصف قطر الارض ، وهو يدور عليها من المشرق إلى المغرب ؛ على أوسع موضع فيه على نقطتين وهميتين متقابلتين فى جنبي كرته .

إحداهما القطب الشمالى وهو على شمال مستقبل المشرق ، والثانية القطب الجنوبى ؛ وهو على يمين مستدبر المغرب ، ويسميان المحورين تشبيها بقطب الرحى

ولهذا الفلك نطاق يفصل كرته فى متوسط ما بين قطبيه ، ويفصل محاذاته كرة الارض بنصفين . وهذا النطاق يسمي فلك معدل النهار ، لاستواء الليل والنهار فيه ، ويسمى الفلك المستقيم لاستواء مطالعه ومغاربه ، واستقامة مدرجه فى أرباع الفلك وما بينها على نظام واحد ، وكل جزء من أجزاء هذا النطاق وإن اتسع فانه كيفما انحدر فى بسيطى الكرة إلى المحورين قل عرضه ودق حتى تجتمع أجزاء الفلك كلها من فوق الارض وتحتها فى نقطة المحور .

ومن كان تحت هذا النطاق فانه ينظر المحورين يطوفان على أفق المواضع والفلك يدور منتصبا فوق رأسه .

وأكثر هذه الافلاك مسيرها من المشرق إلى المغرب موافقة فى مسيرها لمسير الفلك الاعلى . ومنها مايكون مسيره موافقا لمسير الكواكب من المغرب إلى المشرق ، فما كان من الفلك آخذا من الشمال إلى الجنوب سمي العرض ، وما كان آخذا من المغرب إلى المشرق سمى الطول .

والأرض من الفلك بمنزلة النقطة من الدائرة بعدها من كل نقطة من النقط

---

(١) فى الاروبية بمثل ما كان وجهها ، والتصحيح بحسب المعنى .

(٢) فى الاروبية إلا ما ، وهو غير واضح

الاربع التى ينقسم الفلك عليها بعد واحد ، ومن مركزها إلى كل نقطة تسعون درجة ، وقطر الدائرة مائة وثمانون درجة وهى تنقسم فى نفسها مثل هذه الأربع نقط من الشمال والجنوب والمشرق والمغرب ، إلا أنها غير ذات نسبة من الفلك كما أن الفلك لا نسبة له من الدائرة والجرم الذى من نهاية حضيض فلك القمر إلى نهاية العالم فى العلو طبيعة خامسة ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا مركبة من شىء من هذه الطبائع الأربع . وهذا الجسم هو الجسم الفلكى ، ونهايته مما يلينا أعنى كصورة باطن كرة

والعناصر أربعة نار وهواء وماء وأرض ، فاثنان من هذه العناصر حاران وهما النار والهواء ، وهما يتحركان بطبعهما صعداً إلا أن أسبقهما إلى العلو النار ؛ فهى طافية على الهواء ؛ والنار يابسة والهواء رطب واثنان باردان وهما الماء والأرض وهما يتحركان بطبعهما سفلا عند حركتهما ، إلا أن أسبقهما إلى السفل الأرض ، والارض يابسة . والماء رطب .

فقد حصل بما ذكرنا أن الحرارة تفعل الحركة صعدا ، وأن البرد يفعل الحركة سفلا ، وأن اليبس يفعل السبق إلى الموضع الأخص بكل واحد منهما وأن الرطوبة تفعل الثقل فى الحركة ، فما كانت حركته صعدا سموه خفيفا ، وما كانت حركته سفلا سموه ثقيلا .

وأنه لا فراغ فى جرم العالم ، وأن الاجسام إذا حميت احتاجت إلى مواضع أوسع من المواضع التى كانت فيها ، فما تحدثه الحرارة فيهامن تباعد نهاياتها عن مركزها ، وأنها إذا بردت صارت بضد ذلك لأن البرد يفعل تقارب نهايات الاجسام من مركزها ، فتحتاج الى مواضع اصغر من مواضعها

وأن الحرارة والبرودة تتبادل المواضع فاذا كان ظاهر الارض حارا كان

باطنها باردا ، على ما تكون عليه السراديب وغيرها من أعماق الارض وأغوارها فى نهار الصيف من البرد ، واذا كان ظاهرها باردا كان باطنها حارا على ماعليه السراديب وغيرها فى ليالى الشتاء ، وأن الحرارة ترفع من كل جسم رطب لطيفه ولا أولا حتى تجف أرضيته فيتحجر أو تفنى جماته

وأن الشمس إذا كان مسيرها فى الميل الشمالى عن معدل النهار حمى الهواء فى ناحية الشمال وبرد الهواء الجنوبى ؛ فيجب من ذلك أن ينقبض الهواء الجنوبى ويحتاج الى موضع أصغر ، ويتسع الهواء الشمالى ؛ ويحتاج الى موضع أوسع ؛ إذ لافراغ فى العالم ، فبالواجب ان يكون اكثر رياح الصيف عند من هو فى ناحية الشمال شمالية لأن الهواء من عندهم يتحرك إلى ناحية الجنوب ؛ إذ ليس الريح شيئا غير حركة الهواء وتموجه ، وكذلك يجب أن يكون أكثر رياح الشتاء جنوبية لتحرك الهواء إلى ناحية الشمال لمسير الشمس فى الشتاء فى الميل الجنوبى

وما أبين للحس من مسير الشمس فى الشتاء فى الجنوب وفى الصيف فى الشمال ، لما نراه فى الشتاء من طول ظلال المظلات ، وبعد جرم الشمس فى سمت رءوسنا من خط نصف النهار

قال المسعودى : وفيما ذكرنا من قسمة الافلاك وتراكيبها وما يلينا من الكواكب ـ النيرين والخمسة ـ تنازع بين الاسلاف والاخلاف .

من ذلك ماذكره ابطلميوس القلوذى فى كتاب المجسطي ، وفى كتابه فى الهيئة أنه لم يظهر له أن الزهرة وعطارد فوق الشمس أو دونها .

وحكى يحيى النحوى وهو المعروف بالحريص الاسكندرانى فى كتابه الذى دل فيه على أن العالم محدث ونقضه لكتاب برقلس فى قدمه ورده على أفلاطون وارسطاطاليس وأفلوطرخس وغيرهم من القائلين بقدمه أن افلاطون كان يزعم أن

فلك القمر أدنى الافلاك إلينا وفلك الشمس يليه ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم كذلك على ما رتبها الباقون .

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا السالفة تنازع الفلاسفة وغيرهم من حكماء الأمم فى هيئة الأفلاك وتراكيبها والنجوم وتأثيراتها فى هذا العالم الأرضى وما يمين العالم وما شماله ، وما خلفه وأمامه وتحته وفوقه .

وما ذكره أرسطاطاليس فى المقالة الثانية من كتاب السماء والعالم عن شيعة فيثاغورث فى ذلك وما ذهب إليه من أن للسماء يمينا وشمالا ، وأماما وخلفا ، وفوقا وأسفل .

فيمنة السماء الجهة المشرقية ، ويسرتها المغربية ، وأعلاها القطب الجنوبى وهو فوق القطب الشمالى وهو أسفل وما اتصل بذلك .

قال المسعودى: وأكثر من نشاهده من فلكية زماننا ومنجمى عصرنا مقتصرون على معرفة الاحكام تاركون للنظر فى علم الهيئة ، ذاهبون عنها ـ وصناعة التنجيم التى هى جزء من أجزاء الرياضات ، وتسمى باليونانية (الاصطرونوميا) تنقسم قسمة أولية على قسمين (احدهما) العلم بهيئة الأفلاك وتراكيبها ونصبها وتأليفها (والثانى) العلم بما يتأثر عن الفلك فليس العلم الثانى وهو العلم بتأثيرات الفلك وما يوجب من الأحكام بمستغن عن العلم الأول ، الذى هو علم الهيئة إذ التأثيرات واقعة بالحركات وتبدل الأحوال ، واذا وقع الجهل بالحركات وقع الجهل بالتأثيرات

فاذ ذكرنا جملا وجوامع من علوم هيئة الافلاك والنجوم ، فلنذكر الآن الكلام فى جمل من قسام الزمان وفصوله والسنين والشهور والأيام وطباعها والإصطقصات* ومرور الشمس فى فلكها ، وقطعها لبروجها ، وما تحدثه فى كل

فصل ، وما لحق بذلك .

ذكر البيان عن قسمة الازمنة ، وفصول السنة

وما لكل فصل من المنازل ، والتنازع فى المبتدإ به منها والاصطقصات ، وما اتصل بذلك

الازمنة أربعة : الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء ؛ فالزمان الأول الربيع وهو طبيعة الدم حار رطب ، مدته ثلاثة وتسعون يوما وثلاث وعشرون ساعة وربع ساعة ، وذلك من عشر تبقى من أذار إلى ثلاثة وعشرين يوما تخلو من حزيران ، وهو من نزول الشمس أول دقيقة من الحمل ، وهو الاستواء الربيعى إلى دخولها أول دقيقة من السرطان ، وهو المنقلب الصيفى

والزمان الثانى : الصيف وهو حار يابس ، سلطانه المرة الصفراء ؛ مدته اثنان وتسعون يوما وثلاث وعشرون ساعة وثلث ساعة ، وذلك من ثلاثة وعشرين يوما تمضى من حزيران الى أربعة وعشرين تمضي من أيلول ، وهو من دخول الشمس أول دقيقة من السرطان إلى دخولها أول دقيقة من الميزان

والزمان الثالث : الخريف ، وهو بارد يابس ، سلطانه المرة السوداء مدته ثمانيةوثمانون يوما ، وسبع عشرة ساعة ، وثلث خمس ساعة . وذلك من أربعة وعشرين يوما* تمضى من أيلول إلى اثنين وعشرين يوما تخلومن كانون الاول وذلك من نزول الشمس أول دقيقة من الميزان ، وهو الاستواء الخريفى الى نزولها أول دقيقة من الجدى ، وهو المنقلب الشتوى

والزمان الرابع : الشتاء ، وهو بارد رطب سلطانه البلغم ، مدتهتسعة وثمانون

يوما وأربع عشرة ساعة من تسع تبقى من كانون الاول إلى أحد وعشرين يوما تخلو من أذار ، وذلك من دخول الشمس أول دقيقة من الجدى الى نزولها أول دقيقة من الحمل .

فانقسام فصول السنة بالازمان الاربعة إنما هو بحركة الشمس فى الجملة

قال المسعودى: فقد تبين بما ذكرنا أن مدة زمان الربيع مسير الشمس فى ثلاثة أبراج وهى الحمل والثور والجوزاء . ومدة زمان الصيف مسير الشمس فى ثلاثة أبراج هي السرطان والاسد والسنبلة ، ومدة زمان الخريف مسير الشمس فى ثلاثة أبراج هى الميزان والعقرب والقوس ، ومدة زمان الشتاء مسير الشمس فى ثلاثة أبراج وهى الجدى والدلو والحوت

فما أعجب واتقن اشتباك أمر العالم بعضه ببعض ونظمه ! إنا إذا خرجنا من ربع الصيف الى ربع الخريف ؛ فانا نخرج من ربع حار يابس إلى ربع بارد يابس فاختلف الربعان فى الحر والبرد ، واتفقا فى اليبس . وإذا خرجنا من ربع الخريف الى ربع الشتاء خرجنا من ربع بارد يابس إلى ربع بارد رطب ، فاختلفا فى اليبس واتفقا فى البرد . وإذا خرجنا من ربع الشتاء الى ربع الربيع خرجنا من ربع بارد رطب الى ربع حار رطب فاختلفا فى الحر واتفقا فى الرطوبة

فقد تبين انا لم نخرج من ربع حار رطب الى ربع بارد يابس ولا من ربع بارد رطب الى ربع حار يابس

فتأمل حكمة البارئ جل وعز فى نظمه الاستقصات الاربعة فى العالم السفلى اعنى الأرض والماء والهواء والنار فانك تجدها على هذا الترتيب مؤلفة تجد الأرض وهي باردة يابسة ثم الماء وهو بارد رطب ثم الهواء وهو حار رطب ثم النار وهى حارة يابسة ، فالماء الذى يلى الارض يوافقها فى البرودة ويختلفان فى

الرطوبة واليبس ، والهواء الذى يلى الماء يوافقه فى الرطوبة ويختلفان فى الحر والبرد ، والنار التى تلى الهواء توافقه في الحر ويختلفان فى اليبس والرطوبة وكذلك أيضا الزمان فانه مقسوم بأربعة اقسام فقسم ربيعي دموى هوائى ، وقسم صيفى صفراوى نارى ، وقسم خريفى سوداوى ارضى ، وقسم شتائى بلغمي مائى

فسبحان من دبر الأمور بحكمته واتقنها بقدرته فلا يوجد فيها خلل ، ولا يبين فيها زلل . اذ كان الاهمال لا يأتى بالصواب والتضاد لا يأتى بالنظام .

وقد شبه ابطلميوس فصل الربيع بفصل الطفولية وفصل الصيف بالشباب والخريف بالكهولة والشتاء بالشيخوخة

وقد تنازع من تقدم وتأخر من حكماء الأمم وفلاسفتهم فى المبتدإ به من فصول السنة ومداخلها واوائلها ومددها ، فمنهم من اختار تقديم الفصل الربيعى وصيره أول السنة لأنه الوقت الذى يبتدىء النهار فيه بالزيادة وأنه مع ذلك رطب والرطوبة ولية بان تكون ابتداء الاشياء الكائنة

ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفى لأنه الوقت الذى فيه كمال طول النهار وأن مد النيل بمصر فيه يكون وفيه تطلع الشعرى اليمانية التى تقطع السماء عرضا

ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفى لأن جميع الثمار فيه تستكمل والبذور فيه تبذر وانما سمى الخريف لان الثمار تخترف فيه اى تجتنى والعرب تسميه الوسمى بالمطر الذى يكون فيه وذلك ان اول المطر يقع على الارض وهى بعيدة العهد بالرطوبة وقد يبست بالصيف فتسميه بهذا الاسم لانه يسم الارض ، وهم يبتدئون من الأزمان بهذا الفصل لأن المطر الذى به عيشهم فيه يبتدئ ، ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوى لأن النهار فيه يبتدئ باسترداد ما نقص منه والازدياد في طوله وقد ذكر ذلك ابطلميوس القلوذى فى كتابه المعروف

بالأربع مقالات . وفى كتابه فى الأنواء الذى ذكر فيه احوال ايام السنة كلها وما يحدث فيها من طلوع الكواكب وغروبها ، فاذ ذكرنا الأخبار عن قسمة الازمنة وفصول السنة وما اتصل بذلك فلنذكر الرياح ومهابها وما لحق بذلك

ذكر الرياح الأربع ومهابها

وأفعالها وتأثيراتها وما اتصل بذلك من تقريظ مصر والتنبيه على فضلها وما شرفت به على غيرها

تنازع الناس فى الرياح الاربع ومهابها وطباعها، فقال فريق منهم الرياح اربع شمال وجنوب وصبا ودبور ؛ الصبا من المشرق والدبور من المغرب والشمال من تحت جدى الفرقدين، والجنوب من تحت جدى سهيل فالشمال باردة يابسة وهى ماهب من ناحية الجربى وهو الشمال واشكالها من البروج والكواكب والأمهات وما يشاكل ذلك ويضاف الى البرد واليبس، والجنوب حارة رطبة وهى التى تهب من القبلة واشكالها كما وصفت مما يضاف الى الحرارة والرطوبة، والدبور باردة رطبة وهى التى تهب من المغرب وكذلك اشكالها، والصبا حارة يابسة وهي التى تهب من المشرق واشكالها ما هو مضاف الى الحرارة واليبوسة

قال المسعودى: وذهب فريق آخر من حكماء الامم من العرب وغيرهم الى ان الصبا هي القبول وهى ماهب من مطلع الشمس ، والدبور التى تهب من المغرب من دبر من استقبل المشرق، فلذلك سميت الدبور، والشمال التى تهب عن شمالك اذا استقبلت المشرق والجنوب التى تهب عن يمينك اذا استقبلت المشرق ، وقد ذكرت العرب ذلك فى اشعارها قال ابو صخر الهذلى

اذا قلت هذا حين أسلو يهيجنى ... نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

وقال هدبة العذرى وهو يومئذ بالمدينة مسجونا

ألا ليت الرياح مسخرات بحاجتنا تباكر أوتؤوب

فتخبرنا الشمال اذا اتتنا وتخبر أهلنا عنا الجنوب

وقال آخر

أتانى نسيم من صبا بتحية فحملت مثليها نسيم دبور*

قال المسعودى: والرياح محدودة بحسب الآفاق تكون الآفاق اثنى عشرة أفقا والرياح كذلك فالشمال بالحقيقة هى التى تجىء من القطب الظاهر والجنوب من القطب الخفى والصبا من مشرق الاعتدال والدبور من مغرب الاعتدال الا ان الناس لما لم يبن*لهم فى رأى العين تحديد هذه نسبوا كل ريح تأتى من ناحية المشرق سواء كان من مشرق الاعتدال اومن مشرق الصيفى او الشتوى اوما بينهما بعد ان تكون من المشرق الى الصبا وكذلك فعلوا فى الدبور واحتذوا ذلك فى الشمال . فسموا كل ريح تأتى من جانب القطب الظاهر وما يليه من جانبيه الشمال وكذلك فعلوا بالجنوب أيضا

فاما الريح التى تسمي ببلاد مصر المريسية مضافة الى بلاد مريس من اوائل ارض النوبة فى أعالى النيل وهوصديد مصرفهى باردة تقطع الغيوم وتصفى الهواء وتقوى حرارة الابدان، وما يهب من اسفل النيل من الريح ويسمي اسفل الارض فهى شمال وتفعل اضداد هذه الأفعال من تختير الأبدان واهل مصر يسمونها البحرية وتداومها فى الصيف يطيب هواءهم ويبرد ماءهم فى الليل والنهار فقد تفضل ذلك الريح الغربية فى هذا الفصل إلا ان الأغلب فى ذلك الشمال، ويقع الوباء اذا دامت المريسية بمصر ، كما يقع الوباء بالعراق اذا دامت الريح فى ايام البوارح والشمال عندنا ببغداد تهب من اعالى دجلة مما يلى سر من رأى وتكريت وبلاد الموصل فتقطع السحاب وايام هبوب المريسية بمصر مقابلة لايام البوارح

ببغداد ؛ لأن المريسية تهب بمصر فى كانون الاول وهو كيهك بالقبطية والبوارح بالعراق تهب فى حزيران والجنوب ببغداد تهب من أسفل دجلة مما يلى بلاد واسط والبصرة فتثور دجلة وتكثر الغيوم والأمطار والبوارح تدوم اربعين يوما والمريسية اربعين

والهرمان العظيمان اللذان فى الجانب الغربى من فسطاط مصر ، وهما من عجائب بنيان العالم ، كل واحد منهما أربعمائة ذراع فى سمك مثل ذلك ، مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الاربع كل ركن من أركانهما يقابل ريحا منها ، فاعظمها فيهما تأثيرا الجنوب وهي المريسى ؛ بتشقيقها* الركن المقابل لها منهما ؛ وأحد هذين الهرمين قبر اغاثديمون والآخر قبر هرمس وبينهما نحو من ألف سنة ـ اغاثديمون المتقدم ـ وكان سكان مصر وهم الاقباط يعتقدون نبوتهما قبل ظهور النصرانية فيهم ، على مايوجبه رأى الصابئين فى النبوات لا على طريق الوحى ؛ بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من أدناس هذا العالم فاتحدت بهم مواد علوية فاخبروا عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغيرذلك مما يطول وصفه ولاتحتمل كثير من النفوس شرحه، وفى العرب من اليمانية من يرى انهما قبر شداد بن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر فى قديم الدهر، وهم العرب العاربة من العماليق وغيرهم وقد أتينا فى كتاب(فنون المعارف وماجرى فى الدهور السوالف) على اخبار سائر اهرام مصر، وهى عند من ذكرنا من الصابئين قبور أجساد طاهرة وأخبار البرابى التى بسائر بلاد مصر وهى بيوت عبادتهم الكواكب السبعة النيرين والخمسة وغيرها من الجواهر العقلية والاجسام السمائية التى هى وسائط بين العلة الاولى وبين الخلق وغير ذلك من أخبار مصر وعجائبها وماخصت به من الفضائل التى لايشرك أهلها فيها غيرهم من أهل البلدان، وهى محدودة على تخوم أفريقية

وأرض السودان وبحر الحجاز وبحر الشام وهى البرزخ بين البحرين المذكورين فى القرآن ؛ لأن من الفرما التى على ساحل بحر الروم الى القلزم التى هى ساحل بحر الصين مسيرة ليلة يحمل اليها من جميع الممالك المحيطة بهذين البحرين من أنواع الأمتعة والطرائف* والتحف من الطيب والأفاويه والعقاقير والجوهر والرقيق وغير ذلك من صنوف المآكل والمشارب والملابس، فجميع البلدان تحمل اليها وتفرغ فيها ، ونيلها العجيب أمره الشريف قدره ؛ يمد اذا حسرت مياه الامطار ويحسر اذا مدت، يأتيها فى وقت الحاجة الى منفعته فيبدأ مخضرا ثم محمرا ثم كدرا ثم يتدافع بأمواجه ويترامى بسيوله ؛ فتكون زيادته فى اليوم الاصبع والاصبعين واكثر فاذا تناهى مده يغشى الارض وصارت القرى كالنجوم فوق الروابى والتلال، والمراكب تجرى بأهلها فى حاجاتهم من بعض الى بعض قد أعدوا قبل ذلك من أقواتهم وعلوفة حيوانهم ما يكفيهم الى حسوره عنهم وإبان زراعتهم ،فدهرها من أربع صفات ؛فضة بيضاء أومسكة سوداء أوزبرجدة خضراء أو ذهبة صفراء

وذلك أن نيلها يطبقها فتصير كأنها فضة بيضاء ، ثم ينضب عنها فتصير مسكة سوداء ، ثم تزدرع فيصير زرعها زبرجدة خضراء ، ثم يستحصد زرعها ويصفر فتصير ذهبة صفراء

وكورها نيف وثمانون كورة ليس منها كورة الا وفيها طريفة أو عجيبة لاتكون فى غيرها تنسب الى تلك الكورة وتعرف بها لكل كورة منها مدينة وقد ورد التنزيل بذلك بقوله عز وجل عند ذكره قصة موسى وفرعون (أَرْجِهْ وأَخَاه وَأَرْسِلْ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) لامدينة منها الا وفيها عجائب البنيان بالصخور والمرمر والبلاط وعَمَد الرخام التى لايوجد مثلها فى غيرها من البلدان، تؤتى هذه المدن والكور كلها فى الماء ويحمل ما يكون بها

من الطعام والامتعة الى فسطاطها ؛ تحمل السفينة الواحدة حمل مائة بعير وأقل وأكثر وهى حجازية شأمية جبلية

أما صعيدها وهو أعلاها فأرض حجازية حرها كحر الحجاز تنبت أنواع النخيل الكبير والاراك والدوم والقرظ والهايلج والفلفل والخيار شنبر

وأما أسفلها فشأمى يمطر وينبت ثمار الشأم من الكروم واللوز والجوز وسائر الفواكه والبقول والرياحين

وأما ناحية الاسكندرية ولوبية والمراقية فبرارى وجبال وغياض وزيتون وكروم جبلية بحرية بلاد عسل ولبن ويذكر أهلها انهم أكثر الناس قندا وشهدا وعبدا ونقدا وصوفا وبغالا وحميرا وخيلا عتاقا ونبيذ العسل الذى لا يفى به شراب ودق تنيس ودمياط الذى لا يضاهيه دق ومعدن التبر والزمرد الثمين الذى لا يوجد الا بها والقراطيس ودهن البلسان وزيت الفجل والقمح اليوسفى وهو أعظم القمح حبا وأطوله شكلا وأثقله وزنا وطرز البهنسا وأسيوط واخميم ، ومن نواحي معادنها تحمل الزرافة والكركدن وعناق الارض، وأن وفاء خراجها ست عشرة ذراعا فان زاد فى النيل ذراعا زاد فى الخراج مائة الف دينار بما يروى من الاعالى فان زاد ذراعا أخرى نقص من الخراج مثلها لما يستبحر* من البطون والاسافل، والمعمول عليه فى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ انه ان زاد على الست عشرة ذراعا أو نقص عنها نقص من خراج السلطان قالوا وجميع البلدان فى سائر النواحى والآفاق انما تعيش بالامطار وتهلك بابطائها عنها ومصر مستغنية عن المطر غير مرتاحة ولا محتاجة اليه وسائر أنواع الفواكه والثمار وكثير من الحيوان والالبان لها فى جميع البلاد أزمنة وأوقات لا توجد الا فيها ولا تكون الا معها وذلك بمصر موجود غير معدوم فى سائر فصول السنة وغير ذلك من فضائلها وخصائصها

فاذ قد ذكرنا الرياح ومهابها وما اتصل بذلك فلنذكر الارض وشكلها ومساحتها والنواحي والآفاق وغير ذلك

ذكر الارض وشكلها

وماقيل فى مقدار مساحتها وعامرها وغامرها ، والنواحى والآفاق وما يغلب عليها وتأثيرها فى سكانها وما اتصل بذلك

قسم الله تبارك وتعالى الارض قسمين مشرقا ومغربا فصار المشرق والتيمن وهو الجنوب جوهرا واحدا، لغلبة الحرارة عليهما وصارت جهة المغرب والجربى وهو الشمال جوهراً واحدا لغلبة البرودة عليهما وشدتها فيهما، وذلك لبعد الشمس من ناحية الجربى، لأن المحور على تلك الناحية وهي أشدها ارتفاعا ، فمن أجل ذلك صار الجربى باردا رطبا ، وصار المغرب أقل بردا من الجربى ، واكثر يبسا لانحطاط الفلك هناك ، وهاتان الجهتان المشرق والتيمن بخلاف ذلك لدنو الشمس منهما

والعالم أربعة أرباع فالربع الشرقى وهو ماتسافل عن خط الجنوب والشمال الى المشرق فهو ربع مذكر يدل على طول الاعمار ، وطول مدد الملك والتذكير وعزة الانفس وقلة كتمان السر واظهار الامور والمباهاة بها ، وما لحق بذلك، وذلك لطباع الشمس وعلمهم الاخبار والتواريخ والسير والسياسات والنجوم

وأما أهل الربع الغربى، فان الغالب عليه التأنيث إلا ما استولت عليه الكواكب المذكرة ، كما يغلب التذكير على المشرق الا ما غلبته عليه الكواكب المؤنثة ، وأهله أهل كتمان للسر وتدين وتأله ،وكثرة انقياد الى الآراء والنحل، وما لحق بهذه المعاني اذ كان من قسم القمر

وأما أهل الربع الشمالى، وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم من الواغلين فى الشمال كالصقالبة والافرنجة ومن جاورهم من الأمم ، فان سلطان الشمس ضعف عندهم لبعدهم عنها فغلب على نواحيهم البرد والرطوبة وتواترت الثلوج عندهم والجليد؛ فقل مزاج الحرارة فيهم فعظمت أجسامهم وجفت طبائعهم وتوعرت أخلاقهم وتبلدت أفهامهم وثقلت ألسنتهم ، وابيضت ألوانهم حتى أفرطت فخرجت من البياض إلى الزرقة ورقت جلودهم وغلظت لحومهم ، وازرقت أعينهم أيضاً ، فلم تخرج من طبع ألوانهم وسبطت شعورهم ، وصارت صهبا لغلبة البخار الرطب ولم يكن فى مذاهبهم متانة . وذلك لطباع البرد وعدم الحرارة

ومن كان منهم أوغل فى الشمال فالغالب عليه الغباوة والجفاء والبهائمية وتزايد ذلك فيهم فى الابعد فالابعد الى الشمال ، وكذلك من كان من الترك واغلا فى الشمال فلبعدهم من مدار الشمس فى حال طلوعها وغروبها كثرت الثلوج فيهم وغلبت البرودة والرطوبة على مساكنهم ، فاسترخت أجسامهم وغلظت ولانت فقارات ظهورهم وخرز أعناقهم ؛ حتى تأتى لهم الرمى بالنشاب فى كرهم وفرهم وغارت مفاصلهم لكثرة لحومهم فاستدارت وجوههم وصغرت أعينهم لاجتماع الحرارة فى الوجه حين تمكنت البرودة من أجسادهم إذ كان المزاج البارد يولد دما كثيراً ، واحمرت ألوانهم إذ كان من شأن البرودة جمع الحرارة واظهارها

وأما من كان خارجا عن هذا العرض إلى نيف وستين ميلا يأجوج ومأجوج ، وهم فى الاقليم السادس فانهم فى عداد البهائم .

وأما أهل الربع الجنوبى كالزنج وسائر الاحابش ، والذين كانوا تحت خط الاستواء وتحت مسامتة الشمس ؛ فانهم بخلاف تلك الحال من التهاب الحرارة وقلة الرطوبة؛ فاسودت ألوانهم واحمرت أعينهم وتوحشت نفوسهم وذلك لالتهاب هوائهم وإفراط الارحام فى نضجهم حتى احترقت ألوانهم وتفلفلت شعورهم

لغلبة البخار الحار اليابس ، وكذلك الشعور السبطة اذا قربت من حرارة النار دخلها الانقباض ثم الانضمام ثم الانعقاد على قدر قربها من الحرارة وبعدها عنها

والأرض قسمان على ماقلمنا أحدهما مسكون، والآخر غير مسكون ، والعامر المسكون منهما على أقسام أحدها مفرط الحر وهو ما كان من جهة الجنوب لأن الشمس تقرب منه فيلتهب هواؤه والآخر الشمال وهو مفرط البرد لبعد الشمس عنه واما المشرق والمغرب فمعتدلان وان كان فضل المشرق اظهر واعتداله أشهر

وأما الذى ليس بمسكون فعلى قسمين ايضا ؛ إما أن يفرط فيه البرد ببعد الشمس عنه أو يفرط فيه الحر لقربها منه فلا يتركب هناك حيوان ولا ينبت نبات فالموضع الذى يكون * بعده فى الشمال عن خط معدل النهار ستا وستين درجة لايمكن أن يكون فيه نشوء لافراط البرد عليه لبعد الشمس عنه وان ما كان عرضه ستة وستين جزء وتسع دقائق تكون السنة فيه يوما وليلة ستة أشهر نهارا لا ليل فيه وستة أشهر ليل لا نهار فيه يبطل نهاره فى الشتاء وليله فى الصيف والموضع الذى بعده فى الجنوب عن خط معدل النهار تسع عشرة درجة لايمكن أيضا أن يكون فيه نشوء لأفراط الحر عليه لقرب الشمس منه

قال المسعودى فاما ابطلميوس فان أقصى ماوجد عنده من العمارة فى جهة الشمال الجزيرة المعروفة بثولى فى أقصى بحر المغرب من الجهة الشمالية وأن عرضها من معدل النهار فى الشمال ثلاثة وستون جزءا ، وحكاه أيضا عن مارينوس فيماذهب اليه فى حدود المعمور من الارض ، وذهب ابطلميوس الى أن نهاية العمارة فى جهة الجنوب تحت الموازى الذى بعده من معدل النهار ستة عشر جزءا وخمس وثلاثون دقيقة وربع وسدس وذهب قوم الى أن الموضع الذى لايمكن أن يكون فيه عمارة عرضه فى الجنوب أحد وعشرون جزءا وخمس وثلاثون دقيقة ، والى هذا ذهب

يعقوب بن اسحاق الكندى فى كتابه فى رسم المعمور من الارض. وسواء قيل عرض الموضع أوقيل بعده عن خط الاستواء أوقيل ارتفاع القطب عليه ، فمقدار نهاية العمارة فى الشمال إلى نهايتها فى الجنوب ثمانون جزءا يكون ذلك عند هؤلاء من الأميال خمسة آلاف ميل وأقل من أربعمائة ميل .

وأقصى العمران فى المشرق أقصى حدود بلاد الصين والسيلى إلى أن ينتهى ذلك الى ردم يأجوج ومأجوج الذى بناه الاسكندر دافعا ليأجوج ومأجوج عن الفساد فى الارض ، والجبل الذى وراءه ووقع فى فجه الردم ، ومنه كان مخرجهم بلؤه خارج العمران فى الاقليم السابع* طرف مبدئه مستقبل المشرق ثم ينعطف الى ناحية الجنوب ويستقيم ممره طولا الى أن ينتهي الى بحر أوقيانس المظلم المحيط فيتصل به ، وأقصى عمران المغرب ينتهى إلى بحر أوقيانس المحيط أيضا ، وكذلك ينتهى أقصى عمران الشمال الى هذا البحر أيضا وأقصى عمران الجنوب ينتهي الى خط الاستواء الذى يكون الليل والنهار فيه سواء أبدا وجزيرة سرنديب من البحر الصينى على هذا الخط ايضا .

قال المسعودى وذكر من عنى بمساحة الارض وشكلها أن تدويرها يكون بالتقريب أربعة وعشرين ألف ميل وذلك تدويرها مع المياه والبحار فان المياه مستديرة مع الارض وحدهما واحد فكلما نقص من استدارة الارض وطولها وعرضها شىء تم باستدارة الماء وطوله وعرضه وذلك أنهم نظروا الى مدينتين فى خط واحد احداهما أقل عرضا من الأخرى وهما الكوفة ومدينة السلام فأخذوا عرضيهما فنقصوا الاقل من الاكثر ثم قسموا ما بقي على عدد الاميال التى بينهما فكان نصيب الدرجة مما يحاذيها من أجزاء الارض المستديرة ستة وستين ميلا وثلثى ميل على ما ذكر أبطلميوس فاذا ضربوا ذلك فى جميع درج الفلك التى هى ثلثمائة وستون درجة كان ذلك أربعة وعشرين ألف ميل ، وكان قطرها الذى

هو طولها وعرضها وغلظها سبعة آلاف ميل وستمائة وسبعة وستين ميلا ، والميل أربعة آلاف ذراع بالسواء* وهو الذراع الذى وضعه المأمون لذرع الثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل، والذراع أربع وعشرون أصبعا والاصبع ست شعيرات مضموم بعضها الى بعض والفرسخ بهذا الميل ثلاثة أميال ومنهم من يجعل الميل ثلاثة آلاف ذراع والفرسخ أربعة أميال وكلاهما يؤولان الى شىء واحد

وفيما ذكرناه من مقدار حصة الدرجة من الاميال تنازع فمنهم من رأى أن ذلك سبعة وثمانون ميلا ومنهم من رأى ذلك ستة وخمسون ميلا وثلثى ميل والمعول فى ذلك على ماحكيناه عن ابطلميوس

والارض من أربعة جواهر من الرمل والطين والاحجار والاملاح وجوفها أطباق يتخرق فيها الهواء ويجول فيها الماء مواصلا لها كمواصلة الدم للجسد فما غلب عليه الهواء من الماء كان عذبا شروبا وما امتنع الهواء من التمكن منه وغلبت عليه املاح الارض وسبخها صار ملحا أجاجا وأن كون مياه العيون والانهار فى الارضين كالعروق فى البدن وأن الحكمة فى كون الارض كرية الشكل ؛ انها لو كانت مسطوحة كلها لاغور فيها ولا نشز يخرقها لم يكن النبات وكانت مياه البحار سائحة على وجهها فلم يكن الزرع ولم يكن لها غدران تفضى مياه السيول اليها، ولا كانت لها عيون تجرى تنبع بالماء أبدا لان مياه العيون لو كانت منها تخرج دائما لفنيت ولصار الماء ابدا غالبا على وجه الارض فكان يهلك الحيوان ولا يكون زرع ولا نبات فجعل عزوجل منها انجاداً ومنها اغوارا ومنها انشازا ومنها مستوية ، واما انشازها فمنها الجبال الشامخة ومنافعها ظاهرة فى قوة تحدر السيول منها فتنتهى الى الارضين البعيدة بقوة جريها ولتقبل الثلوج فتحفظها الى ان تنقطع مياه الامطار وتذيبها الشمس فيقوم ما يتحلب منها مقام الامطار ولتكون الآكام والجبال فى الارض حواشر للمياه لتجرى من تحتها ومن

شعوبها واوديتها ، فيكون منها العيون الغزيرة ليعتصم بها الحيوان ويتخذها مأوى ومسكنا ، ولتكون مقاطع ومعاقل وحواجز بين الارضين من غلبة مياه الامطار عليها وما لا يحصيه الا خالقها

قال المسعودى : وقد تختلف قوى الارضين وفعلها فى الابدان لثلاثة اسباب كمية المياه التى فيها وكمية الاشجار ومقدار ارتفاعها وانخفاضها، فالارض التى فيها مياه كثيرة ترطب الابدان والارض العادمة للمياه تجففها . واما اختلاف قوتها من قبل الاشجار فان الارض الكثيرة الاشجار، الاشجار التى فيها تقوم لها مقام السترة فبهذا السبب تسخن . والارض المكشوفة من الاشجار العادمة لها حالها عكس حال الارض الكثيرة الاشجار

واما اختلاف قواها من قبل مقدار علوها وانخفاضها، فلان الارض العالية المشرفة فسيحة باردة والأرض المنخفضة العميقة حارة وَمِدَة . ومنهم من رأى ان اصناف اختلاف البلدان اربعة اولها النواحي والثانى الارتفاع والانخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار لها والرابع طبيعة تربة الأرض وذلك ان ارتفاعها يجعلها ابرد وانخفاضها يجعلها اسخن على ماقدمنا . واما اختلافها من جهة مجاورة الجبال لها فمتي كان الجبل من البلد من ناحية الجنوب جعله ابرد لانه يكون سبب امتناع الريح الجنوبية ، وانما تهب فيه الشمالية فقط . ومتى ما كان الجبل من البلد من ناحية الشمال جعله اسخن لامتناع هبوب الرياح الشمالية فيه، واما اختلافها لمجاورة البحار لها فمتى كان البحر من البلد فى ناحية الجنوب كان ذلك البلد اسخن وارطب ، وان كان من البلد في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد وايبس. وأما اختلافها بحسب طبيعة تربتها فمتى كانت تربة الارض صخرية جعلت ذلك البلد ابرد وأجف ، وان كانت تربة البلد جصية جعلته أسخن وأجف، وان كانت طينية جعلته أبرد وأرطب

وبقاع الارض مختلفة بحسب اختلاف الطبائع وما تؤثره فيها الاجسام السمائية من النيرين وغيرهما فغلب طبع كل أرض على ساكنها كما نشاهد الحرار السود والاغوار ، وحشها الى السواد ووحش الرمال البيض على ذلك اللون فان كانت الرمال أحمر فوحشها عفر وهو لون التراب ، وكذلك وحش الجبال من الأراوى وغيرها يكون على ألوان تلك الجبال ان حمرا وان بيضا وان سودا.

وعلى هذا السبيل تكون القملة فى الشعر الاسود سوداء وفى الشعر الابيض بيضاء وفى المشيب شهباء وفى الاحمر حمراء

ومن الفلكيين من يرى أن كل جزء من أجزاء الارض يناسب جزء من أجزاء الفلك ويغلب عليه طباعه لأن فى أجزاء الفلك المضىء والمظلم والفصيح والاخرس وذا* الاصوات والمجوف وغير ذلك من نعوت الدرج ، فلذلك يكون كلام أهل الموضع الواحد مختلفا على قدر ما تصلح فيه السعود وتفسد فيه النحوس ثم يختلف أهل اللسان الواحد فى المنطق واللهجات

قال المسعودى : وقد ذم ابطلميوس القلوذى آراء كثير* ممن تقدمه ممن عنى بعلم معمور الأرض وغايات ذلك ونهاياته مثل مارينوس وأبرخس وطيمستانس وغيرهم فى قبول أقاويل المخبرين من التجار وغيرهم من نهاية المعمور وأن ذلك قد يدخله الكذب والزيادة والنقصان فيما أخبروا به من وصولهم الى هذه المواضع النائية والعمائر القاصية فى البر والبحر ، ثم اضطر ابطلميوس لما أراد علم ذلك والوقوف عليه الى ان يستعمل ما انكره على من ذكرنا من جهة الخبر فبعث بثقات من رسله فى الآفاق ليعرف الغايات من عمران الارض المسكونة فعمل على أخبارهم مقايسا بها ماوجده بالدلائل النجومية ، وهذا دخول منه فيما انكره ، وقد ذكر فى كتابه المترجم بمسكون الارض بلدانا ومدائن كثيرة ووصف اطوالها وعروضها ورسم للناس صورة معمور الارض على مارسم فيها

من مواضع السكور والبحار والانهار فى الطول والعرض ، وقد قال ارسطاطاليس فى المقالة الثانيـة من كتابه فى الآثار العلوية لقد اعجب من الذين يصورون أقطار الارض وابعادها فانهم يصورون الارض المعمورة مستديرة والقياس والعيان يشهدان على أنها على خلاف ذلك وأنه لا يمكن أن يكون ذلك أما القياس فيثبت ان عرض الارض محـدود وان طولها ليس بمحـدود اعنى ان طول الارض كلـه يمكن أن يسكن لحال مزاجه وذلك أن الحر والبرد لا يكونان مفرطين فى طول الارض لـكن فى عرضها ، ولو لم يـكن البحر يمنع لـكان طول الارض كلـه مسلوكا قال والعيان يشهد ايضا على أن طول الارض يسلك فى البر والبحر لان الطول مخالف للعرض كثيرا

قال المسعودى وقد ذكرنا فى كتاب (فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف) ماذهبت اليه الفرس والنبط فى قسمة المعمور من الارض وتسميتهم مشارق الارض وماقارب ذلك من مملكتها خراسان وخر: الشمس فأضافوا مواضع المطالع اليها والجهة الثانية وهى المغرب خربران وهو مغيب الشمس والجهة الثالثة وهي الشمال باختراً والجهة الرابعة وهي الجنوب نيمروز وهذه ألفاظ يتفق عليها الفرس والسريانيون وهم النبط وما ذهب إليه اليونانيون والروم فى قسمة المعمور من الارض على ثلاثة أجزاء وهى أورفا ، ولوبية ، وآسية وغير ذلك من كلام سائر الامم فى هـذه المعـانى ، فلنقل الآن فى الاقاليم وصفتهـا وما قيل فى قسمتها وغير ذلك .

ذكر الاقاليم السبعة

وقسمتها وحدودها وما قيل فى طولها وعرضها وما اتصل بذلك

كل ما كان من الارض معمورا فهو مقسوم بسبعة أقسام يسمي كل قسم منها اقليما وقد تنازع من عنى من حكماء الامم وفلاسفتهم بعلم الهندسة ومساحة الارض فى هذه الاقاليم السبعة أفى الشمال والجنوب أم فى الشمال دون الجنوب؟ فذهب الاكثرون الى أن ذلك فى الشمال دون الجنوب لكثرة العمارة فى الشمال وقلتها فى الجنوب ورأى قوم أن القدماء انما قصدوا لقسمة الاقاليم السبعة فى الجانب الشمالى من خط معدل النهار ولم يقسموا فى الجنوبى شيئا لقلة قدر العمارة فى الجنوب عن الخط وذهب هرمس فى متبعيه من المصريين وغيرهم الى ان فى الجنوب سبعة اقاليم كما هى فى الشمال وكان يجعل قسمة اقاليم العمران من الشمال مدورة فيجعل الاقليم الرابع وهو إقليم بابل واسطا لها وستة دائرة حوله وان كل اقليم سبعمائة فرسخ فى مثله فالاقليم الاول الهند والثانى الحجاز والحبشة والثالث مصر وافريقية والرابع بابل والعراق والخامس الروم والسادس ياجوج وماجوج والسابع يوماريس والصين ويبتدئ جميعها من المشرق مما يمر ببلاد الصين وغيرها ، فحد الاقليم الاول البحر مما يلى المشرق والثانى البحر مما يلى الحجاز والثالث الديبل من ساحل المنصورة من أرض السند والرابع حد الاقليم السابع مما يلى الصين أطول ساعات نهاره ثلاث عشرة ساعة وحد الاقليم الثانى البحر مما يلى عمان إلى الشحر ، والأحقاف إلى عدن أبين إلى جزائر الزنج والحبشان ، وأطول ساعات نهاره ثلاث عشرة ساعة ونصف

وحـد الاقليم الثالث ينتهي الى أرض الحبشة ممـا يلي الحجاز إلى بحر الشـأم الذى بين مصر وأرض الشام الى وسط البحر الذى يلي الأندلس مما يلي المغرب أطول ساعات نهاره أربع عشرة ساعة. وحد الاقليم الرابع الثعابية والثانى وسط نهر بلخ والثالث خلف نصيبين باثنى عشر فرسخا من ناحية سنجار والرابع وراء الديبل من ساحل المنصورة من بلاد السند بستة فراسخ أطول ساعات نهاره أربع عشرة ساعة ونصف ساعة وحد الاقليم الخامس بحر الشام الى أقصى أرض الروم مما يلي البحر الى تراقية وبلاد برجان والصقالبة والأبر الى حد أرض ياجوج وماجوج الى حـد الاقليم الرابع ممـا يلي نصيبين أطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة، وحد الاقليم السادس من الصين الى حد الاقليم الخامس الى البحر مما يلي المشرق أطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة ونصف، وحد الاقليم السابع أرض الهند الى حد الاقليم الرابع الى حد الاقليم السادس الى البحر أطول ساعات نهاره ست عشرة ساعة، وفى كتاب مارينوس أن مساحة هذه الاقاليم فى الطول ثمـانية وثلاثون ألفاً وخمسمائة فرسخ فى عرض ألف فرسخ وسبعمائة وخمسة وسبعين فرسخا، وقد أنكر ذلك على مارينوس جمـاعة ممن تقدم وتأخر

قال المسعودى : بين الأسلاف والأخلاف من حـكماء الامم فى مقادير هذه الاقاليم السبعة وأطوالهـا وعروضها وعـدد ساعاتها وابتدائها وغاياتها وما فيها من مسا كن الامم فى البر والبحر تنازع كثير، وقد أتينا على شرح كثير من ذلك فيما تقدم من كتبنا . ورأيت هذه الاقاليم مصورة فى غير كتاب بأنواع الأصباغ . وأحسن ما رأيت من ذلك فى كتاب جغرافيا لمـارينوس وتفسير جغرافيا قطع الارض وفى الصورة المأمونية التى عملت للمأمون اجتمع على صنعتها عدة من حكماء أهل عصره صور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومسـا كن الامم والمدن وغير ذلك، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا

ابطلميوس وجغرافيا مارينوس وغيرها

ذكر قسمة الاقاليم

على الكواكب السبعة ـ الخمسة والنيرين ـ

قسموا هذه الاقاليم بين الكواكب السبعة على قدر تواليها وتتابعها فى الفلك . فالاقليم الاول لزحل وهو كيوان بالفارسية له من البروج الجدى والدلو الاقليم الثانى للمشترى وهو بالفارسية أورمزد له من البروج القوس والحوت. الاقليم الثالث للمريخ وهو بالفارسية بهرام له من البروج الحمل والعقرب . الاقليم الرابع للشمس وهو بالفارسية خرشاد ومن أسمائها آفتاب لها من البروج الأسد . الاقليم الخامس للزهرة وهى بالفارسية أناهيد لها من البروج الثور والميزان . الاقليم السادس لعطارد وهو بالفارسية تِير له من البروج الجوزاء والسنبلة . الاقليم السابع للقمر وهو بالفارسية ماه له من البروج السرطان ، واسم الاقليم بالفارسية كِشْوَر واسم الفلك إسْپِهْر وذلك بالفارسية الاولى وبهذه الفارسية حايدان

قال المسعودى : وفيما حكيناه تنازع بين حكماء الامم من الفرس واليونانيين والروم والهند والكلدانيين وغيرهم والاشهر ما ذكرناه وقد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا ، وكذلك ما تنازعوا فيه من اشتراك البروج الاثنى عشر فى الأقاليم السبعة ، وخاصة الكواكب السبعة فى الآراء والملل والنواحي والآفاق وغير ذلك .

قال المسعودى : ونحن ذاكرون الاقليم الرابع وما بان به عن سائر الاقاليم وجلالة صقعه وشرف محله اذ كان به مولدنا وفيه منشؤنا وكنا أولى الناس بتقريظه والابانة عن شرفه وفضله وان كان ذلك اشهر من أن يحتاج فيه الى إطناب

ولا يحويه لعظمه كتاب .

ذكر الاقليم الرابع

ووصفه وفضله على سائر الاقاليم ، وما خص به ساكنوه من الفضائل التى باينوا بها سكان غيره منها وما اتصل بذلك من الكلام فى عروض البلدان واطوالها والاهوية والترب والمياه وتأثيراتها وغير ذلك

الاقليم الرابع يضاف الى بابل ويعرف بها وكان اسمه بالكلدانية وهى السريانية خنيرثوبه كانت تسميه جميع طبقات الفرس ، وكانت بابل تسمى بالفارسية والنبطية بابيل ومن حكماء الفرس والنبط من يذهب الى أنها سميت بهذا الاسم اشتقاقا من اسم المشترى وهو بلغتهم الاولى بيل لتوليه هذا الاقليم ووقوعه فى قسمته وحدود هذا الاقليم الشريف المفضل على سائر الاقاليم مما يلى ارض الهند الديبل ومما يلى الحجاز الثعلبية من طريق العراق الى الحجاز ومما يلى الشأم نصيبين ومما يلى خراسان نهر بلخ ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ماقيل فى حدوده ايضا عند ذكرنا الاقاليم فعلى هذا التحديد قد دخل فى هذا الاقليم مادون النهر من خراسان والجبال كلها من الماهات وغيرها والعراق بأسره وغير ذلك، ولم يعرف ما حواه هذا الاقليم من ذلك اجمع الا ببابل لفضل موضعها وجلالة صقعها لان ذوى المعرفة من الناس انما ينسبون الشىء الى الافضل المشهور ولولا ان بابل كذلك ما نسبوا هذا الاقليم مع سعة ارضه وجلالة ماحوى من البلدان اليه، وهذا الاقليم وسط الاقاليم السبعة واعدلها وافضلها وبلد العراق وسطه فهو شرف الارض وصفوتها ؛ اعدلها غذاء واصفاه هواء متوسط بين إفراط الحر والبرد وموضعه الموضع الذى ينقسم فيه الزمان أربعة اقسام فلا يخرج ساكنوه من

شتاء الى صيف حتى يمر بهم فصل الربيع ولا من صيف الى شتاء حتى يمر بهم فصل الخريف ؛ ولما ذكرنا من توسطه كانت ملوك سوالف الامم تحله اذ كان نسبة الملك الى المملكة التى هو عليها نسبة القلب الى البدن الذى هو فيه فكما كان الله عز وجل بلطيف حكمته لما* خلق القلب اشرف الاعضاء احله من البدن اوسطه كانت هذه سبيل الملك فيما يسكنه من مملكته وكانت قدماء الملوك تقول الملك الاعظم مركز لدائرة ملكه بعده من محيطها بعد واحد وتد مركوز وعلم منشور منه يستمد التدبير، واليه ترد الامور. ولذلك يقال ان الملك الاعظم والمدبر الاكبر ينبغى أن يكون منزله الواسطة من هذا الاقاليم وهو الرابع ، والعراق أشرف المواضع التى اختارتها ملوك الامم من النماردة وهم ملوك السريانيين الذين تسميهم العرب النبط ثم ملوك الفرس على طبقاتهم من الفرس الاولى الى الساسانية وهم الاكاسرة وهى حيث تلتقى دجلة والفرات وما قرب من ذلك، وهي من السواد البقعة التى حدها الزابى فوق سر من رأى مما يلى السن وتكريت وناحية حلوان مما يلى الجبل وهيت مما يلى الفرات والشأم وواسط من اسفل دجلة والكوفة من سقى الفرات الى بهندف وبادرايا وباكسايا وهى بالنبطية ترقف من ارض جوخي ، وهذه الارض هي لب ايرانشهر التى تفانت عليها ملوك الامم فكان اختيارهم بفضل آرائهم، المصيف بالجبال ليسلموا من سمائم العراق وكثرة ذبابه وهوامه ، والمشتى بالعراق ليسلموا من زمهرير الجبل وكثرة ثلوجه وامطاره ووحوله واقذاره

وقد كان أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى يفعل ذلك ، فقال مفتخرا به فى كلمة له طويلة

إنى امرؤ كسروى الفعال أصيف الجبالَ وأشتو العراقا

وألبس للحرب أثوابها وأعتنق الدارعين اعتناقا

ولما بلغ عبد الله بن طاهر هـذه الابيات بعد افتتاحه مصر والشأمات قال يرد عليـه

ألم تر أنا جلبنـا الجيادا   الى أرض بابل قبًّا عِتاقا
الى أن وردن بأدوائها   قلوب رجال أرادوا النفاقا
وأنت ابا دلف ناعم   تصيف الجبال وتشتو العراقا

وكانت الفرس تسمى هذا الصقع ايضا ايرانشهر اضافةالي ايرج بن إفريدون حين قسم افريدون الارض بين ولده الثـلاثة فجعل لسـلم الروم ومايليهم من الامم ولطوج الترك وما يليها من الامم ولايرج العراق وما يليه من الامم فأضيف اليه وفي ذلك يقول شاعرهم في الاسلام مفتخرا :

وقسمنا ملـكنا في دهرنا   قسمة اللحم على ظهر الوضم
فجعلنا الشأم والروم الى   مغرب الشمس الى الغطريف سلم
ولطوج جعل الترك له   فبلاد الترك يحويها ابن عم
ولايران جعلنـا عنـوة   فارس الملك وفزنا بالنعم

ومنهم من يذهب الى ان معنى إيرانشهر بلد الخيار لان اير بالفارسية الأولى اسم جامع للخير والفضل، ومن ذلك قولهم لرئيس بيت النار إير بذاى رئيس الخيار الفاضلين فعرب فقيل هربذ* والنبط تذكر ان هذا الاقليم لها ملـكته في سالف الدهر وان ملوكهم النماردة منهم نمرود ابراهيم الخليل ، والنمرود سمة لملوكهم وان الفرس كانت بفارس والماهات وغيرها من بلاد الفهلويين وان هذا الصقع مضاف اليهم، وانما هو بلد أريان شهر، معنى ذلك بلد السباع لأن السباع تدعى بالنبطية أريان احدها اريا فشبهوا بالسباع لشدة بأسهم وشجاعتهم وعظم ملكهم وكثرة جنودهم ، فلما غلبت الفرس عليهم لما كان بينهم من التحزب والحروب واختلاف الـكلمة وتباين الممالك ودامت ايامهم واتصل ملـكهم دخلوا في جملتهم

وتعززوا بهم وانتسبوا اليهم، ثم جاء الاسلام فقضى على ذلك اكثرهم وانفوا من النبطية لزوال العز الذى كان فيهم، وانتمى جلهم الى ملوك الفرس حتى قال بعض المتأخرين في ذلك :

أيا دهر ويحك كم ذا الغلط وضيع علا وكريم سقط
وعير يخلد فى جنة وطرف بلا عاف يرتبط
وأهل القرى كلهم يدعون بكسرى قباذ فأين النبط

وقد حد كثير من الناس السواد وهو العراق، فقالوا حده مما يلى المغرب وأعلى دجلة من ناحية أثور وهى الموصل القريتان المعروفة احداها بالعَلْث من الجانب الشرقى من دجلة وهى من طسّوج بُزُرْ جسابور والأخرى المعروفة بحَرْبى وهى بازائها فى الجانب الغربى من طسوج مَسْكِن، ومن جهة المشرق الجزيرة المتصلة بالبحر الفارسى المعروفة بميان روذان من كورة بهمن أردشير وراء البصرة مما يلى البحر طول ذلك مائة وخمسة وعشرون فرسخا ـ والحد الشمالى من عقبة حلوان الى الموضع المعروف بالعذَيب وراء القادسية من جهة الجنوب مسافة ما بين هذين الموضعين وهو عرض السواد ثمانون فرسخا ، يكون ذلك مكسرا عشرة آلاف فرسخ والفرسخ اثنى عشر ألف ذراع بالذراع المرسلة يكون بذراع المساحة وهى الذراع الهاشمية تسعة آلاف ذراع وهو مائة وخمسون أشلا يكون ذلك جربانا اثنين وعشرين ألفا وخمسمائة جريب هذا انما هو تكسير اشل فاذا ضرب ذلك فى عدد الفراسخ وهو عشرة آلاف فرسخ بلغ مائتى ألف ألف وخمسة وعشرين ألف ألف جريب ، اسقط أرباب الخراج لمواضع الجبال والآكام والتلول والآجام والسباخ ومدارس الطرق والمحاج ومجارى الانهار ومواضع المدن والقرى وغير ذلك من المواضع التى لا يتأتى فيها الحرث على التخمين والتقريب الثلث من ذلك وهو خمسة وسبعون ألف ألف جريب فيبقى مائة ألف ألف وخمسون ألف ألف

جريب يراح النصف من ذلك ويكون النصف معمورا مع مافى الجميع من النخيل والكروم وسائر الاشجار وما يعمر دائما من الارضين ، ولم يزل السواد فى ملك النبط والفرس مقاسمة الى أيام قباذ بن فيروز الملك ، فانه فرض على كل جريب درهمين وألزم الناس المساحة وأطلقوا فى أملاكهم وكانوا ممنوعين منها الى وقت القسمة فهلك قبل اتمام ذلك فلما ملك أنوشروان بعده تممه وأخذ الناس به فارتفع أول سنة مائة ألف ألف وخمسين* ألف ألف درهم من الدراهم التى وزن الدرهم منها مثقال، وقد كان خسرو ابرويز بن هرمز بن أنو شروان بن قباذ ـ اجتبى مملكته فى سنة ثمانى عشرة من ملكه وكان فى يده السواد وأرض الاعاجم دون أعمال الغرب وكان حد مملكته إلى هيت وما وراء ذلك من الموصل والجزيرة والشام بيد الروم من الورق اربعمائة ألف ألف وعشرين ألف ألف مثقال يكون ذلك وزن سبعه* ستمائة ألف ألف درهم وكثير من هذه النواحى اليوم على ما كانت عليه فى ذلك الوقت لم يغز ارضوها ولم يبد ساكنوها وانما يحتاج أن يكون مع ملاكها ومدبريها تقى الله أولا ثم دراية ونجدة وعدل وعفة وسياسة حتى تستقيم الامور وينتظم التدبير ويأتى من الأموال ما يسد به أركان الملك وتعمر به البلاد ويشحن به الثغور ويقمع به العدو إذ كان سلوك طريقة العدل يؤدى إلى طول المدة واتصال أيام الدولة وبالعدل ركب جميع العالم فلا جرم أنه لا يقوم الا بالحق وهو ميزان الرب فى الأرض بين عباده فلذلك حكمته مبرأة من كل ميل وزلل ، فمن بخسه بتر عمره وانقضت أيامه ، وظلم الرعية ، استجلاب البلية .

وكان السواد يعد فى أيام الفرس اثنتى عشرة كورة ، تسمي الكورة بلغتهم استان وطساسيجه ستون طسوجا فى كل كورة عدة طساسيج وتفسير الطسوج الناحية ثم تغير ذلك على مر الأيام لانخراق دجلة وخروجها عن عمودها ، وكان مجراها فى جوخى وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر وغيره حتى صارت

بطائح الى هذا الوقت مسيرة أيام وذلك بين واسط والبصرة واسمها فى هذا الوقت فى ديوان السلطان آجام البريد وأخراب جوخى وكانت اعمر السواد

وأهلها المتقدمون على أهله واضافة كورة حلوان الى كورة الجبل وكانت تدعى شادفيروز وغير ذلك فصارت كور السواد عشر كور تحوى ثمانية وأربعين طسوجا ثم آل ذلك الى نقص وخراب لبثوق انبثقت وجلاء وانتقال وجدب وجور وحيف من الأتراك والديلم الذين غلبوا على هذا الصقع إلى هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥ فى خلافة المطيع ، وقد وصف بعض أهل المعرفة سكان هذا الصقع الشريف وهو العراق فقال «هم هل العقول الصحيحة والشهوات المحمودة والشمائل الموزونة والبراعة فى كل صناعة ، مع اعتدال الأعضاء واستواء الاخلاط وسمرة الألوان وهى أعدلها وأقصدها ، يستدل علي اعتدال مزاج باطن أبدانهم بالذى يرى من السمرة الظاهرة فى ألوانهم واعتدال أعضائهم أحسن الناس ألوانا ووجوها وأتمهم حلما وفهما فهم أهل العلم والخير ، وذلك لامتزاج صقعهم من حر الجنوب وبرد الشمال وغلب عليهم المشترى لامتزاجه من برد فلك زحل وحرارة فلك المريخ فاعتدلوا فاجتمعت فيهم محاسن جميع الاقطار كما اعتدلوا فى الجبلة كذلك لطفوا فى الفطنة والتمسك بمحاسن الامور، وكيف لايكونون كذلك وهم أرباب الوافدين وأصحاب الرافدين من دجلة والفرات ، والثمانية والاربعين طسوجا » . قال الفرزدق فى هجاء ابن هبيرة :

أأطعمت العراق ورافديه ⁝ فزاريا أحذ يد القميص

وقال بشار بن برد :

الرافدان توافى ماء بحرهما ⁝ الى الأبلة شربا غير محظور

وقال آخر هذان الواديان رائدان لأهل العراق لايكذبان

قال المسعودى والصقع الذى مدينة السلام منه أفضل مواضع الارض جميه

فى الطيب والغذاء، وذلك أن أطيب خيرات الدنيا بعد الأمن والعافية والعز والرئاسة ؛ صلاح الماء والهواء، ثم أفضل أنهار العالم دجلة والفرات، وان نازع فى ذلك أهل مصر وفضلوا نيلهم؛ وأطيب مواضع العالم فى كل الازمنة عند قياس بعضها إلى بعض وقياس بعض البلدان إلى بعض موضع اجتماع دجلة والفرات ، وذلك أن بعض المواضع يطيب صيفه ويفسد شتاؤه فسادا يمتنع فيه من المكاسب المهنية والمطالب الصناعية لشدة برده ودوام سقوط ثلجه، ومنها مايطيب شتاؤه ويفسد صيفه حتى يشغل الحر والومد والبق والهوام عن تخشين الزى باللباس والتصرف فى المهن والصناعات ويعز* علينا بما دفعنا إليه من مفارقة هذا المصر الذى به مولدنا وفيه منشؤنا ، فنأت الأيام بيننا وبينه وساحقت مسافاتنا عنه فبعدت الدار ؛ وتراخى المزار. لكنه الزمن الذى من شأنه التشتيت والدهر الذى من شرطه الافاتة، ولقد أحسن أبودلف القاسم بن عيسى العجلى حيث يقول فى هذا المعنى فى كلمة له

أيا نكبة الدهر التى طوحت* بنا أيادى سبا فى شرقها والمغارب
قفى بالتى نهوى فقد طرت* بالتى اليها تناهت فاجعات المصائب

وقال آخر

بلاد بهاأ نسى وأهلى وجيرتى وقد يتناسى الشىء وهو حبيب

ولولا الشوق إلى الوطن والحنين الي المنشأ لم نذكرماذكرناه منهذه المعانى قال بعض الحكماء : إن من علامة وفاء المرء وحسن دوام عهده ؛ حنينه الى اخوانه وشوقه الى أوطانه ؛ وإن من علامة الرشد أن تكون النفس الى مولدها مشتاقة، والى مسقطرأسها تواقة

وقال آخر : عمر الله الأبدان* ، بحب الاوطان . فمن علامة كرم المحتد ، الحنين الى المولد

قال المسعودى : وكثير ممن تقدم وتأخر من أهل صناعة النجوم إذاحصلوا أمر بغداد قالوا عرض وسط الاقليم الثالث أى بعده من خط الاستواء ثلاثون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة وعرض وسط الاقيم الرابع ست وثلاثون درجة ثم قالوا عَرض بغداد ثلاث وثلاثون درجةوتسع دقائق فبغداد إذاً عندهم كانها قريبة من أن تكون بين وسطى الاقليمين الثالث والرابع والاكثر منهم يرى أنها من الاقليم الرابع على ماذكرناه ،وممن يرى ذلك من تقدم مارينوس ودورثيوس وغيرهما من الفلكيين

وعرض كل بلد هو بعده عن خط الاستواء وان شئت قلت ارتفاع القطب عليه ان كان فى النصف الشمالى من الارض فارتفاع القطب الشمالى وان كان فى النصف الجنوبى من الارض فارتفاع القطب الجنوبى ، لأنه كلما تباعدت المدينة عن خط الاستواء درجة ارتفع احد القطبين درجة وانخفض الآخر درجة والطول هو بعد المدينة من المغرب وربما كان بعدها من المشرق ومن المغرب إلى المشرق مائة وثمانون درجة فعرض بغداد ثلاث وثلاثون درجة وطولها سبعون درجة وكذلك عرض دمشق وعرض بغداد واحد وطول دمشق ستون درجة ، وكذلك عرض مدينة القيروان من بلاد افريقية من ارض المغرب ، وكذلك ايضا عرض بيت المقدس وقيسارية وصيدا وصور وانطاكية ومدينة السيرجان من ارض كرمان

ومما عرضه ثلاثون فسطاط مصر والبصرة وشيراز وشينيز وجنابا ومهروبان وتوج من ارض فارس والقندهار من أرض السند ، ومما عرضه ست وثلاثون درجة مدينة حلب من جند قنسرين من أرض الشأم ومنبج وبالس والرقة ونصيبين ونهاوند من الماهات وهمذان وطرسوس من الثغر الشأمى وقم والرى والموصل وبلد وسميساط وجسر منبج ودباوند وقومس ومدينة نيسابور

وبخارى وسمرقند وأشروسنة من بلاد خراسان

وكلما فى الاقاليم من المدن فعلى خط واحد وان كان ذلك مختلفا عند من لاعلم له بهذه الامور لمايرى من اختلاف وضع هذه المدن وبعد المسافات بينها طولا وعرضا، والاقاليم كلها مستقيمة كذلك رأيتها فى الصورة المأمونية وغيرها

واهوية هذه المواضع تختلف وان اتفقت فيما ذكرنا من العرض وغيره لآفات وعوارض من ذلك ان يكون بخارات باردة وفى اعماق الأرض فتظهر فتكون سبيل تلك المواضع من الأرض ان مايتولاها من الكواكب يوجب تأثير الحرارة فيها فيغلب ماظهر من البرودة منها عليها تدفع فعل الكواكب، كالسروات من ارض التهائم وهى ثلاث سراة منها مابين تهامة ونجد، ادناها وج وهى الطائف، واقصاها قرب صنعاء من ارض اليمن والسروات ارض عالية وجبال مشرفة يجب ان تكون حارة لتأثير الكواكب الا أن مايظهر من بخار الارض يغلب على البلد فصار باردا وكذلك ايضا دمشق عرضها وعرض بغداد واحد على ماذكرنا فيما تقدم فيجب ان تكون حارة كحر بغداد، الا ان البرد يغلب عليها لما يظهر من بخار الارض من البرودة فكان الحكم له، وكذلك قد تكون مواضع من الارض ما يتولاها من الكواكب يوجب تأثير البرودة فيها فيظهر من قعور الارض بخارات كثيرة حارة فتدفع ذلك وتصير الحكم لها وتجعل ذلك البلد حارا ككثير من البلدان الحارة

وقد تكون بقاع من الارض يغلب على مايظهر منها من البخار البارد تأثيرات الكواكب بالحر فيكون الحكم له ويغلب على ما ظهر منها من البخار الحار تأثيراتها بالبرد فيكون الحكم له واملل غير ذلك يطول ذكرها هى موجودة فى كتب المتقدمين على الشرح والايضاح

وقد قدمنا فيما سمينا من كتبنا لمعا من ذلك فاغنى عن اعادته فى هذا

الكتاب مع اشتراطنا على انفسنا فيه الاختصار والايجاز وفى القليل كفاية لمن كان له بالعلم عناية

وكل ما كان على رأس قبة الارض ووراءها الى الشق الشرقى فهو عند اهل الشق الغربى ارفع ؛ لجهات ،منها ان المشرق لطلوع الكواكب وظهور النهار والمغرب لهبوطها وانخفاضها* والثانية ان المشرق ذكر والمغرب انثى وقسم هذا الكواكب المذكرة وقسم ذلك الكواكب المؤنثة والذكر ابدا أعلى من الانثى، والثالثة ان حركة الفلك الى المشرق هى ارتفاعه وحركته الى المغرب هى انخفاضه والرابعة وهى الوجه العيانى والمذهب القياسى انا نجد بلد فارس ارفع من العراق والعراق أرفع من الشأم والشأم ارفع من مصر والاسكندرية

من ذلك ان حساب بغداد مثل محمد بن موسى الخوارزمي ويحيى بن ابى منصور وسند بن على وابى معشر وغيرهم وجدوا طول بغداد من المشرق مائة درجة وعشر درجات يريدون من افق القبة الى وسط سماء بغداد وذلك يعرف بساعات وسط الكسوف فى المواضع المختلفة المتباعدة ووجد ابطلميوس على ماعبر عنه ثاون الاسكندرانى طول الاسكندرية من المشرق مائة وتسع عشرة درجة ونصفا فاذا طرحنا بعد بغداد من بعدها بقى تسع درجات ونصف فقلنا تطلع الشمس ببغداد قبل الاسكندرية بثلثى ساعة غير ثلثى عشر ساعة، وكذلك تخالف البلاد فى العروض من ذلك ان ارتفاع القطب الشمالى عن أفق صنعاء من بلاد اليمن اربع عشرة درجة ونصف وارتفاعه على بغداد ثلاث وثلاثون درجة وكسر، ومن هذا يطول النهار فى بلد ويقصر فى بلد ومن الدليل على ذلك ان ارتفاع سهيل فى وسط سمائه على اليمن ثلاث وعشرون درجة وهو بالعراق على خط الأفق وبخراسان لايرى ولا تغيب بنات نعش هنالك وتغيب باليمن واشباه لهذا كثيرة

قال المسعودي: وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما امر

المستعين بنفيه الى برقة وذلك فى سنه ٣٤٨ فصار الى الاسكندرية من بلاد مصر رأى حمرة الشمس على علو المنارة التى بها وقت المغيب فقدر انه يلزمه ان لا يفطر إذ كان صائما او تغرب الشمس من جميع اقطار الارض وذهب عليه ان الله عز وجل انما فرض على كل قوم ان يصوموا الى ان تغيب الشمس فى بلدهم لأن مغيبها يختلف بحسب اختلاف البلدان فيكون مغيبها فى بلاد المشرق قبل مغيبها فى بلدان المغرب كما كان طلوعها فى المشرق قبل طلوعها فى المغرب لما قدمناه من اقاويل المنجمين فى ذلك ، ويجوز ان يكون ذلك لاسباب استأثر الله بغيبها، فامر عبيد الله انسانا ان يصعد الى اعالى منارة الاسكندرية ومعه حجر وان يتأمل موضع سقوط قرص الشمس فاذا سقطت رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر الى قرار الارض بعد صلاة العشاء الآخرة فجعل إفطاره بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد اذا صام فى مثل ذلك الوقت وكان عند رجوعه الى سر من راى لا يفطر الا بعد العشاء الآخرة وعنده ان هذا فرضه، وان الوقتين متساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض ومجارى امر الشرق والغرب

وقد ذكر ارسطاطاليس فى كتاب الآثار العلوية ان بناحية المشرق الصيفى جبلا شامخا جدا وان من علامة ارتفاعه ان الشمس لا تغيب عنه الى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل الصبح بثلاث ساعات

ومنارة الاسكندرية إحدى* بنيان العالم العجيب، بناها بعض البطلميوسين من ملوك اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فيلبس الملك، لما كان بينهم وبين ملوك رومية من الحروب فى البر والبحر، فجعلوا هذه المنارة مرقبا فى أعاليها مرآة عظيمة من نوع الاحجار المشفة يشاهد منها مراكب البحر اذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها ، فكانوا يراعون ذلك فى تلك المرآة فيستعدون لهم قبل مرورهم

وطول المنارة فى هذا الوقت على التقريب مائتان وثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحو أربعمائة ذراع فهدمت على طول الزمان وترادف الزلازل والامطار لان بلد الاسكندرية يمطر ، وليس سبيلها سبيل فسطاط مصر اذ كان الغالب عليها أن لا تمطر الا اليسير، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ما قال الناس فى ذلك والسبب فى امتناعه

وبناؤها ثلاثة اشكال فقريب من النصف واكثر من الثلث مربع الشكل ، بناؤه بأحجار بيض يكون نحوا من مائة ذراع وعشرة* أذرع على التقريب ، ثم من بعد ذلك مثمن الشكل مبنى بالآجر والجص نحوا من نيف وستين ذراعا وحواليه فضاء يدور فيه الانسان ، واعلاها مدور

وكان احمد ابن طولون أمير مصر والاسكندرية والشأم رم منه شيئا وجعل فى أعلاه قبة من الخشب ليصعد* اليها من داخلها، وهى مبسوطة مؤربة بغير درج وفى جهة الجانب الشرقى من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يونانى يكون طول كل حرف ذراعا في عرض شبر ويكون مقدارها على وجه الارض نحوا من مائة ذراع ، وماء البحر قد بلغ أصلها وقد كان تهدم أحد أركانها الغربية مما يلي البحر فبناها ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون ، وبينها وبين مدينة الاسكندرية فى هذا الوقت نحو ميل، وهي على طرف لسان من الارض قد ركب ماء البحر جنبيه، مبنية على فم ميناء* الاسكندرية وليس بالميناء القديم لان القديم فى المدينة العتيقة لا ترسو* فيه المراكب لبعده عن العمران ، والميناء هو الموضع الذى ترسو* فيه مراكب البحر، واهل الاسكندرية يخبرون عن أسلافهم أنهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحوا مما بين المدينة والمنارة في هذا الوقت ، فغلب عليه ماء البحر فى المدة اليسيرة ، وأن ذلك فى زيادة

قال المسعودى : وتهدم فى شهر رمضان سنة ٣٤٤ نحو من ثلاثين ذراعا من

أعاليها بالزلزلة التى كانت ببلاد مصر وكثير من بلاد الشأم والمغرب فى ساعة واحدة ، على ما وردت به علينا الأخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر، وكانت عظيمة جداً مهولة فظيعة ، أقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك النصف من يوم السبت لاثنى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر ، وهو اليوم الخامس من كانون الآخر من شهور السريانيين، واليوم التاسع من دى‌ماه من شهور الفرس، والتاسع أيضا من طوبه من شهور القبط — وقد دخلنا أكثر المواضع المشهوره بكثرة الزلازل وعظمها مثل بلاد سيراف من ساحل فارس وهي بين جبل وبحر وبلاد الصيمرة من مهرجان قذق وماسبذان من أرض الجبال ، وهى فى سفح جبل عظيم يقال له كبر ومدينة انطاكية من جند قنسرين والعواصم ، من أرض الشأم وهى فى سفح جبل مطل عليها وبلاد قومس وهى كثيرة الزلازل جداً وتغور أعين وتغور فى مواضع أخر لعظم ذلك، فالبلد شديد الاختلال . وبين بلاد قومس وبين نيسابور جبل عظيم شامخ طويل كثير المياه والاشجار والثمار والاودية وفيه خلق من العباد يأكلون من تلك الثمار ويأوون الى كهوف وغيران هنالك يقال لهذا الجبل جبل مورجان ، ومورجان قرية بقرب هذا الجبل والجبل بين هذه القرية وبين قرية من أعمال نيسابور تعرف بهفدرة تفسير ذلك سبعة أبواب ، وذلك أول عمل خراسان لأن قومس عمل مفرد بين الرى وخراسان ومدنها بسطام وسمنان والدامغان ، ولها جبل آخر عظيم بينها وبين طبرستان يقال له قارن ، ومدينة آمل ويطل* عليها الجبل العظيم المعروف بدباوند ويقال إنه أعلى جبال العالم وكثير من مدن طبرستان وغير ذلك من البلاد — فلم أر أعظم امراً من هذه الزلزلة ولا اطول مكثا، وذلك انى تبينت تحت الأرض كالشىء العظيم يما كُّها مارا تحتها وهازا ومحركا لها، كأنه أعظم منها وكأنها كالنائية عنه ، مع دوى عظيم فى الجو

وكانت السلامة بحمد الله شاملة للناس ، والتهدم قليل وقد كان خسف بضياع كثيرة وقرى وعمائر واسعة من بلاد كش ، ونسف مما يلى سمرقند من أرض خراسان ، بزلازل تواترت كان مبدؤها من نحو بلاد الصين الى ان اتصلت ببلاد فرغانة ، وهذه البلاد هلك فيها خلق كثير من الناس فمنها ماصار موضعها آجاما ومياها سودا منتنه ؛ ومنها ماصارت كالرماد لانقلابها فى سفوح جبال شاهقة منيعة ، وذلك مشهود ببلاد خراسان وغيرها ، وقد ذكرنا ماقاله الناس من الشرعيين وغيرهم فى الزلازل وحدوثها والهدات والخسوف وكونها فيما تقدم من كتبنا

فاذ قد ذكرنا الاقاليم السبعة ، وما قيل فى اطوالها وعروضها ، ووصفنا الاقليم الرابع وفضله على سائرها وما اتصل بذلك ؛ فلنذكر البحار وكمية اعدادها ومقادير مسافاتها وغير ذلك من الاخبار عنها

ذكر البحار واعدادها

وما قيل فى اطوالها وعروضها واتصالها وانفصالها ، ومصبات عظام الانهار اليها وما يحيط بها من الممالك وغير ذلك من احوالها

تنازع من سلف وخلف فى البحار واعدادها ومسافاتها وأطوالها وعروضها واتصالها وانفصالها وجزرها ومدها وغير ذلك من احوالها ، ونحن ذاكرون اصح مانقل فى ذلك واشهره ومبينوه ، اذ كنا عنينا بذلك برهة من دهرنا وصرفنا اليه همنا مشاهدة وخبرا ، حتى وقفنا منه على مانظن أنه استغلق على غيرنا علمه وغرب عليهم فهمه ، فاول مانبدأ من ذلك بوصف البحر الحبشى إذ كان اعظم مافى المعمور من البحار وأجلها قدرا واعظمها خطرا لاكتناف الممالك الجليلة

اياه، وما خص به من الجواهر النفيسة وانواع الطيب والعقاقير فى قعوره وجزائره وشطوطه ، وهذا حين نبتدئ بذلك على اختصار وإيجاز

ذكر الاول منها وهو الحبشى

البحر الحبشى هو بحر الصين والسند والهند والزنج والبصرة والأبلة وفارس وكرمان وعمان والبحرين والشحر واليمن وأيلة والقلزم من بلاد مصر والحبشة وليس فى المعمور بحر أعظم منه وهو مساو فى الطول لخط الاستواء آخذ* من اقصى بلاد الحبشان التى فى المغرب الى اقصى بلاد الهند والصين فى المشرق وطوله على هذا السمت فيما ذكر من عنى بمساحة الارض وتصويرها على مواضعها من العروض والاطوال الفلكية ثمانية آلاف ميل وعرضه فى الشمال ألفان وسبعمائة وقيل ألف وتسعمائة ميل

وممن ذهب الى هذا القول ابطلميوس وغيره ممن تقدم عصره وتأخر عنه، وآخر من ذهب الى ذلك فى الاسلام يعقوب بن اسحاق الكندى فى رسالة له فى البحار والمد والجزر وغير ذلك ، وتلميذه أحمد بن الطيب فى رسالة له ايضا فى منافع البحار والجبال والانهار وادخل ابطلميوس هذا البحر فى حد المعمور وذكر انه ينتهى الى ارض من الجنوب مجهولة ، وذهب آخرون الى ان طوله اربعة آلاف وخمسمائة فرسخ فى مثلها فرد ذلك عليهم اصحاب القول الاول وانكروه لأن اربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ ثمانية عشر ألف ميل اذ كان الفرسخ اربعة اميال بميل ثلاثة آلاف ذراع فيصير طول هذا البحر ثلاثة ارباع منطقة الارض وهى اربعة وعشرون ألف ميل وعرضه ثلاثة ارباع ويصير الباقى من كرة الارض المنكشف من ماء هذا البحر جزءا يسيراً اذا اضيف الى هذا البحر وليس الوجود كذلك والقول الاول اصح وعليه المعول* لما بينا

وما يصب اليه من الأنهار العظام المشهورة الفرات ومخرجه من الاقليم السادس من ناحية قاليقلا وكانت من ثغور ارمينية من تحت جبل هنالك يدعى افرد خمش ويقطع بلاد الروم ويمر بالقرب من ملطية وسميساط وبالس والرقة والرحبة وهيت والأنبار ويأخذ منه نهر عيسى الذى ينتهى الى مدينة السلام وكان يسمى نهر الرُّفيل والصراة ونهر صرصر وجميعها تصب الى دجلة ثم ينقسم الفرات الى جهتين قسم منهما يتوجه يسيرا نحو المغرب يسمى العلقمي يمر بالكوفة وغيرها والقسم الآخر يسمى سُوَرا يمر بمدينة سورا الى النيل والطفوف ويسقى كثيرا من اعمال السواد ثم ينتهى جميع ذلك الى بطيحة البصرة وواسط التى ينتهى منها الى هذا البحر فى دجلة العوراء التى تدعى بالفارسية بهمنشير وهى دجلة المفتح والأبلة وعَبَّادان فمسافته من ابتدائه الى انتهائه خمسمائة فرسخ وقيل ستمائة فرسخ

ودجلة ومخرجها من الاقليم الخامس من عيون بناحية آمد من الموضع المعروف بحصن ذى القرنين وتمر بجزيرة ابن عمر وباسورين وقبرسابور من بلاد قَرْدَى وبازَبْدَى وباهَدْرا وبَلَد والمَوْصل ويصب فيها الزاب الاكبر فوق العُمْر المعروف بعمر بارقانا من كورة المرج وذلك بين الموصل والحديثة من الجانب الشرقى على فرسخ من الحديثة ومبدأ هذا النهر من بلاد مُشَنكَهَر حده بين آذربيجان وباَبغيش مابين ارض قطينا والموصل من عين فى رأس جبل هنالك ينحدر ، وهو شديد الحمرة ويجرى فى جبال واودية وحزونة ويصفو من حمرته ، ويمر بباشَزَّى وأرض حَفْتُون الى أن يصب فى دجلة على ما ذكرنا فتكون مسافته الى أن يصب اليها نحوا من عشرة ايام

والزاب الاصغر فوق السن على ميل منها فى الموضع المعروف بدير ابن كلمش ، ومخرجه من الموضع المعروف بدينور ، والجبال المعروفة بسَلَق من رساتيق آذربيجان مما يلى شَهْرَزُورَ ومسافة جريانه إلى أن يصب فى دجلة نحو من

خمسة عشر يوما

ثم تمر دجلة بمدينة السلام ، فاذا خرجت عنها صبت إليها أنهار كثيرة من الجانب الشرقى منها دَيالى ونهربين والنهروان، ومخرجه من جبال أرمينية وسيسر من بلاد آذربيجان وشهرزور وبلاد الصامغان ؛ ثم يجتمع وينتهى الى الموضع المعروف بباصلوى . وما يلى جلولا وخانقين من طريق خراسان فسمى هناك تامراء ويستمد من القواطيل الآخذة من دجلة ويصير الى الموضع المعروف بباجِسْرَى على فرسخين من دَسكرة الملك ، وهناك يسمى النهروان ويمر ببلاد بَعْقوبا ويشق مدينة النهروان وهى جانبان وجسر بوران وعَبَرتا وبرْزاطِيا واسكاف بنى الجنيد ويصب الى دجلة بناحية جرجرايا ، ثم تصير دجلة الى واسط حتى تصب فى بطيحة البصرة وتنتهى الى البحر

وقد ذكرنا (فى كتاب الاستذكار) سبب انخراق دجلة وخروجها عن عمودها وذلك فى ايام كسرى ابرويز ملك فارس وكان مجراها فى جوخى وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر وغيره حتى صارت بطائح على ماقدمنا. وآثار عمود دجلة الى وقتنا هذا بين فم الصِّلح وبَهَنْدف وبادَرايا وباكُسايا وفامية العراق الى بلاد باذِبينَ ودبربى وقُرقُوب والطّيب وشابرْزان والدّرْمكان الى نهرجور والى المذار ، وقد يصب فى الفرات ودجلة انهار كثيرة مثل نهر سَرْبط وساتِيدَما وأرْسَناس والزّرْم ونهر دوشا ـ وهو بين جزيرة ابن عمر وباسورين

وخابور دجلة ومصبه اليها بين باسورين وقبر سابور ومخرجه من عين تعرف بعين البطريق من ارض الزوزان من بلاد ارمينية ويمر بين الجبل الجودى وجبل التنين وغيره وعليه قصور على بن داود الكردى من الزهزادية وغيره ، وسفان ومخرجه من ناحية الصمر وقارة والجبل المعروف بطم الشيطان مما يلى

جبل طور عبدين وهو جبل فيه بقايا الارمان من السريانيين

وخابور الفرات ومخرجه من رأس العين وكانت تسمى عين الوردة ومصبه الى الفرات بناحية قرقيسيا ، وغير ذلك من الانهار فمقدار مسافة دجلة من ابتدائها الى انتهائها نحو من أربعمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك

ومنها نهر مهران السند ، ومخرجه من الاقليم الخامس من عيون فى اعالى السند وجبالها من ارض قنّوج من مملكة بوورة وارض قشمير والقندهار والطافن حتى ينتهى الى مدينة المولتان، وتفسير المولتان فرج الذهب. وهناك يسمى مهران ثم ينتهي الى بلاد المنصورة ويصب فى البحر على نحو من فرسخين من مدينة الديبل من ساحل السند وبين المنصورة وبين البحر نحو من سبعة أيام وفيه السوسمار وهو التمساح على حسب ما يكون فى نيل مصر وزيادته فى وقت زيادته وله بطائح وآجام عظيمة من القنا والقصب نحو من ثلاثمائة فرسخ فيه جنس من السند يقال لهم المَيْد وهم خلق عظيم حزب لأهل المنصورة، ولهم بوارج فى البحر تقطع على مراكب المسلمين المجتازه الى ارض الهند والصين وجدة والقازم وغيرها كالشوانى فى بحر الروم

وقد ذكر ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى كتابه فى الاخبار عن الامصار وعجائب البلدان : ان مخرج مهران السند والنيل من موضع واحد ؛ واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما وكون التمساح فيهما وان سبيل زراعتهم فى البلدين واحد ، ولا ادرى كيف ذلك وقع له وقد توجد التماسيح فى اكثر اخوار الهند وهى الخلجانات كخور صندابور وخلجان الزابج وغيرها وتلحق الناس وسائر الحيوانات منها الاذية على حسب ما يلحق اهل مصر وحيواناتهم

وقد يتشعب من مهران هذا نهر آخر يسمى مهران الصغير فمقدار مسافة مهران الكبير من ابتدائه الى انتهائه نحو من خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك

ومنها نهر الهنـد العظيم المعروف بجنجس وهو اعظم من مهران وعليه مسا كن كثير من الامم من اصناف الهند وغيرهم ، ومخرجه من جبل بناحية التبت لاعمارة بينه وبين التبت الى ان يصب فى هـذا البحر مما يلى الجزيرة المعروفة بجزيرة العراة من جزائر الهند ، فمسافته من ابتدائه الى انتهائه اربعمائة فرسخ وقيل خمسمائة فرسخ ،وعلى هـذا النهر كان التقاء الاسكندر بن فيلبس وفور ملك الهند ، لا تنا كر بين الهند فى ذلك

وغير ذلك من الانهار العظام كانهار بلاد الاهواز ؛ المشرقان ،ودجيل ، وغيرهما وأنهار فارس وكرمان والهرمند ؛ نهرسجستان ، وغزنين ، والدّوار ، وغير ذلك من بلاد زابلستان وكابل وتيزمكران والسند والهند والصين وجبال الصغد وفرغانة وغير ذلك ما أحاط به من الممالك

ذكر البحر الثانى وهو الرومى

والبحر الثانى وهو الرومى هو بحر الروم والشأم ومصر والمغرب والاندلس والافرنجة والصقالبة وورومية وغيرهم من الامم، طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل ومنه ستمائة وأقل من ذلك واكثر على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر على مرور الازمان

وذهب قوم الى أن طوله ستة آلاف ميل، وأعرض موضع فيه أربعمائة ميل ، ومبدؤه خليج آخـذ من بحر اوقيانس المحيط يعرف بالزُّقاق معترض بين طنجة وسبتة من سواحل افريقيـة وبين سواحل جزيرة أم حـكيم وغيرها من سواحل جزيرة الأندلس ، عرضه هنالك نحو من عشرة أميال ، وجريته بينة تكون* من مبدئه الى أن يتسع ويعظم نحوا من ثلاثة أيام

وما يصب الى هذا البحر من الانهار العظام المشهورة النيل ومبدؤه من عين

تخرج من جبل القمر وراء خط الاستواء بسبع درج ونصف، وذلك مائة فرسخ وأحد واربعون فرسخا وثلثا فرسخ ، يكون أميالا أربعمائة ميل وخمسة وعشرين ميلا ثم يتشعب من هـذه العين عشرة أنهار تصب كل خمسة منها فى بطيحة من بطيحتين فى الناحية الجنوبية وراء خط الاستواء ثم يتشعب من كل بطيحة منها ثلاثة أنهار تجتمع جميعا الى بطيحة فى الاقليم الأول فيخرج من هـذه البطيحة نيل مصر فيقطع بلاد السودان ويمر بمدينة علوة دار مملكة النوبة، ثم بمدينة دنقلة لهم أيضا ويخرج عن الاقليم الأول حتى ينتهى الى الاقليم الثانى ويصير الى مدينة أسوان من صعيد مصر، وهى أول مدن الاسلام مما يلى النوبة ثم يقطع صعيد مصر ويمر بفسطاطها الى أن يصب فى البحر الرومي من مصاب كثيرة وذلك فى الاقليم الثالث ومن خط الاستواء الى مدينة الاسكندرية التى اليها ينتهى أحد مصبات النيل على شاطىء البحر ثلاثون درجة تكون من الأميال ألف ميل وثمانمائة ميل وعشرين ميلا يكون فراسخ ستمائة فرسخ وستة فراسخ وثلثى فرسخ فيكون من مبدئه من جبل القمر الى منتهاه فى البحر الرومى سبعمائة فرسخ وثمانيـة وأربعين فرسخا وثلثى فرسخ، تكون أميالا ألفين ومائتين وخمسة وأربعين ميلا

ومن الناس من يرى أن من مبدئه الى مصبه ألف فرسخ ومائة فرسخ ونيفا وثلاثين فرسخا

ويقرب من جبل القمر هذا كثير من أحواز الزنج ومساكنهم الى أن يتصل ذلك ببلاد سُفالة الزنج وجزيرة قَنْبَلو وأهلها مسلمون وبلاد بربرا وحَفُونِى وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا العلة فى نسبة هذا الجبل الى القمر وما يظهر فيه من التأثيرات البينة العجيبة عند زيادة القمر ونقصانه ، وما قالته الفلاسفة فى ذلك وأصحاب الاثنين من المانوية وغيرهم

ومنها نهر سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشأمي ومخرجه من مدينة سيحان

من ناحية ملطية من الثغر الجزرى وان كان قد غلب على أكثره فى وقتنا هذا الروم والارمن

ونهر جيحان وهو نهر المصيصة من الثغر الشأمى أيضا ومخرجه من الاقليم السابع من عيون وراء بلاد مرعش

وبَرَدان نهر طرسوس من الثغر الشأمى ومخرجه من عيون تحت العقبة المعروفة بعقبة الاكواخ من جبل ترابى أحمر مما يلى هِرَقلة من بند القبادق فاذا جرى نحوا من ميل انقسم قسمين قسم يمضى الى هرقلة وقسم يصير الى طرسوس فاذا صار على بريدين منهما الى الموضع المعروف بالقطالية صب اليه نهر يعرف بالفاتر غزير الماء مخرجه من عقبة تحت العقبة المعروفة بعقبة البراذع يكون جريانه الى أن يصب الى بردان نحو يوم وليلة، وانما سمي الفاتر بالضد لشدة برودته ثم يشق بردان مدينة طرسوس ويصب الى البحر الرومى على ستة أميال منها

والأُرُنْطُ نهر حمص وحماة وشيزر وانطاكية الخارج من القرية المعروفة باللبوة بين حمص ودمشق يشق بحيرة قَدَس وبحيرة فامية ويصب اليه بالقرب من انطاكية نهر الرقيا الخارج من بحيرة جنْدارس

وغير ذلك من الانهار العظيمة التى تصب الى هذا البحر من بلاد الاندلس والافرنجة وبلاد الصقالبة ورومية وسائر بلاد الروم واليه ينحلب كثير من مياه الشمال من خليج القسطنطينية الآخذ من بحيرة مايطس على مانذكره فيما يرد من هذا الكتاب ، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا العلة فى ارتفاع الشمال على الجنوب وكثرة مياهه وقلتها فى الجنوب وماقالته الفلاسفة وأصحاب الاثنين وغيرهم من الحكماء فى ذلك ، وما فى هذا البحر من الجزائر العظام كجزيرة قبرس وجزيرة أقريطش وجزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان ، ومنه تخرج عين النار التى تعرف بأطمة صقلية يستضيء بضوء نارها السفر على أكثر من مائة

فرسخ براً وبحراً في الليل، ويرى في شراره اذا علا لهبه في الجو جثث كأبدان الناس وتنعكس الى البحر وتطفو فوق الماء فهو الحجر الابيض الخفيف الذي يحك به الكتابة من الدفاتر والرقوق وغيرها ويعرف بالفنسك ويسمى أيضا القيشورا، وقد يوجد بنواحي هذه الاطمة الحجر المعروف باليشب النافع لأوجاع البطن والمعدة اذا علق عليها وللماء الاصفر وقد يفعل ذلك الحجر المعروف بالبُسَّد وهو أصل المرجان وهو من هذا البحر يخرج ، وفي هذه الأطمة هلك فرفوريوس صاحب كتاب ايساغوجي وهو المدخل الى كتب ارسطاطاليس في المنطق ، وقد ذكر ذلك غير واحد ممن تقدم وتأخر منهم يعقوب بن اسحاق الكندي واحمد بن الطيب في أول مختصره لكتب المنطق

ذكر البحر الثالث وهو الخزري

والبحر الخزري هو بحر الخزر والباب والابواب وأرمينية وآذربيجان وموقان والجيل والديلم وآبسكون وهي ساحل جرجان وطبرستان وخوارزم وغير ذلك من دور الأعاجم ومساكنهم المطيفة به طوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وقيل اكثر من ذلك وهو مصراني الشكل الى الطول ماهو ، ومن الناس من يسميه البحر الخراساني لاتصاله ببلاد خوارزم من أرض خراسان وعليه كثير من بوادي الغزية من الترك في مفاوز هنالك ، وعليه ايضا الموضع المعروف بباكه وهي النفّاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والابواب ؛ ومن هناك يحمل النفط الابيض وهناك آطام وهي عيون النيران تظهر من الارض ؛ وفيه جزائر مقابل النفاطة فيها عيون للنيران كبيرة ، ترى في الليل على مسافة نائية وقد ذكرنا في كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) اخبار سائر الآطام مما في المعمور من الارض كأطمة صقلية المقدم ذكرها وأطمة وادي برهوت من

بلاد الشحر وحضرموت وآطام البحر الخزرى والباب والابواب وأطمة آسك من بلاد الهنديجان وذلك بين بلاد فارس والاهواز، ترى بالليل من مسيرة اكثر من اربعين فرسخا وأمرها أشهر لكثرة السفر فى ذلك الطريق واطمة اربوجان مما يلى السيروان من بلاد ماسبذان وهى المعروفة بحمة تومان مما يلى منجلان وذلك يرى على اربعين فرسخا من بغداد على طريق البندنيجين وأبراز الروز وكالاطمة العظيمة التى فى مملكة المهراج ملك جزائر الزابج وغيرها فى البحر الصينى منها كله وسَرُبُزَة والمهراج سمة لكل من ملكها وملكه لا يضبط كثرة ولا تحصى جنوده ، ولا يستطيع احد من الناس ان يطوف فى اسرع مايكون من المراكب بجزائره فى سنتين جميعها عامر قد حازهذا الملك انواع الطيب والافاويه فليس لاحد من الملوك ماله ومما يجهز من ارضه من ذلك الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوزبوا والقاقلة والكبابة وغير ذلك وهذه الاطمه فى جبال فى اطراف جزائره فهى بالنهار سوداء لغلبة ضوء الشمس وبالليل حمراء يلحق لهبها باعنان السماء لعلوها وذهابها فى الجو ويظهر منها كأشد مايكون من اصوات الرعود والصواعق

وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع يسمع على المسافة النائية ينذر بموت بعض ملوكهم وربما يكون اخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم فقد عرف بما ينذر من ذلك موت الملوك من غيرهم بطول العادات والتجارب على قديم الزمان، وان ذلك غير متخلف*

وتلى هذه الجبال الجزيرة التى يسمع منها على دوام الأوقات كاصوات العيدان والسرنايات والطبول وسائر انواع الملاهى المطربة وكأنواع الرقص والتصفيق يميز السامع لذلك بين صوت كل نوع منها والبحريون من اهل سيراف وعمان وغيرهم ممن اجتاز بتلك النواحي يزعمون ان الدجال فى

تلك الجزيرة وامرها مشتهر ، وغير ذلك من الآطـام

ومما يصب الى هذا البحر من الانهار العظام المشهورة نهر ارتيش الاسود ونهر ارتيش الابيض وهما عظيمان يزيد كل واحد منهما على دجلة والفرات وبين مصبيهما نحو من عشرة ايام وعاليها مشتى ومصيف الكيماكية والغزية من الترك

ونهر الكُر الذى يجتاز ببلاد تفليس ومدينة صغدبيل من ارض جرزان ثم ببلاد برذعة ويجتمع مع نهر الرس الذى هو نهرورثان فيصبان جميعا فيه

ونهر اسبيذروذ ومخرجه من ناحية سيسر وشاه روذ وهما يجتازان ببلاد آذربيجان والديلم

ونهر الخزر الذى يمر بمدينة اتل دار مملكة الخزرفى هذا الوقت وكانت دار مملكتهم قبل ذلك مدينة بلنجر . واليه يصب نهر برطاس ؛ وبرطاس امة عظيمة من الترك بين بلاد خوارزم ومملكة الخزر الا انها مضافة الى الخزر تجرى فى هذا النهر السفن العظام بالتجارات وانواع الامتعة من بلاد خوارزم وغيرها ، ومن بلاد برطاس تحمل جلود الثعالب السود ، وهى أكرم الاوبار واكثرها ثمنا ، ومنها الاحمر والابيض الذى لايفضل بينه وبين الفنك والخلنجى وشرها النوع المعروف بالاعرابى وليس يوجد الاسود منها فى العالم الا فى هذا الصقع وما قرب منه ، ويتباهى ملوك الامم من الاعاجم بلبس هذه الجلود ويتخذ منها القلانس والفراء ويبلغ الاسود منها الثمن الكثير، وقد يحمل منه الى ناحية الباب والابواب وبرذعة وغير ذلك من بلاد خراسان ، وربما يحمل الى بلاد الجربى من أرض الصقالبة لاتصالها بالجربى ، ثم الى بلاد الافرنجة والاندلس ويصار بهذه الجلود من السود والحمر الى بلاد المغرب فيتوهم المتوهم أنها من بلاد الاندلس وما اتصل بها من ديار الافرنجة والصقالبة ، وطبعها حار

يابس شديد الحرارة يدل على ذلك مرارة لحمه، وجلده اشد حرا من جلود سائر الاوبار وهو يشبه فى مزاجـه بالنار لغلبة الحرارة واليبس عليه يصلح لبسه للمرطوبين والشيوخ ، وقد كان المهـدى فى مقامه بالرى احب امتحان اى الأوبار اشد حرارة ، فعمد الى عدة قوارير فملأها ماء وشد رؤوسها بانواع من الاوبار ، وكان ذلك فى سنة شديدة البرد كثيرة الثلج ، ثم دعا بها حين اصبح فوجدها جامدة الاماشد رأسه بجلد الثعلب الاسود فانه لم يجمد ، فعلم انه اشدها حرا ويبسا

ومنها نهر الخزر ، المعروف بأوم ، وهو من اعظم دجلة والفرات

والنهر العظيم المعروف بكزل روذ تفسير ذلك نهر الذئب وتنحلب اليه المياه من جبل القبق ومصبه هذا الى البحر مما يلى الباب والابواب ، وعليه هناك قنطرة عظيمة عجيبة البناء نحو من قنطرة سنجة وقنطرة سنجة احدى عجائب العالم وهي بناحية سميساط من الثغور الجزرية وسنجة نهر تعرف القنطرة به يصب الى الفرات

ومنها نهر كالف وهو جيحون نهر بلخ والترمذ وخوارزم مبدؤه من عيون فى الاقليم الخامس وراء الرباط المعروف ببدخشان، وهو على نحو عشرين يومامن مدينة بلخ، وآخر اعمالها من ذلك الوجه وهذا الرباط ثغر بازاء اجناس من الترك يقال لهم أوخان وتبت وأيغان حضر وبدو ويعرف هذا النهر هناك بهذا الجنس أيغان وتصب اليه انهار كثيره وينحاب اليه مياه عظيمة فيكمل هذا النهر فوق مدينة الترمذ بفرسخين ويدعى هذا الموضع ماله ويعظم ماؤه ويكثر ويستبحر ويأتى الترمذوهى عالية راكبة عليه من الجانب الشرقى مقابلة لرباط لبلخ من الجانب الغربى على اثنى عشر فرسخا من بلخ وهذا الموضع اضيق اعبار هذا النهر واغزرها ماء عرضه نحو من ميلين وقد ينبسط فى غير هذا العبر كعبر زم وهو اسفل من عبر الترمذ بنحو من اربعين فرسخا بزم مدينة

من الجانب الغربى بالقرب من هذا العبرين رمال ودهاس وما قابلها من المشرق فلا عمارة فيها وهى صحراء تؤدى الى بلاد نخشب وسمرقند وغيرها وعبر آموا وهو اسفل من عبر زم بنحو خمسين فرسخا وآموا مدينة فى الجانب الغربى على نحو اربعة اميال من النهر يقابلها من الجانب الشرقى منه مدينة يقال لها فَرَبْر على ميلين من هذا النهر

ومن فربر الى بخارى دار مملكة آل اسماعيل بن احمد بن اسد بن احمد ابن سامان خداه صاحب خراسان ثمانية عشر فرسخا منها خمسة عشر الى السور الاعظم المحيط ببخارى وعمائرها ، ومن باب السور الى مدينة بخارى ثلاثة فراسخ بنى هذا السور ملك من ملوك الصغد فى سالف الدهر مانعا لغارات اجناس الترك ودافعا لأذيتهم، وجدد فى أيام المهدى وقد كان تهدم على يدى ابى العباس الطوسى امير خراسان على ماذكر سلمويه فى كتابه فى الدولة العباسية وأمراء خراسان

وعبر خوارزم وهو اسفل من عبر آموا بنحو سبعين فرسخا ، يقال إن الاسكندر بن فيلبس الملك قطع عبر الترمذ فى خمسة اشهر بجسر عقده من خمسمائة سفينة لكثرة جنوده واتباعه

ثم يأتى هذا النهر بلاد خوارزم ويصب فى البحيرة المعروفة بالجرجانية والجرجانية مدينة بالقرب من هذا المصب وهى من اعظم البحيرات فى المعمور مسافتها نحو من اربعين يوما فى مثلها ويخرج من هذه البحيرة انهار عظيمة تصب فى البحر الخزرى ، الى هذه البحيرة يصب نهر الشاش وهو مغيض وجُوَب لايسقى بلاد الشاش وإنما سقيهم وشربهم من نهر عظيم يعرف بترك يصب فى النهر هو ونهر فرغانة ونهر خُجَنْدة أيضا ويمر ببلاد الفاراب وقد عظم واستبحر وتجرى فيه السفن إلى هذه البحيرة بأنواع الامتعة حتى تخرج إلى بلاد

خوارزم من مصب جيحون

وهـذا النهر يتبحر فى إبان زيادته وذلك من أول كانون الثانى فيركب الارض من الجهة المقابلة لبلاد فاراب لانخفا ضها اكـثر من ثلاثين فرسخا عرضا والقرى والضياع على رءوس التلال والروابى كالقلاع، لاسبيل لبعضهم الى بعض إلا فى الزواريق

وسبيل هذا الموضع فى الشرب سبيل نيل مصر فى الزيادة الا أن أوقاتها مخالفة فيركب الارض وينبسط عليها مالا يركبه نيل مصر، لان أكثر مايركب نيل مصر الارض من جانبيه نحو من فرسخين سيحا وفى خلجان

وقد قيل إن نهر جيحون ينتهـى الى آجام وبطائح فيغور فيها وقد قيل إنه يصب فى بحر الهند مما يلى كرمان

وقد دخلنا بلاد فارس وكرمان وسجستان صرودها وجرومها فلم نجد لذلك حقيقة لأن الانهار التى تصب ببلاد كـرمان إلى البحر من ناحية هرموز ساحل كرمان وغيرها معروفة ، فيكون مسافة جريان جيحون على وجه الارض من مبدئه إلى مصبه فى هذه البحيرة نحواً من أربعمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل منه

ذكر البحر الرابع وهو بُنْطُس

والبحر الرابع وهو بحر بنطس هو بحر البُرْغَر والروس وغيرهم من الامم يمتد من الشمال من ناحية المدينة التى تدعى لازقة وذلك وراء القسطنطينية طوله ألف ميل وثلاثمائة ميل فى عرض ثلاثمائة ميل ويتصل ببحيرة مايطس وطولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة ميل وهى فى طرف العمارة من الشمال وبعضها تحت القطب الشمالى وبقرب منها مدينة ليس بعدها عمارة تسمى تولية ومنها يخرج خليج القسطنطينية

الذى يصب الى بحر الروم طوله ثلاثمائة ميل ونحو من خمسين ميلا على ما نذكره فيما يرد من هذا الكتاب ، وجريه وانصبابه فى المواضع الضيقة بين وماؤه بارد ، ومن الناس من يعد هذا البحر وهذه البحيرة بحرا واحدا . ويتصل هـذا البحر من بعض جهاته ببحر الباب والابواب من خليج وأنهار عظام هنالك ولاجل ذلك غلط قوم من مصنفي الكتب فى البحار ومعمور الارض ، فزعموا أن بحر بنطس وبحيرة مايطس وبحر الخزر شيء واحد

ومما يصب الى هذا البحر من الانهار العظام المشهورة النهر العظيم المسمى طنايس مبدؤه من الشمال وعليه كثير من مساكن الصقالبة وغـيرهم من الامم الواغلين فى الشمال وغيره من الانهار الـكبار مثل نهر دنبه وملاوة وهذا اسمه بالصقلبية أيضا وهو نهر عظيم عرضه نحو من ثلاثة أميال وهو وراء القسطنطينية بأيام عليه دور الناجين والمراوة من الصقالبة ، وقد سكنها كثير من البرغر حين تنصروا ، وقيل إن منه يأخذ نهر ترك الذى هو نهر الشاش المقدم ذكره

ذكر بحر اوقيانس وهو المحيط

فأما البحر المحيط الذى هو عند أكثر الناس معظم البحار وعنصرها وأنها منه تتشعب ، ويسميه كثير منهم الاخضر ، ويسمي باليونانية أوقيانس وأكثر نهاياته مجهولة عنـد ابطلميوس وغيره فانه يبتدىء من نهاية العمارة فى الشمال الى أن يصـير الى المغرب وينتهى الى نهاية العمارة فى الجنوب وليس له فى غربيـه ولاشماليـه نهاية محـدودة ، ويتصل ببحر الصـين مما يلى الزابج وجزائر المهراج وشلاهط وهرلج ، وفى هذا البحر مما يلى مغربه الجزائر المسماة الخالدات ومما يلى شماله الجزائر المسماة برطانية وهى اثنتا عشرة جزيرة ، وعليه من بعض جهاته كثير من مدن الاندلس والافرنجة ومن جهة أخرى مدن من مدن

المغرب مما يلي بلاد أبي غفير وبصرة المغرب ، ثم مساكن البربر الذين يدعون أصحاب الاخصاص وكثير من مساكن السودان

ويصب اليه أنهار عظيمة من بلاد الاندلس والافرنجة وغيرهم من الامم منها نهر قرطبة قصبة الاندلس فى هذا الوقت ودار مملكة بنى أمية ، مبدأ هذا النهر من جبل على نحو ستة أيام من قرطبة يدعى لينشكه ، ويجرى فى هذا النهر مراكب كثيرة الى قرطبة فاذا فصل عنها صار الى مدينة شبيلية وهى على يومين من قرطبة ومن شبيلية الى مصبه فى هذا البحر يومان ، وعلى هذا البحر المحيط مما يلى الأندلس جزيرة تعرف بقادس مقابلة لمدينة شذونة من مدن الاندلس بينها وبين شذونة نحو من اثنى عشر ميلا

فى هذه الجزيرة منارة عظيمة عجيبة البنيان على أعاليها عمود عليه تمثال من النحاس يرى من شذونة، وورائها العظمه وارتفاعه ، ووراءه فى هذا البحر على مسافات معلومة تماثيل أُخر فى جزائر يرى بعضها من بعض وهى التماثيل التى تدعى الهرقلية ، بناها فى سالف الزمان هرقل الملك الجبار تنذر من رآها أن لاطريق وراءها ولا مذهب، بخطوط على صدورها بينة ظاهرة ببعض الأقلام القديمة وضروب من الاشارات بأيدى هذه التماثيل تنوب عن تلك الخطوط لمن لايحسن قراءتها ؛ صلاحا للعباد ومنعاً لهم فى ذلك البحر من التغرير بأنفسهم .

وأمر هذه الاصنام مشهور من قديم الزمان الى هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥ قد ذكرتها الفلاسفة القدماء وغيرهم ممن عنى بهيئة الارض وأخبار العالم ، منهم صاحب المنطق فى كتابه فى الآثار العلوية وهو أربع مقالات ، فقال فى المقالة الاولى منه ـ عند ذكره النهر المعروف بطرسيوس ـ ويسيل الى أن يبلغ خارجا من الاصنام التى أقامها هرقل الملك الجبار

وذكر ذلك أيضا فى آخر المقالة الثانية من كتاب السماء والعالم وهو

أربع مقالات أيضا حين ذكر صغر الأرض فقال : الدليل على صغر الارض ما يزعمون أن الموضع الذى يدعى أصنام هرقل يختلط بأول حد من حدود الهند ، فلذلك قالوا إن البحر واحد

وذكر ذلك أيضا وبينه الاسكندر الافروديسى فى شرحه لكتاب ارسطاطاليس في الآثار العلوية وهى أكبر النسخ فى الآثار تكون نحوا من خمسمائة ورقة

وقد ذكر ابطلميوس في كتابه فى المدخل الي الصناعة الكرية ان من وراء خط الاستواء تحت مدار الجدى سودان مثل السودان التى تحت مدار رأس السرطان من دون خط الاستواء مما يلى الشمال ، وأن بحر أوقيانس يأتى من ناحية المشرق الشتوى وهو مطلع الجدى ثم ينعطف من المشرق الشتوى الى ناحية الشمال الى أن ينتهي الى المغرب الصيفى وهو مغرب السرطان

وذكر انه انما وقف على هذا من الكتب التى دونت فيها أخبار المساكن التى عن جنوب بلاد مصر وانهم وصلوا الى ذلك بعناية ملوك مصر وانفاذهم ثقاتهم الى تلك النواحى ليعرف من هناك من الامم

قال المسعودى : وقد ذهب كثير من الناس الى أن تحديدهم لمقادير مسافات هذه البحار إنما هوعلى طريق التقريب والتخمين، اذ كان ذلك لا يحاط به لعجز البشر عن مشاهدته وبلوغ غاياته ، وقد ذكرنا فيما سمينا من كتبنا السالفة ماقاله صاحب المنطق فى كتابه فى الآثار العلوية ومن تقدم عنه وتأخر فى علة انتقال البحار والأنهار عن مواضعها، وشباب الارض وهرمها وحياتها وموتها،والكلام فى كيفية المد والجزر السنوى والقمرى الذى هو الشهرى ، ولأية علة صار فى بعض البحار اظهر واقوى كالبحر الحبشى وبحر أوقيانس المحيط ، وفى بعضها أضعف وأخفى كبحر الروم والخزرى ومايطس . على انه قد يظهر فى بحر الروم

مما يلى المغرب ظهورا بينا حتى أن مدينة فى جزيرة من سواحل أفريقية يقال لها جَر "بة بينها وبين البحر نحو ميل تخرج مواشيهم غدواً حين يجزر الماء وينضب فترعى ثم تروح عشيا قبل المد، وقول بعض أهل الشرائع إن المد والجزر من فعل ملك وكله الله عز وجل بذلك فى أقاصى البحار، يضع رجله أو بعض أصابعه فيها فتمتلىء فيكون المد ، ثم يرفعها فيرجع الماء الى موضعه فهو الجزر . وقول من قال منهم إن ذلك لأمور استأثر الله بغيبها لم يطلع أحدا من خلقه عليها ليعتبروا بذلك ويستدلوا على وحدانيته وعجيب حكمته ، وتنازع الاوائل فى ذلك من فلاسفة الأمم وحكمائهم أهو من أفعال الشمس أم من أفعال القمر عند زيادة نوره فيكون منه المد؟ أم عند نقصانه فيكون الجزر؟ على حسب ما يظهر من أفعاله عند زيادته فى أبدان الحيوان من الناطقين وغيرهم من القوة وغلبة السخونة والرطوبة والسكون والنمو عليها، وأن الاخلاط التى تكون فى أبدان الناس كالدم والبلغم وغيرهما عند ذلك تكون فى ظاهر الأبدان والعروق ويزيد ظاهر البدن بلة ورطوبة وحسنا، وأن الأبدان عند نقصان نوره تكون أضعف والبرد عليها أغلب وتكون هذه الاخلاط فى غور البدن والعروق ويزداد ظاهر البدن يبسا، وذلك ظاهر عند ذوى المعرفة والعلم بالطب ، ومايظهر من أحوال الامراض فى زيادته ونقصانه وأن أبدان الذين يمرضون فى أول الشهر تكون على دفع الامراض والعلل أقوى وأبدان الذين يمرضون آخر الشهر تكون على دفع العلل أضعف وكذلك مايعلم من دلالته فى أنواع البحران فى اليوم السابع من الامراض والرابع عشر والحادى والعشرين والثامن والعشرين اذ كان القمر أربعة أشكال شكل التنصيف وشكل التمام وشكل التنصيف عن التمام وشكل المحاق فان لكل شكل من هذه سبعة أيام لأنه فى سبعة أيام ينتصف وفى الرابع عشر يتم وفى الحادى والعشرين ينتصف وفى الثامن والعشرين يمتحق فكذلك

البحرانات تصح فى السابع والرابع عشر والحادى والعشرين والثامن والعشرين وتصح فى تنصيفات هذه اذ كانت هذه الاشكال أثبت أشكال الشىء المنقسم وغير ذلك من تنازع الناس فى كيفية البحران ، وأن نتاج سائر الحيوان اذا كان فى أول الشهر كان المولود أتم وأعظم منه اذا كان فى آخره ، ومايظهر عند زيادته من النمو والزيادة فى شعر الحيوان وأدمغته والألبان والبيض ، وحيض النساء وكثرة السمك فى البحار والأنهار وغيرها ؛ ونمو الاشجار والبقول والفواكه والرياحين وسائر النبات وغير ذلك مما يعلمه أصحاب الفلاحة ونقصان جميع ذلك عند نقصانه ، وكذلك المعادن وزيادتها أول الشهر فى جواهرها وحسن بصيصها وصفائها ، وأن لسع سائر حشرات الارض من الحيات والعقارب وغيرها وأفعال سائر السباع تكون في أول الشهر أقوى وأشد وفي آخره انقص وأضعف وغير ذلك من أفعاله ، وغير مالم نأت على وصفه وانما نذكر الشىء اليسير منبهين بذلك على الشىء الكثير

والكواكب السبعة التى هى النيران والخمسة المتحيرة وغيرها لها تأثيرات في هذا العالم عند ذوى المعرفة بالنجوم ، الا أن تأثيرات القمر فى العالم الارضى أبين منها لقربه منه وبعدها عنه

وذلك موجود فى كتب الاوائل على الشرح والايضاح، ولثابت بن قرة الحرانى كتاب جمع فيه ماذكره جالينوس فى سائر كتبه من أفعال النيرين وهما الشمس والقمر فى هذا العالم أفادناه ابنه سنان بن ثابت ، وكذلك ذكرنا فيما وصفنا من كتبنا ماخص به كل بحر من البحار من أنواع الجواهر الحيوانية منها والمعدنية والحجرية كاللؤلؤ والياقوت والمرجان وغيره والادوية والعقاقير والطيب وغير ذلك ، وما السبب فى ملوحة ماء البحار ومرارتها وغلظها وكثافتها ، ولأية علة لاتتبين فيها الزيادة مع كثرة موادها من الانهار التى تصب اليها وحملها السفن

الثقيلة حتى اذا صارت الى العذب من الانهار عرف غرق بعضها ؛ للطافة العذب وكثافة المالح، اذ كان الغليظ يمنع من الرسوب فيه. وقد استدل صاحب المنطق فى كتاب الآثار العلوية على ذلك بانه ان أخذ بيضة فصيرها فى اناء فيه ماء عذب رسبت فيه ، وإن القى فى الماء ملحا يغلب عليه وتركه حتى ينحل فيه ، أو أخذ من ماء البحر فصير البيضة فيه وجدها طافية . قال ويذكر الملاحون انهم يجدون السفينة التى تغرق فى الماء العذب أبعد رسوبا من التى تغرق فى البحر المالح ، واستدل ببحيرة فلسطين فانها شديدة المرارة والملوحة، وانه ان أخذ انسان أودابة فشد وثاقا والقى فيها وجد طافيا على الماء لخفته عند غلظ الماء وثقله ؛ وان غمس فيها ثوب وسخ استنقى من ساعته لشدة المرارة والملوحة ، وانه لا يكون فيها شيء من السمك

قال المسعودى : وهذه البحيرة التى ذكرها أرسطاطاليس وغيره هى البحيرة المنتنة بحيرة أريحا وزغَر وقد شاهدناها واليها يصب نهر الاردن الخارج من بحيرة طبرية ومواد بحيرة طبرية من نهر يصب اليها يخرج من بحيرة قَدَس وكفرلى يتحلب الى هذه البحيرة مياه كثيرة من أعمال دمشق مما يلى القرعون والخيط وغيره . وإذا شق نهر الأردن البحيرة المنتنة وانتهى الى وسطها متميزا من مائها غار هناك فخرج بين كَفَر سابا البريد وبين الرملة من بلاد فلسطين من عين عظيمة وهو نهر ابى فُطْرُس يصب فى البحر الرومى يكون مسافته على وجه الارض بعض يوم وماؤه كالزئبق ثقلا وعليه الجادة ، وانما عرف ماذكرنا بأشياء ألقيت فى نهر الاردن فظهرت فى عين نهر أبى فطرس من امتحن ذلك بعض ذوى العناية بامور العالم ممن ملك هذه البلاد فى سالف الزمان فيما قيل وكذلك ذكر فى زَرَنْرُوذَ نهر أصبهان انه ينتهي الى رمل فى آخر كورتها فيغور ثم يظهر بكرمان ويصب فى البحر الحبشى، وانه انما عرف بذلك بان

بعض الملوك السالفة كتب على قصب وطرحه فى موضع مغيضه فظهر بنهر كرمان وقد شاهدناه وهو نهر حسن وللفرس فيه أشعار كثيرة ، وليس فى هذه البحيرة المنتنة ذو روح من سمك ولا غيره، ومنها يخرج الحمر الذى يسمى قفر اليهود يطلى على المناجل ويكسح به الكروم ليؤمن من الدود عليها ، ولغير ذلك من العلاجات ، ولمخرجه منها وما يظهر من الصوت وعلى أى صورة يظهر اخبار عجيبة وفيها وحولها يوجد الحجر الاصفر المعروف باليهودى المحزز على شكل البطيخ وخطوطه

وذكر ابقراط وجالينوس وغيرهما انه يفتت الحصى المتولد فى الكلى دون المثانة اذا برد وسقى

وليس فيما عرف من معمور الارض بحيرة لا يتكون ذو روح فيها الا هذه البحيرة

وبحيرة كبوذان وهى على بعض يوم من مدينة أرمية وبلاد المراغة وغيرهما من بلاد آذربيجان ، وهي أعظم وأغزر وامر واملح لا يتكون ذو روح فيها أيضا وهى مضافة الى قرية فى جزيرة فى وسطها تعرف بكبوذان يسكنها ملاحو المراكب التى يركب فيها فى هذه البحيرة ، وتصب اليها انهار كثيرة ومياه من بلاد آذربيجان وغيرها ، لم يعرض احد ممن ذكرنا لوصفها

وقد صنف احمد بن الطيب السرخسى صاحب يعقوب بن اسحاق الكندى كتابا حسنا فى المسالك والممالك والبحار والانهار وأخبار البلدان وغيرها ، وكذلك ابو عبد الله محمد بن احمد الجيهانى وزير نصر بن احمد بن اسماعيل بن احمد بن اسد صاحب خراسان ، ألف كتابا فى صفة العالم وأخباره ومافيه من العجائب والمدن والامصار والبحار والانهار والامم ومساكنهم وغير ذلك من الاخبار العجيبة والقصص الظريفة ، وابو القاسم عبيد الله بن

عبد الله بن خرداذبه فى كتابه المعروف (بالمسالك والممالك) وهو أعم هذه الكتب شهرة فى خواص الناس وعوامهم فى وقتنا هذا و كذلك محمد بن احمد بن النجم ابن ابى عون الكاتب فى كتابه (المترجم بالنواحى و الآفاق و الاخبار عن البلدان) و كثير من عجائب مافى البر والبحر وغيرهم ممن لم نسمه ؛ فكل استفرغ وسعه وبذل مجهوده ؛ وقد يدرك الواحد منهم مالايدركه الآخر

وقد ذكرنا فى كتابنا هذا وماسلف قبله من كتبنا التى هـذا سابعها أخبار العالم وعجائبه، ولم نخله من دلائل تعضدها، وبراهين تو تدها عقلا وخبرا ، وغير ذلك مما استفاض واشتهر وشاهد من الشعر على حسب الشيء المذكور وحاجته الى ذلك

ونحن وان كان عصرنا متأخراً عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين ، وأيامنا بعيدة عن أيامهم فانرجو أن لانقصر عنهم فى تصنيف نقصده وغرض نؤمه، وان كان لهم سبق الابتداء فلنا فضيلة الاقتداء ، وقد تشترك الخواطر وتتفق الضمائر ، وربما كان الآخر أحسن تأليفا ، واتقن تصنيفا لحنكة التجارب وخشية التتبع والاحتراس من مواقع الخطأ ، ومن هاهنا صارت العلوم نامية غير متناهية ؛ لوجود الآخر مالا يجده الاول وذلك الى غير غاية محصورة ولا نهاية محدودة ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك فقال (وفوق كل ذى علم عليم) على أن من شيم كثير من الناس الاطراء للمتقدمين وتعظيم كتب السالفين ومدح الماضى وذم الباقى، وان كان فى كتب المحدثين ماهو أعظم فائدة وأكثر عائدة وقد ذكر ابوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعانى الحسن النظم ، فينسبه الى نفسه فلا يرى الاسماع تصغى اليه ولا الارادات تيمم نحوه، ثم يؤلف ماهو انقص منه مرتبة وأقل فائدة ثم ينحله عبد الله بن المقفع أوسهل بن هارون أوغيرهما من المتقدمين ومن قد طارت أسماؤهم فى المصنفين فيقبلون على كتبها ، ويسارعون

الى نسخها لا لشيء الا لنسبتها الى المتقدمين ، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو فى عصرهم ومنافسته على المناقب التى يخص بها ، ويعنى بتشييدها وهذه طائفة لايعبأ بها كبار الناس، وانما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين أعطوا كل شيء حقه من العدل ، ووفوه قسطه من الحق ، فلم يرفعوا المتقدم اذ كان ناقصا ، ولم ينقصوا المتأخر اذ كان زائداً ، فلمثل هؤلاء تصنف الكتب وتدون العلوم

وسنذكر الآن الأمم السبع السالفة فى سابق الدهر ، ولغاتهم ومواضع مساكنهم وغير ذلك

ذكر الامم السبع فى سالف الزمان

ولغاتهم وآرائهم ومواضع مساكنهم ومابانت به كل أمة من غيرها وما اتصل بذلك

قد قدمنا فيما سلف من كتبنا ماقاله الناس فى بدء النسل، وتفرقهم على وجه الارض ، وماذهب اليه كل فريق منهم فى ذلك من الشرعيين وغيرهم ممن قال بحدوث* العالم وأبى الانقياد الى الشرائع من البراهمة وغيرهم، وما قاله أصحاب القدم فى ذلك من الهند والفلاسفة وأصحاب الاثنين من المانوية وغيرهم على تباينهم فى ذلك ، فلنذكر الآن الامم السبع

ذهب من عنى باخبار سوالف الامم ومساكنهم الى أن أجل الامم وعظماءهم كانوا فى سوالف الدهر سبعا يتميزون بثلاثة أشياء : بشيمهم الطبيعية ، وخلقهم الطبيعية ، وألسنتهم

فالفرس أمة حد بلادها الجبال من الماهات وغيرها وآذربيجان الى ما يلى بلاد

أرمينية وأرّان والبيلقان الى دربند وهو الباب والأبواب والرى وطبرستن والمسقط والشابران وجرجان وابرشهر، وهي نيسابور، وهراة ومرو وغير ذلك من بلاد خراسان وسجستان وكرمان وفارس والاهواز، وما اتصل بذلك من أرض الاعاجم فى هذا الوقت وكل هذه البلاد كانت مملكة واحدة ملكها ملك واحد ولسانها واحد، الا انهم كانوا يتباينون فى شيء يسير من اللغات

وذلك أن اللغة انما تكون واحدة بأن تكون حروفها التى تكتب واحدة وتأليف حروفها تأليف واحد، وان اختلفت بعد ذلك فى سائر الأشياء الأخر كالفهلوية والدرية والآذرية وغيرها من لغات الفرس

الأمة الثانية: الكلدانيون وهم السريانيون وقد ذكروا فى التوراة بقوله عز وجل لابراهيم « أنا الرب الذى انجيتك من نار الكلدانيين لأجعل هذه البلاد لك ميراثا »

وذكرهم أرسطاطاليس فى كتابه الذى رسمه بسياسة المدن وهو كتاب ذكر فيه سياسة امم ومدن كثيرة من أمم ومدن اليونانيين وغيرها ويسمي باليونانية « بوليطيا » وعدد الامم والمدن التى ذكر مائة وسبعون وفى غيره من كتبه وابطلميوس وغيرهما بهذا الاسم، أعنى الكلدانيين

وكانت دار مملكتهم العظمى مدينة كَلْوَاذى من أرض العراق، واليها اضيفوا، وكانوا شعوبا وقبائل منهم النونويون والأثوريون والارمان والاردوان والجرامقة ونبط العراق وأهل السواد وقيل انما سموا نبطا لأنهم من ولد نبيط بن باسور بن سام بن نوح، وقيل انما سموا بذلك لاستنباطهم الارضين والمياه، وقيل لمعان غير ذلك وغيرهم من الشعوب والقبائل وقيل إن الارمان انما سموا بذلك لأن عادا لما هلكت قبل ثمود ارم ؛ فلما هلكت ثمود قيل لبقايا ارم ارمان وهم النبط الارمانيون، وكذلك ذكر ابن الكلبي

وغيره من علماء العرب بأخبار سوالف الامم

وكانت بلاد الكلدانيين العراق وديار ربيعة وديار مضر والشأم وبلاد العرب اليوم وبرها ومدرها اليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشحر وحضرموت وعمان ، وبرها الذى يلى العراق وبرها الذى يلى الشأم

وهذه جزيرة العرب كانت كلها مملكة واحدة يملكها ملك واحد ولسانها واحد سريانى وهو اللسان الاول لسان آدم ونوح وابراهيم عليهم السلام وغيرهم من الانبياء فيما ذكر أهل الكتب

وانما تختلف لغات هذه الشعوب من السريانيين اختلافا يسيرا على حسب ماذكرنا من حال الفرس والعبرانية منها والعربية أقرب اللغات بعد العبرانية الى السريانية ، وليس التفاوت بينهما بالكثير وقيل إن أول من تكلم بالعبرانية ابراهيم الخليل عليه السلام بعد أن خرج من قريته المعروفة بأور كشد من بلاد كوثى من خنيرث وهو إقليم بابل وصار الى حران من أرض الجزيرة وعبر الفرات فى من كان معه الى الشأم فتكلم بها فسميت العبرانية لحدوثها عند عبوره اضافة الى العبر وبها أنزلت التوراة غير أن للاسرائليين بالعراق لغة سريانية تعرف بالترجوم يفسرون بها التوراة من العبرانية الاولى لوضوحها عندهم وقرب مأخذها، ولفصاحة العبرانية وتعذر فهمها على كثير منهم

ولا تنازع بين النزارية وهم ربيعة ومضر الصريحان من ولد اسماعيل وإياد وأنمار على مافيها من التنازع بنو نزار بن معد بن عدنان بن أدبن أدد بن مقوم ابن ناخور بن تيرخ بن يعرب بن يشجب بن نابت بن قيذار بن اسماعيل ابن ابراهيم

وقيل إنه نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن يامر بن يشجب بن يعرب ابن الهميسع بن صابوح بن نابت بن قيذار بن اسمعيل وبين اليمانية وهم حمير وكهلان

ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام ابن نوح وغيرهم من جرهم وحضرموت ابنى عابر

وبين الاسرائليين وغيرهم ان ابراهيم الخليل كان سريانى اللسان وانه ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن ساروغ بن ارعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم يجتمع مع اليمانية فى عابر

وأكثر نساب اليمانية وذوو المعرفة منهم يذهبون إلى أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان وانه انما سمى بذلك لاعرابه عن المعانى وان لسان قحطان لم يكن عربيا بل على اللسان الاول لسان سام بن نوح وغيرهم وان اسماعيل بن ابراهيم انما تكلم بالعربية حين نشأ فى العماليق ولد عملاق بن لاود ابن ارم بن سام بن نوح وجرهم مع هاجر بمكة

ولا خلاف أيضا بين النزارية وهم ولد اسماعيل بن ابراهيم، وبين الاسرائليين وهم بنو اسحاق بن ابراهيم ان ابراهيم لم يكن عربيا ولا اسحاق ابنه وان ابنه اسماعيل أول من نطق بالعربية وتكلم بها

ولا خلاف بين الجميع من النزارية واليمانية فى أن هودا وصالحا كانا عربيين أرسلا إلى عاد وثمود وانهما قبل ابراهيم الخليل، وان لم يكن لهما ذكر فى التوراة .

قال المسعودى : وقد ذهب فريق من أخباريى اليمانية ونسابهم ممن قدم وغبر إلى أن الملك أفضى بعد عاد الى يقطن ، وهو قحطان بن عابر واستشهدوا بقول علقمة ذى جدن :

وملك قحطان ملك عاد　　وسوف تفنيهم الخطوب

ومنهم من رأى أنه قحطان بن هود بن عبد الله بن الخلود بن عاد بن عوض ابن ارم بن سام بن نوح ؛ واسمه فى التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن

سام بن نوح واحتجوا لذلك بقول الشاعر :

وأبو قحطان هود ذو الحقف

ومنهم من ذهب إلى أن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرنخشد . ونساب ولد نزار بن معد ، وبعض اليمانية ؛ كهشام بن محمد بن السائب الكلبي ، والشرقى ابن القطامى ، ونصر بن مزروع الكلبي ، وغيرهم ـ يقولون : قحطان بن الهميسع ابن تيمن بن نبت بن إسماعيل بن ابراهيم

ويحتجون لذلك بما رواه الهيثم بن عدى الطائى ، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الأنصار يتناضلون فقال : ارموا يا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا ، ارموا فأنا مع ابن الأدرع ـ رجل من خزاعة ـ فألقى القوم نبالهم وقالوا يا رسول الله من كنت معه فقد تضل ، فقال ارموا وأنا معكم جميعا .

وسائر اليمانية تأبى ذلك وتذهب إلى أنه قحطان بن عابر بن شالخ بن أرنخشد بن سام بن نوح على ما قدمنا ، ويقولون هذا من أخبار الآحاد ، وليس من الأخبار المتواترة ، القاطعة للعذر ، الموجبة للعلم والعمل . ولو صح لكان معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ارموا يا بنى إسماعيل . على الأمهات من ولد إسماعيل ؛ وقد أخبر الله عز وجل عن المسيح أنه من ذرية آدم مع إخباره أنه خلق من غير أب ولو أخرجه مخرج من ولد آدم ؛ لأنه لا أب له لكان كاذبا . وإنما نسب إلى آدم من جهة أمه والقوم أعرف بأنسابهم ينقله الباقى عن الماضى قولا وعملا موزونا إنهم من ولد قحطان بن عابر لا يعرفون غير ذلك

ومنهم من رأى أن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أقدم من عاد ، واحتجوا بقول الخلجان بن الوهم وكان من ملوك عاد وكان جنادة بن

الأصم العادى رأى فى منامه أن وفد عاد إلى الحرم فهلكوا فبلغ ذلك الخلجان فقال :

أفى كل عام بدعة تحدثونها ورؤيا على غير الطريق تعبر

فان لعاد سنة يحفظونها سنحيا* عليها ما حيينا ونقبر

وإنا لنخزى من أمور تسبنا بها جرهم فيمن يسب وحمير

وأخبار حمير وكهلان أخبار قديمة سلفت كثيراً من الأمم الماضية، وتقادم بها الدهر ، وترادفت عليها الألوف من السنين ، وقال الناس فى ذلك فأكثروا وإنما يرجع فى أكثر ذلك إلى عَبِيد بن شَرْية الجرهمي ، ورواة أهل الحيرة وغيرهم

والكلام بين اليمانية والنزارية يكثر والخطوب تطول ، وهو باب كبير ، والكلام فيه كثير . ومن ضمن الاختصار ، لم يجز له الاكثار . وقد بسطنا الكلام فيه وأتينا على أكثر ما قيل فى ذلك ، وحجاج الفريقين ، وافتخار بعضهم على بعض منثوراً ومنظوما ، وغير ذلك فى (كتاب فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف) وفى كتاب (الاستذكار لما جرى فى سالف الأعصار) وإنما نذكر فى هذا الكتاب لما جوامع ، ننبه بها على ما قدمنا ونشرف بها على ما سلف من كتبنا إذ كان مبنيا عليها وسلما اليها

والأمة الثالثة : اليونانيون والروم والصقالبة والافرنجة ، ومن اتصل بهم من الأمم فى الجربى وهو الشمال، كانت لغتهم واحدة، ويملكهم ملك واحد

والأمة الرابعة : لوبية منها مصر ، وما اتصل بذلك من التيمن وهو الجنوب وأرض المغرب إلى بحر أوقيانس المحيط لغتهم واحدة ، ويملكهم ملك واحد

والأمة الخامسة : أجناس من الترك الخرلخية ، والغز وكيماك ، والطغزغز ، والخزر ، ويدعون بالتركية «سبير» وبالفارسية «خزران » وهم جنس من الترك حاضرة فعرف اسمهم فقيل «الخزر» وغيرهم . لغتهم واحدة ، وملكهم واحد

والأمة السادسة : أجناس الهند والسند ، وما اتصل بذلك ، لغتهم واحدة ، وملكهم واحد

والأمة السابعة : الصين والسيلي ، وما اتصل بذلك من مساكن ولد عامور ابن يافث بن نوح ، ملكهم واحد ، ولغتهم واحدة

ثم كثر النسل ، وتجيلت الأجيال ، وتشعبت الشعوب والقبائل ، وافترقت اللغات وتفرعت ، وتجنست الأمم وتنوعت ، وتباينوا فى الآراء والعبادات والمساكن والمناسك

فهذه الأمم السبع كانت متميزة بعضها من بعض . لكل أمة منها ملك على حياله قد جمعهم عبادة الاصنام ، كل أمة منها يعظمون أصناما ، جعلوها مثالا لآلهة غير الآلهة التى كان يجل مثلها غيرهم من الامم ، تمثيلاً بما علا من الجواهر العلوية ، والاجسام السمائية ، التى هى الاشخاص الفلكية من السبعة ، النيرين ، وهما الشمس والقمر والخمسة وهى زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد وغيرها من ذوات التأثير فى هذا العالم الارضى .

وكانت شرائع كل أمة بحسب مناسكهم ، وحسب الجهات التى منها معايشهم ، وشيمهم الطبيعية التي فطروا عليها ، ومن يجاورهم من سائر الامم .

قال المسعودى : وقد ذكرنا فى (كتاب الاستذكار ، لما جرى فى سالف الاعصار) الذى كتابنا هذا تال له ومبنى عليه ـ الاجتماعات السبعة المشهورة لحكماء هؤلاء الامم السبع فى سالف الدهر ، اجتمع فى كل مجمع منها سبعة حكماء فى أعصار مختلفة ، وأوقات متباينة عند حوادث وأحوال أوجبت اجتماعهم ، فجرى لهم فنون من البحث والنظر ، وضروب من الحكم والعبر ، بما يحدث فى الدهر من الغير ، بتنقل الدول وتغير الملل ، والكلام فى العالم ما هو ، وكيف هو ، ولما هو ، وما علته ومعلوله وظاهره وباطنه ، وحقائقه واختراع الأجسام وانشائها ،

وإلى ما ذا يؤول هو بعد فنائها؟ وغير ذلك ؛ من فنون الفحص ، وضروب البحث .

فاذ قد ذكرنا الامم السبع ومساكنهم ولغاتهم وآرائهم ، وما اتصل بذلك

فلنذكر الآن الفرس وملوكهم وأعدادهم ، وما ملكوا من السنين .

ذكر ملوك الفرس

على طبقاتهم من جيومرت ، وهو الاول من ملوكهم إلى يزدجرد بن شهريار آخرهم ، وعدة ما ملكوا من السنين

جملة سني ملوك الفرس الأولى على طبقاتهم والطوائف والفرس الثانية ، وهم الساسانية ، أربعة آلاف سنة ومائة وأربعون سنة وخمسة أشهر ونصف .

وقد ذهب كثير ممن عنى بأخبار الفرس وملوكها وطبقاتها الى أنه قدكانت فترات فى ملك الفرس الأولى ، مقدارها من السنين ثلاثمائة سنة واحدى وثلاثون سنة .

من ذلك الفترة بين ملك جيومرت وأوشهنج مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة .

والفترة بين ملك أوشهنج وطهمورث مائةسنةوثمان سنين ،فاذا أضيفت سنو هذه الفترات إلى ما ذكرنا من السنين صار الجميع أربعة آلاف سنة واربعمائة واحدى وسبعين سنة وخمسة أشهر ونصفا .

ذكر الطبقة الاولى

من ملوك الفرس الأولى

أولهم جيومرت كلشاه ، وتفسير ذلك ملك الطين ، وإليه ترجع الفرس فى أنسابها* ، وهو عندهم آدم أبو البشر وأصل النسل ، ملك أربعين سنة ، وقيل ثلاثين ، وذلك فى الهزاريكه الأولى من بدء النسل ، وتفسير ذلك الألف سنة وكان ينزل اصطخر فارس

اوشهنج ملك أربعين سنة

طهمورث ملك ثلاثين سنة

جم ملك سبعمائة سنة وثلاثة أشهر

البيوراسب ، وهو الضحاك ملك ألف سنة ، والفرس تغلو فيه ، وتذكر من أخباره أن حيتين كانتا فى كتفيه تعتريانه لا تهدئان إلا بأدمغة النـاس ، وأنه كان ساحراً يطيعه الجن والانس ، وملك الأقاليم السبعة ، وأنه لما عظم بغيه ، وزاد عتوه ، وأباد خلقا كثيرا من أهل مملكته ؛ ظهر رجل من عوام الناس وذوى النسك منهم من أهل اصبهان إسكاف « كابى » ورفع راية من جلود علامة له ، ودعا الناس إلى خلع الضحاك وقتله ، وتمليك افريذون ، فاتبعه عوام الناس ، وكثير من خواصهم

وسار إلى الضحاك ، فقبض عليه وأنفذه أفريذون إلى أعلى جبل دباوند بين الرى وطبرستان ، فأودع هناك وأنه حى إلى هذا الوقت ، مقيد هناك ، فى أخبار يطول ذكرها ، قد شرحناها فى كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وعظم ابتهاج الناس بما نال الضحاك بجوره وسوء سياسته ؛ وتيمنوا بتلك الراية

فسميت « درفش كابيان » إضافة إلى كابى صاحبها ، والدرفش بالفارسية الأولى الراية وبهذه الفارسية « إشفى الخرْز » وحليت بالذهب وأنواع الجواهر الثمينة وكانت لاتظهر إلا فى حروب عظيمة ، تنشر على رأس الملك أوولى عهده ، أو من يقوم مقامه

فلم تزل معظمة عند جميع ملوكهم إلى أن وجه بها يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس من الساسانية مع رستم الآذرى لحرب العرب بالقادسية فى سنة ١٦ على مافى ذلك من التنازع . فلما هزمت الفرس وقتل رستم ، صارت هذه الراية الى ضرار بن الخطاب الفهرى ، فقومت ألفى ألف دينار ، وقيل إن أخذها كان يوم فتح المدائن ، وقيل يوم فتح نهاوند ، وكذلك فى سنة ١٩ وقيل فى سنة ٢١

فلما تهيأ على الضحاك من كابى ومن اتبعه ، أكثر أردشير فى عهده التحذير لمن بعده من الملوك من التهاون بما يكون من نوابغ العوام ونساكهم من التجمع والترؤس ، وأن ذلك إذا همل فتفاقم آل إلى انتقال الملك وزوال الرسوم

وكذلك فعل ارسطاطاليس — فى تحذيره الاسكندر فى كثير من رسائله — وغيرهما من ذوى المعرفة بسياسة الدين والملك

واليمانية من العرب تدّعى الضحاك وتزعم أنه من الأزد وقد ذكرته الشعراء فى الاسلام ، فافتخر به أبو نواس الحسن بن هانىء ، مولى بنى حكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فى قصيدته التى هجا فيها قبائل نزار بأسرها وافتخر بقحطان وقبائلها ، وهى قصيدته المشهورة التى أطال الرشيد حبسه بسببها ، وقيل إنه حده لأجلها وأولها :

ليست لدار عفت وغيرها ... ضربان من قطرها وحاصبها

فقال فيها مفتخراً باليمن وذاكراً للضحاك

فنحن أرباب نـاعط ولنـا ... صنعاء والمسك فى محاربها

وكان منا الضحاك يعبده ... الخابل والطير فى مسـاربها

وفيما يقول يهجو نزارا

واهج نزارا وأفرجـلدتها ... وكشف الستر عن مثـالبها

وقد رد عليه قصيدته هذه جماعة من النزارية ، منهم رجل من بنى ربيعة بن نزار ، قال يذكر نزاراً ومناقبها ، واليمن ومثالبها فى قصيدة له أولها

دع مدح دار خبا وانتهى* ... عهد معد بزعم عاتبهـا

فقال :

فامدح معداً وافخر بمنصبها ... الى على الناس فى مناصبها

وهتك الستر عن ذوى يمن ... أولاد قحطان غيرَ هائبهـا

وذكر أبو تمام الضحاكَ فى قصيدة له يمدح الافشين ، ويشبهه بأفريذون ، ويذكر بابك ، ويشبهه بالضحاك هذه أولها :

بذ الجلاد البذ فهو دفين ... ما إن به غيرُ الوحوش قطين

فقال :

بل كان كالضحاك فى سطواته ... بالعالمين وأنت أفريذون

وقد ذهب كثير من ذوى المعرفة بأخبـار الامم السالفة وملوكها إلى أن الضحاك كان من أوائل ملوك الكلدانيين النبط .

أفريذون ملك خمسمائة سنة .

ذكر الطبقة الثانية

من ملوك الفرس الاولى وهم بلاّن ، معنى ذلك العلويون

اولهم منوشهر ملك مائة سنة وعشرين سنة، والفرس تعظم أمره وترفع من شأنه لأمور ذكروها ومعجزات وصفوها ، وبينه وبين أفريذون ثلاثة عشر أبا* وهو من ولد ايرج بن افريذون ، وكان له سبعة أولاد إليهم ترجع أكثر شعوب فارس في أنسابها وسائر طبقات ملوكها ، وهو كالشجرة للفرس في النسب. وكذلك الأكراد عند الفرس من ولد كرد بن اسفنديار بن منوشهر منهم البازنجان والشوهجان والشاذنجان والنشاورة والبوذيكان واللرية والجورقان والجاوانية والبارسيان والجلالية والمستكان والجابارقة والجروغان والكيكان والماجردان والهذبانية وغيرهم ممن بزمام* فارس وكرمان وسجستان وخراسان واصبهان وأرض الجبال من الماهات ؛ ماه الكوفة ، وماه البصرة، وماه سبذان والايغارين وهما البرج وكرج أبي دلف وهمذان وشهرزور ودراباذ والصامغان وآذربيجان ، وأرمينية وأران والبيلقان ، والباب والأبواب ، ومن بالجزيرة والشأم والثغور

وقد ذهب قوم من متأخرى الأكراد وذوى الدراية ـ منهم من شاهدناهم فيما ذكرنا من البلاد ـ إلى أنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن حرب ابن هوازن .

ومنهم من يرى أنهم من ولد سبيع بن هوازن، وحرب وسبيع عند نساب مضر درجا فلا عقب لهما ، وانما العقب لهوازن من بكر بن هوازن .

ومن الأكراد من يذهب الى أنهم من ربيعة ثم من بكر بن وائل ، وقعوا في قديم الزمان لحروب كانت بينهم الى أرض الاعاجم ، وتفرقوا فيهم ، وحالت

لغتهم ، وصاروا شعوبا وقبائل .

قال المسعودى : وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سائر من سكن البدو والجبال ، فى المشرق والمغرب والشمال والجنوب ؛ من العرب والاكراد والجت والبلوج والكوج ، وهم القُفْص ببلاد كرمان والبربر بأرض افريقية والمغرب من كتامة وزويلة ومزاتة ولواتة وهوارة وصنهاجة وأوربة ولمْطة وغيرهم ، من بطون البربر وشعوبهم ، والفيرة والبجة وغيرهم من الامم المخيمة

وقيل انه ملك بعد منوشهر سهم بن أمان بن اثفيان* بن نوذر بن منوشهر ستين سنة ، ثم ملك فراسيات* التركي اثنتى عشرة سنة. ثم غلبه زو ، وملك ثلاث سنين ، وكرشاسب ثلاث سنين .

ذكر الطبقة الثالثة

من ملوك الفرس الاولى وهم الكيانيون ، تفسير ذلك الأعزاء

أولهم كَيْقُباذ ملك مائة سنة وعشرين سنة .

وكَيْقاوس مائة سنة وخمسين سنة .

وكَيْخسرو ستين سنة .

وكَيْلهراسْب مائة سنة وعشرين سنة .

وكَيْبِشْتاسْب مائة سنة وعشرين سنة أيضا . ولثلاثين سنة خلت من ملكه أتاه زرادشْت بن بورشَسْب بن اسبيمان بدين المجوسية ؛ فقبلها وحمل أهل مملكته عليها ، وقاتل عليها حتى ظهرت .

وكانوا قبل ذلك على رأى الحنفاء وهم الصائبون ، وهو المذهب الذى أتى به بوذاسب إلى طهمورث ، وهذه كلمة سريانية عربت وانما هى « حنيفوا » وقيل جيء بحرف بين الباء والفاء وأنه ليس للسريانيين فاء وذكر أن الصابئين نسبوا

الى صابى بن متوشلخ بن ادريس ، وكان على الحنيفية الأولى وقيل الى صابى بن ماري ، وكان فى عصر ابراهيم الخليل عليه السلام ، وغير ذلك من الاقاويل مما قدمنا شرحه فيما سلف من كتبنا .

وجاءه زرادشت بالكتاب المعروف « بالأبستا » واذا عرب أثبتت فيه قاف فقيل « الأبستاق » وعدد سوره احدى وعشرون سورة، كل سورة فى مائتين من الاوراق . وعدد حروفه وأصواته ستون حرفا وصوتا ، لكل حرف وصوت صورة مفردة منها حروف تتكرر ومنها حروف تسقط ، اذ ليست خاصة بلسان الأبستا .

وزرادشت أحدث هذا الخط، والمجوس تسميه « دين دبيره » أى كتابة الدين وكتب فى اثنى عشر ألف جلد ثور بقضبان الذهب حفراً باللغة الفارسية الاولى ولا يعلم أحد اليوم يعرف معنى تلك اللغة ، وإنما نقل لهم الى هذه الفارسية شىء من السور فهى فى أيديهم يقرءونها فى صلواتهم « كاشتاذ ، وجترشت وبانيست وهادوخت » وغيرها من السور . فى جترشت الخبر عن مبدإ العالم ومنتهاه ، وفى هادوخت مواعظ .

وعمل زرادشت للأبستا شرحا سماه « الزند » وهو عندهم كلام الرب المنزل على زرادشت ، ثم ترجمه زرادشت من لغة الفهلوية الى الفارسية

ثم عمل زرادشت للزند سماه « بازند » وعملت العلماء من الموابذة والهرابذة لذلك الشرح شرحا سموه « بارده » ومنهم من يسميه « آكرده » فأحرقه الاسكندر لما غلب على ملك فارس وقتل دارا بن دارا

وأحدث زرادشت خطاً آخر تسميه المجوس « كشن دبيره » تفسيره كتابة الكل يكتب به سائر لغات الأمم ، وصياح البهائم والطير وغير ذلك ، عدد حروفه وأصواته مائة وستون ، لكل حرف وصوت صورة مفردة

وليس فى سائر خطوط الأمم أكثر حروفا من هذين الخطين ، لأن حروف اليونانى وهو المسمي الرومى فى هذا الوقت اربعة وعشرون حرفا ؛ ليس لهم حاء ولا خاء ولا عين ولا باء ولا هاء، وحروف السريانى اثنان وعشرون، والعبرانى هو السريانى غير أن حروفه مقطعة

ومنها ما لا يشبه صورته صورة السريانى والحميرى ، وهو قلم حمير المعروف بالمسند يقرب من السريانى ، وحروف العربى بالخطين تسعة وعشرون حرفا ، وما عدا ذلك من حروف الأمم يقرب بعضها من بعض

وللفرس غير هذين الخطين الذين أحدثهما زرادشت خمسة خطوط منها ما تدخله اللغة النبطية ، ومنها مالا تدخله ، وقد أتينا على شرح جميع ذلك ، وما ذكروا له من المعجزات والدلائل والعلامات ، وما يذهبون اليه فى الخمسة القدماء عندهم « أورمزد » وهو الله عز وجل و « أهرمن » وهو الشيطان الشرير ، و « كاه » وهو الزمان ، و« جاى » وهو المكان ، و « هوم » وهو الطينة * والخميرة * وحجاجهم لذلك ، وعلة تعظيمهم للنيرين وغيرهما من الأنوار ، والفرق بين النار والنور ، والكلام فى بدء النسل ، وما كان من «ميشاه » وهو مهلا بن كيومرت ، ومن« ميشانى» وهومهلينه بنت كيومرت ، وان الناس من الفرس يرجعون فى أنسابهم إليهما ، وغيرذلك من دياناتهم ، ووجوه عباداتهم ومواضع بيوت نيرانهم فيما سمينا من كتبنا

ومتكلموا الاسلام من اصحاب الكتب فى المقالات، ومن قصد إلى الرد على هؤلاء القوم ممن سلف وخلف يحكون عنهم أنهم يزعمون أن الله تفكر فحدث من فكره شر وأنه الشيطان وأنه صالحه وامهله مدة من الزمان يفتنه فيها، وغير ذلك من مذاهبهم مما تأباه المجوس ، ولا تنقاد اليه، ولا تقر به

واری ان ذلك حكاية عن بعض عوامهم ممن سمع يعتقد ذلك فنسب الى الجميع

وبهمن مالك مائة سنة واثنتى عشرة سنة ، وخمانى ابنته ثلاثين سنة ، ودارا الاكبر بن بهمن اثنتى عشرة سنة ، ودارا بن دارا اربع عشرة سنة ، وغلب الاسكندر ملكهم ست سنين

قال المسعودى : وقد ذكرنا فى آخر الجزء السابع من كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأية علة كثرت الفرس سنى هؤلاء الملوك وأسرارهم فى ذلك وحروبهم مع ملوك الترك ، وتسمى تلك الحروب « بيكار » معنى ذلك الاجهاد ، وغيرهم من الامم وحروب رستم بن دستان واسفنديار* ببلاد خراسان وسجستان وزابلستان وغير ذلك مما كان من الكوائن والاحداث فى أيامهم

وذكرنا فى كتابنا فى (اخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان ، من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة) تنازع الناس فى هؤلاء الفرس الأولى أهم الكلدانيون أم الملك أفضى اليهم عنهم ؟ وقول من قال إن الكلدانيين انما زال ملكهم بالأثوريين ملوك الموصل ، بعد ماكان بينهم من التحزب والحروب التى افنتهم ، ومن قال إن أول مملكة كانت فى اقليم بابل بعد الطوفان ملك نمرود الجبار ومن تلاه من النماردة . وكذلك هو فى التوراة ، وغير ذلك من التنازع فى الامم الذين بعدت عنا اعصارهم ، وتقطعت أخبارهم ، وقد نفى الله عزوجل الاحاطة بعلم أحوال القرون الخالية والأمم السالفة عمن سواه ، لتقادم زمانها وبعد أيامها فقال سبحانه (أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نوح وعادٍ وثمودَ والذينَ منْ بعدهمْ لا يعلمهمْ الا الله)

ذكر ماأدركه الاحصاء من ملوك الطوائف

وهى الطبقة الرابعة من ملوك الفرس وجملة ماملكوا من السنين

كانت ملوك الطوائف نحواً من مائة ملك فرس ونبط وعرب ، من حد بلاد أثور وهى الموصل إلى أقصى بلاد الأعاجم، وكان المعظمين منهم والذين ينقاد الباقون اليهم الأشغانيون ، وهم من ولد أشغان بن أش الجبار بن سياوخش ابن كيقاوس الملك ، وكانوا ينزلون فى الشتاء العراق وفى الصيف الشيز من بلاد آذربيجان ، وفيها الى هذا الوقت آثار عجيبة من البنيان والصور ، بأنواع الاصباغ العجيبة من صور الافلاك والنجوم والعالم وما فيه من بر وبحر وعامر ومعدن وخراب* ونبات وحيوان وغير ذلك من العجائب

ولهم فيها بيت نار معظم عند سائر طبقات الفرس يقال له « آذرخش » و« آذر » أحد أسماء النار بالفارسية و « انخش » الطيب

وكان الملك من ملوك الفرس إذا ملك زاره ماشيا تعظيما له ، وتنذر له النذور، وتحمل اليه التحف والأموال ، وغير ذلك، من البلاد كالماهات ، وأرض الجبال

ولم يعد من ملوك الطوائف فى التواريخ والسير الا الأشغانيون لما ذكرنا من عظم شأنهم واتساق ملكهم

وكان أول من يعد منهم اشك بن اشك بن اردوان بن اشغان بن أش الجبار بن سياوخش بن كيقاوس الملك، ملك عشر سنين ، وسابور بن اشك ستين سنة ، وجوذرز بن أشك عشر سنين ، بيزن بن سابور احدى وعشرين سنة جوذرز بن بيزن تسع عشرة سنة ، نرسى بن بيزن اربعين سنة ، هرمز بن

يزن تسع عشرة سنة ، اردوان الاكبر اثنتى عشرة سنة ، خسرو بن أردوان أربعين سنة ، بلاش بن خسرو اربعا وعشرين سنة ، اردوان الاصغر ثلاث عشرة سنة

فهذه جملة ما ادركه الاحصاء من ملوك الطوائف وسنى ملكهم ، وهم احد عشر ملكا ملكوا مائتى سنة وثمانى وستين سنة

وقد كانت لهم ملوك لم تعرف اسماؤهم ومدة سنى ملكهم ، ولم يذكروا فى شيء من كتب الفرس وغيرها من كتب سير الملوك ؛ لاضطراب أمر الملك فى تلك الاعصار ، والتنازع الواقع من اختلاف الكلمة ، والتحزب وغلبة كل واحد منهم على صقعه ؛ ولما نحن ذاكروه فى آخر هذا الباب من فعل أردشير بابكان

والصحيح عند من عنى بأخبار سوالف الامم وملوكهم ان مدة ملوك الطوائف بعد قتل داريوش وهو دارا بن دارا الى قيام اردشير بن بابك خمسمائة سنة وثلاث عشرة سنة ؛ وذلك أن من أول السنة التى ملك فيها الاسكندر بن فيلبس الملك المقدونى الى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ للهجرة ، ألف سنة ومائتين وسبعا وستين سنة ؛ فاذا اسقط من ذلك ما بين سنة ٣٤٥ وسنة ٣٢ للهجرة وهى السنة التى قتل منها يزدجرد بن شهريار الملك وذلك ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة

وما ملكت الفرس من الساسانية من السنين وهو أربعمائة وتسع وثلاثون سنة كان الذى يبقى بعد ذلك من السنين منذ قتل الاسكندر لداريوش وهو دارا بن دارا الى قيام أردشير بن بابك خمسمائة سنة وثلاث عشرة سنة وهي مدة ملك ملوك الطوائف

وقد ذكرنا جميع ماقيل فى ذلك على الشرح والايضاح فى كتابنا فى (أخبار الزمان) وفيما تلاه من الكتاب الاوسط ثم فى (الجزء السابع من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر) فى النسخة الأخيرة ، التى قررنا أمرها فى هذا الوقت على ما يجب من الزيادات الكثيرة ، وتبديل المعانى ، وتغيير العبارات وهى

أضعاف النسخة الأولى التى ألفناها فى سنة ٣٣٢ وانما ذكرنا ذلك لاستفاضة تلك النسخة وكثرتها فى أيدى الناس ثم فى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) ثم فى كتاب (ذخائر العلوم وما جرى فى سالف الدهور) ثم فى كتاب (الاستذكار ، لما جرى فى سالف الاعصار) الذى كتابنا هذا تال له ومبنى عليه وهو سابعها، وكل واحد من هذه الكتب تال لما قبله ومبنى عليه، وخصصنا كل كتاب منها بتلاقين وعبارات مما لم نخصص به الآخر إلا مالا يسع تركه

وبين الفرس وغيرهم من الأمم فى تأريخ الاسكندر تفاوت عظيم ، وقد أغفل ذلك كثير من الناس، وهو سر ديانى وملوكي من أسرار الفرس لا يكاد يعرفه الا الموابذة والهرابذة وغيرهم من ذوى التحصيل منهم والدراية ، على ماشاهدناه بأرض فارس وكرمان وغيرهما من أرض الاعاجم ، وليس يوجد فى شيء من الكتب المؤلفة لأخبار الفرس وغيرها من كتب السير والتواريخ ؛ وهوأن زرادشت بن بورشسب بن اسبيان ذكر فى الأبستا ــ وهو الكتاب المنزل عليه عندهم ــ أن ملكهم يضطرب بعد ثلاثمائة سنة، ويبقى دينهم فاذا كان على رأس ألف سنة ذهب الدين والملك جميعا

وكان بين زرادشت والاسكندر نحو من ثلاثمائة سنة ، لان زرادشت ظهر فى ملك كيشتاسب بن كيلهراسب، على ماقدمنا من خبره فيما سلف من هذا الكتاب ؛ وأردشير بن بابك حاز الملك وجمع الممالك بعد الاسكندر بخمسمائة سنة وبضع عشرة سنة ، فنظر فاذا الذى بقى الى تمام الالف سنة نحو من مائتى سنة، فاراد أن يمد الملك مائتى سنة أخرى ؛ لانه خشى إن تمت مائتا سنة بعده أن يترك الناس نصرة الملك والذب عنه ، ثقة بخبر نبيهم فى زواله ، فنقص من الخمسمائة سنة والبضع عشرة سنة التى بينه وبين الاسكندر نحوا

من نصفها

وذكر من ملوك الطوائف من ملك هذه السنين واسقط من عداهم ، واشاع فى المملكة أن ظهوره واستيلاء على ملوك الطوائف وقتله أردوان أعظمهم شأنا وأكبرهم جنودا إنما كان فى سنة مائتين وستين بعد الاسكندر ، فأوقع التاريخ بذلك وانتشر فى الناس

فلهذا وقع الخلاف بين الفرس وغيرهم من الامم واضطرب تأريخ سنى ملوك الطوائف لهذه العلة

وقد ذكر ذلك أردشير بن بابك فى آخر عهده الذى أورثه من بعده من الملوك من ولده فى سياسة الدين والملك فقال « ولولا اليقين بالبوار النازل على رأس الألف سنة لظننت أنى قد خلفت فيكم من عهدى ؛ ما إن تمسكتم به كان علامة لبقائكم مابقي الليل والنهار ؛ ولكن الفناء إذا جاءت أيامه ؛ اطعتم أهواءكم ؛ واطرحتم آراءكم ؛ وملكتم شراركم ، وأذللتم خياركم »

وذكر ذلك أيضا تنشر موبذ اردشير الداعى اليه والمبشر بظهوره فى آخر رسالته الى ماجشنس ، صاحب جبال دباوند ، والرى ، وطبرستان ، والديلم ، وجيلان . فقال

« ولولا أنا قد علمنا أن بلية نازلة على رأس الألف سنة لقلنا إن ملك الملوك قد أحكم الأمر للأبد ، ولكننا قد علمنا أن البلايا على رأس الألف سنة ، وأن سبب ذلك ترك أمر الملوك واغلاق ما اطلق وإطلاق ما اغلق ، وذلك للفناء الذى لابد منه ، ولكنا وإن كنا أهل فناء فان علينا ان نعمل للبقاء ونحتال له إلى أمد الفناء ، فكن من أهل ذلك ، ولا تعن الفناء على نفسك وقومك ، فان الفناء مكتف بقوته عن أن يعان ، وأنت محتاج إلى أن تعين نفسك بما يزينك فى دار الفناء ، وينفعك فى دار البقاء ، ونسأل الله أن يجعلك من ذلك بأرفع منزلة وأعلى درجة »

ذكر ملوك الفرس الثانية

وهم الساسانية ، وهى الطبقة الخامسة من ملوكهم

كان أولهم أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك من ولد بهمن بن أسفنديار* بن كيشتاسب بن كيلهراسب ، وهو الذى أزال ملوك الطوائف ، ويسمى ملكه «ملك الاجتماع» ملك أربع عشرة سنة وشهورا ، ثم زهد فى الملك وسلمه الى ولده سابور ، وتفرد بالعبادة وبعد ملكه مذ قتل أردوان الملك وكان من أعظم ملوك الطوائف بالعراق ، وقد ذكرنا السبب فى مبدأ ظهور أردشير وخير داعيه تنشر الزاهد ، وفى الناس من يسميه دوشر ، وكان أفلاطونى المذهب من أبناء ملوك الطوائف ، أفضى ملك أبيه إليه بأرض فارس ، فزهد فيه

وكيف دعا إلى أردشير وبشر بظهوره ، وبث الدعاة فى البلاد لذلك ووطأ له الامر ، حتى اجتمع له الملك ، واستظهر على جميع ملوك الطوائف ، ولتنشر رسائل حسان فى أنواع السياسة الملوكية والديانية يخبر عن أردشير وحاله ، ويعتذر عنه مما فعل فى ملكه من أمور أحدثها فى الدين والملك ، لم تعهد لأحد من الملوك قبله ، وأن ذلك هو الصلاح لما توجبه الاحوال فى ذلك الزمان

منها رسالته الى ماجشنس المقدم ذكرها ورسالته إلى ملك الهند وغيرهما من رسائله

الثانى سابور بن أردشير ملك احدى وثلاثين سنة وستة اشهر وفى أيامه كان « مانى » واليه تضاف « المانوية » من أصحاب الاثنين

الثالث هرمز بن سابور ، ملك سنة وعشرة أشهر

الرابع بهرام بن هرمز ، ملك ثلاث سنين وثلاثة اشهر ، وقتل مانى وعدة من متبعيه وذلك بمدينة سابور فارس

الخامس بهرام بن بهرام، ملك سبع عشرة سنة وقيل ثماني عشرة
السادس بهرام بن بهرام بن بهرام*، ملك أربع سنين وأربعة اشهر
السابع نرسي بن بهرام بن بهرام، ملك تسع سنين وستة أشهر
الثامن هرمز بن نرسي، ملك سبع سنين وخمسة أشهر
التاسع سابور ذو الاكتاف بن هرمز، ملك اثنتين وسبعين سنة
العاشر أردشير بن هرمز، ملك أربع سنين
الحادي عشر سابور بن سابور ذي الاكتاف، ملك خمس سنين وأربعة أشهر

والثاني عشر بهرام بن سابور، ملك احدى عشرة سنة

والثالث عشر يزدجرد الاثيم بن سابور : ملك احدى وعشرين سنة

الرابع عشر بهرام جور بن يزدجرد، ملك ثلاثا وعشرين سنة، وهو الذي نشأ عند ملوك الحيرة وبني له الخورنق، لامور قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا وكان فصيحا بالعربية وله بها شعر صالح

الخامس عشر يزدجرد بن بهرام جور، ملك ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام

السادس عشر فيروز بن يزدجرد، ملك سبعا وعشرين سنة، وقتله اخشنوار ملك الهياطلة

السابع عشر بلاش بن فيروز ملك أربع سنين

الثامن عشر قباذ بن فيروز، ملك ثلاثا واربعين سنة، وفي أيامه كان «مزدق» الموبذ المتأول كتاب زرادشت المعروف بالابستاق، والجاعل لظاهره باطنا بخلاف ظاهره، وهو أول من يعد من أصحاب التأويل والباطن والعدول عن الظاهر في شريعة زرادشت واليه تضاف المزدقية

والتاسع عشر أنوشروان بن قباذ ملك ثمانى وأربعين سنة وقتل مزدقا ومتبعيه، وقد أتينا على الفرق بين مذهب مزدق وما كان يذهب اليه فى التأويل وبين ماذهب اليه مانى؛ والفرق بين مانى ومن تقدمه من أصحاب الاثنين كابن ديصان ومرقيون وغيرهما وماذهبوا اليه جميعا فى الفاعلين وان أحدهما خير محمود مرغوب،والآخر شرير مذموم مرهوب منه، والفرق بين هؤلاء جميعا، وما يذهب اليه الباطنية اصحاب التأويل فى هذا الوقت فى كتاب (خزائن الدين وسر العالمين)

وأنو شروان أول من سن رسوم الخراج وبين وضائعه وكان فيما سلف مقاسمة وقد كان أبوه قباذ شرع فى ذلك فى آخر أيامه ولم يتمه، وقد ذكرنا ذلك فى (كتاب الاستذكار، لما جرى فى سالف الاعصار) فى باب ذكر السواد ومساحته ووصف طساسيجه وقسمته والعراق وحدوده من الأرض ووصف نهاياته فى الطول والعرض

والعشرون هرمز بن أنو شروان ملك اثنتى عشرة سنة وخالف عليه بهرام جوبين الرازى ، فآل ذلك إلى أن سمل هرمز ، ولا يعلم فيمن قبله وبعده من ملوك الفرس من سمل غيره

والحادى والعشرون خسرو أبرويز بن هرمز، ملك ثمانى وثلاثين سنة وقتله ابنه شيرويه بن ابرويز

والثانى والعشرون شيرويه بن ابرويز قاتل أبيه واسمه قباذ ملك ستة اشهر

والثالث والعشرون اردشير بن شيرويه ملك سنة وستة اشهر

الرابع والعشرون شهر براز* ملك اربعين يوما ، وقد اتينا على خبره وسبب مقتله ومقتل غيره من فرسان الفرس وشجعانهم على طبقاتهم من الملوك وغيرهم ممن اجمع على تقديمه وتفضيله وشجاعته ومقاماته المشهورة وايامه المذكورة فى كتاب

لنا ترجمناه بكتاب (مقاتل فرسان العجم) معارضة لكتاب ابي عبيدة معمر بن المثنى فى(مقاتل فرسان العرب)

والخامس والعشرون كسرى بن قباذ ، ملك ثلاثة اشهر

السادس والعشرون بوران ابنة كسرى ابرويز ، ملكت سنة وستة اشهر ، وكان ملكها فى السنة الثانية من الهجرة وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه تمليك الفرس اياها وما بينهم من التخرب والفتن « لا يفلح قوم يدبر امرهم امرأة »

السابع والعشرون فيروز جشنس بنده ، ملك ستة اشهر

الثامن والعشرون أزَرْميدخت بنت كسرى أبرويز ، ملكت ستة اشهر ، وكان خرهرمز الآذري أصبهبذ خرسان ، وهو أبو رستم صاحب القادسية بالحضرة فطمع فيها وراسلها فى الاجتماع معها فواعدته ليلا وأمرت صاحب الحرس بالفتك به ففعل ذلك ، وكان رستم يخلف اباه بخراسان وقيل بآذربيجان وارمينية ، فلما بلغه قتلها لابيه سار اليها فقتلها به ، وذلك فى السنة العاشرة من الهجرة

التاسع والعشرون فرخزاد خسرو بن ابرويز ، ملك سنة

الثلاثون يزجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز بن هرمز انوشروان بن قباذ ابن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الاثيم بن سابور الاصغر بن سابور الاكبر ذى الاكتاف بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير بن بابك ملك عشرين سنة وهو آخر ملوكهم والمقتول بمرو من بلاد خراسان سنة ٣٢ فى خلافة عثمان بن عفان

وكانت للفرس مراتب اعظمها خمس هم وسائط بين الملك وبين سائر رعيته فأولها واعلاها « الموبذ » تفسيره حافظ الدين لأن الدين بلغتهم « مو » و « بذ » حافظ وموبذان موبذ هو* رئيس الموابذة وقاضي القضاة ومرتبته عندهم عظيمة نحو من مراتب الانبياء والهرابذة دون الموابذة فى الرئاسة

والثانى الوزير واسمه «بزرجفرمذار» تفسير ذلك أكبر مأمور

والثالث «الاصبهبذ» وهو امير الامراء وتفسيره حافظ الجيش، لأن الجيش «اصبه» و «بذ» حافظ على ما رتبنا

والرابع «دبيربذ» تفسيره حافظ الكتاب؛ والخامس «هوتخشه بذ» تفسيره حافظ كل من يكد بيده كالمهنة والفلاحين والتجار وغيرهم ورئيسهم ومنهم من يسميه «واستريوش»

وكان هؤلاء المدبرين للملك والقوام به والوسائط بين الملك وبين رعيته؛ فاما «المرزبان» فهو صاحب الثغرلان «المرز» هو الثغر بلغتهم «وبان» القيم وكانت المرازبة اربعة للمشرق والمغرب والشمال والجنوب كل واحد على ربع المملكة

وللفرس كتاب يقال له «كهناماه» فيه مراتب مملكة فارس وانها ستمائة مرتبة على حسب ترتيبهم لها وهذا الكتاب من جملة «آئين ناماه» تفسير «آئين ناماه» كتاب الرسوم ؛ وهو عظيم فى الألوف من الاوراق ؛ لا يكاد يوجد كاملا الا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرئاسات ، والموبذ لهم فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥ بأرض الجبال والعراق ؛ وسائر بلاد الاعاجم انماذا بن اشرهشت وكان الموبذ قبله اسنديار بن اذرباد بن انميذ الذى قتله الراضى بمدينة السلام فى سنة ٣٢٥ وقد اتينا على خبره وقصة مقتله وما ذكر من سببه مع القرمطى سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابى صاحب البحرين فى ذلك فى أخبار الراضى من كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)

وقد تنازع من عنى بأخبار الملوك والأمم فى أنساب الفرس ، وتسمية ملوكهم ومدة ما ملكوا ، ولم نذكر من ذلك إلا ما ذكرته الفرس دون غيرهم من الأمم كالاسرائيليين واليونانيين والروم ؛ إذ كان ما يذهبون اليه فى ذلك

خلاف ما حكته الفرس ، وكانت الفرس أحق أن يؤخذ عنها وإن كان أخبارهم قد درست ومناقبهم قد نسيت ورسومهم قد انقطعت لمر الزمان وتتابع الحدثان فلا نذكر منها إلا اليسير ، وكانوا أهل العز الشامخ والشرف الباذخ والرئاسة والسياسة، فرسانا فى الوغي، صبراً عند اللقاء أدت اليهم الأمم الاتاوات ، وانقادت إلى طاعتهم خشية صولتهم ، وكثرة جنودهم

وقد أتينا على تنازع الناس فى أنساب فارس وتفرع أقاويلهم فى ذلك فى الجزء السابع من (كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهرة)

وللبابليين ملوك قد ذكروا فى كثير من الكتب والازيجات فى النجوم مثل النمرود ومن تلاه من النماردة وستحاريب وبخت نصر ، ومن كان بعده من ولده وغيرهم لم نعرض لذكرهم فى هذا الكتاب للتنازع الواقع فى اعدادهم وتسميتهم وسنى ملكهم وتقادم أيامهم ، والفرس تذكر أن هؤلاء الملوك البابليين إنما كانوا خلفاء لملوكهم الأولى ومرازبة على العراق وما يليه من المغرب حيث كانت دار مملكتهم بلخ إلى أن انتقلوا عنها ونزلوا المدائن من أرض العراق، وكان أول من فعل ذلك خمانى ابنة بهمن بن اسفنديار*

قال المسعودى: ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس فى سنة ٣٠٣ عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتاباً عظيما يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم، لم أجدها فى شيء من كتب الفرس «كخداى ناماه» و«آئين ناماه» و«كهناماه» وغيرها مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكا منهم خمسة وعشرون رجلا وامرأتان قد صور الواحد منهم يوم مات شيخا كان أو شابا وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه وانهم ملكوا الأرض اربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وشهرا وسبعة أيام، وانهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته ورفعوه

إلى الخزائن كى لايخفى على الحى منهم صفة الميت ، وصورة كل ملك كان فى حرب قائما، وكل من كان فى أمر جالسا وسيرة كل واحد فى خواصه وعوامه وما حدث فى ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة ، وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣ ونقل لهشام بن عبدالملك بن مروان من الفارسية إلى العربية

فكان أول ملوكهم فيه اردشير شعاره فى صورته أحمر مدنر وسراويله لون السماء وتاجه أخضر فى ذهب بيده رمح وهو قائم

وآخرهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز ، شعاره أخضر موشى وسراويله موشى لون السماء وتاجه أحمر قائم بيده رمح معتمد على سيفه بأنواع الأصباغ العجيبة* التى لا يوجد مثلها فى هذا الوقت والذهب والفضة المحلولين ونحاسه محكوك ، والورق فرفيرى اللون عجيب الصبغ فلا أدرى أورق هو أم رق لحسنه واتقان صنعته

وقد أتينا على جمل من ذلك فى الجزء السابع من (كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر) الحاوى لأخبار الفرس الأولى وهم الكيانيون ، والطوائف من الأشغان، والأردوان وغيرهم ، والساسانية وطبقاتهم وأنسابهم وملوكهم الى يزدجرد بن شهريار آخرهم ، ومن أعقب منهم ومن لم يعقب وسيرهم وحروبهم وحيلهم ومكايدهم فيها ، وكيفية غلبتهم على العراق وزوال ملك النبط، الاردوان منهم ، والأزمان وضروب سياستهم الديانية والملوكية الخاصة منها والعامة ، وعهودهم وخطبهم ورسائلهم ومبلغ سنى ملكهم وشعارهم ، وما كان من الكوائن والأحداث أعصارهم ، ومبدأ دين المجوسية وظهورها وخبر «زرادشت» نبيهم ، وما جاء به وخطوطهم السبعة التى كانوا يكتبون بها وأحرف كل خط منها ، ولما أفردوا اعيادهم من النواريز والمهرجان وعلة كل

نوروذ ومنها وغير ذلك من الاعياد، والعلة فى إيقادهم النيران وصبهم المياه وشدهم الكساتيج فى أوساطهم كشد النصارى الزنانير ، وأسباب الملك وحاجة الناس إلى الملوك والتدبير والحوادث المنذرات بزوال الملك من فارس إلى العرب ، وما كانوا يروونه عن اسلافهم ويتوقعونه من الدلائل والعلامات فى ذلك واحتراس ملوكهم عن وقوعه ، وضروب آنيتهم* من المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن ، وغيرها وأحكامهم فى خواصهم وعوامهم وما بنوا من المدن وكوروا من الكور، وحفروا من الأنهار وأثروا فى الارض من عجيب البنيان وبيوت النيران والعلة فى عبادتهم اياها ، وما قالوه فى مراتب الانوار ، والفرق بين النار والنور ، واضداد الانوار ومراتبها ؛ ومراتب ذوى الرئاسات الملوكية والديانية من المرازبة والاصبهبذين والهرابذة والموابذة ومن دونهم ، ورايات الفرس وأعلامهم وتشعب انسابهم ، وما قال الناس فى ذلك ، والبيوت المشرفة فيهم من أبناء الملوك وغيرهم ، والشهارجة والدهاقين ، والفرق بينهم وبين من سكن منهم فى السواد وغيره من البلاد قبل ظهور الاسلام وبعده الى هذا الوقت المؤرخ

وماتذكره الفرس فى المستقبل من الزمان وينتظرونه فى الآتى من الأيام من عود الملك اليهم ورجوعه فيهم وظهوره عليهم ، ومايذكرون من دلائل ذلك ونذراته بتأثيرات النجوم وغيرها من الامارات والعلامات ، كظهور المنتظرين عندهم كبهرام هماوند وسشياوس وغيرهما، وما يكون من قصصهم ومايحدث فى الأرض من الآيات ، ووقوف الشمس نحوا من ثلاثة أيام وغير ذلك ، وذلك الى مدة حدوها وأوقات قرورها رأينا الاضراب عن ذكرها فى هذا الكتاب

وقول من قال منهم بعد ظهور الاسلام أن الفرس من ولد اسحاق بن ابراهيم الخليل وما استشهدوا به على ذلك من اشعار ولد معد بن عدنان فى افتخارهم بالفرس على اليمانية ، وانهم من ولد ابيهم ابراهيم ، كقول جرير بن عطية بن* الخطفى التميمى

مفتخرا لنزار على اليمن

أبونا خليل الله لا تنكرونه فأكرم بابراهيم جدا ومفخرا
وأبناء اسحاق الليوث إذا ارتدوا حمائل موت لابسين السنورا
إذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم وكسرى وعدوا الهرمذان وقيصرا
أبونا أبو اسحاق يجمع بيننا أب كان مهديا نبيا مطهرا
ويجمعنا والغر أبناءَ فارس أب لا نبالى بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا رضينا بما أعطى الاله وقدرا

وكقول اسحاق بن سويد العدوى ، عدى قريش

إذا افتخرت قحطان يوما بسؤدد أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدء باسحاق عمنا وكانوا لنا عونا* على الدهر أعبدا
ويجمعنا والغر أبناء فارس أب لا تبالى بعده من تفردا

وكقول بعض النزارية

واسحاق واسماعيل مدا معالى الفخر والحسب اللبابا
فوارس فارس وبنو نزار كلا الفرعين قد كبرا وطابا

وأن الفرس قد كانت فى سالف الدهر تقصد البيت الحرام بالنذور العظام تعظيما لابراهيم الخليل عليه السلام بابنه

وأنه عندهم أجل الهيا كل السبعة المعظمة ، والبيوت المشرفة فى العالم . وأن رجلا تولاه فأعطاه المدة والبقاء ، واستشهدوا بقول بعض العرب فى الجاهلية

زمزمت الفرس على زمزم وذاك فى سالفها الاقدم

وقول من قال منهم إن منوشهر الذى ترجع اليه الفرس جميعا في أنسابها هو منشخر بن منشخرباغ ، وهو بعيش بن ويزك وويزك هو إسحاق بن ابراهيم

الخليل واستشهادهم بقول بعض شعراء الفرس فى الاسلام مفتخرا

أبونا ويزك وبه أسامى إذا افتخر المفاخر بالولاده
أبونا ويزك عبد رسول له شرف الرسالة والزهاده
فمن مثلى إذا افتخرت قروم ويبقى مثل واسطة القلاده

وقول من قال منهم جميعا : إن الملك سينقل من ولد اسماعيل الى ولد اسحاق ، وهذا هو الأغاب على ماظنه أهل* عصرنامن أصحاب التأويل مع من ينازعهم ، هل ذلك فى ولد العيص ، أم فى المصطفين من ولد آل عمران .

ولذوي المعرفة منهم فى ذلك ألغاز ورموز وأغراض* وغير ذلك من أخبارهم والغرر من أيامهم ، مما أخذناه* عن علمائهم ، كالاوابذة والهرابذة وغيرهم من ذوى المعرفة بأخبارهم بأرض العراق وخوزستان وفارس وكرمان وسجستان والماهات وغير ذلك من أرض الاعاجم ، ونقلناه من الكتب الصحيحة المشهورة عندهم

وكتاب (مروج الذهب) يشتمل على الاخبار عن بدء العالم وأوليته وأقاويل الأمم فى ذلك من أصحاب القدم والحدث ، وما احتج به كل فريق منهم لقولهم على تباينهم والخلق وتفرقهم على الارض والانبياء وشرائعهم والملوك وسيرهم وسياساتهم ، والامم وآرأهم ونحلهم وشيمهم وأخلاقهم ومساكنهم من أخبار العرب والفرس والسريانيين واليونانيين والروم والهند والصين وغيرهم من الامم ومن كان فيهم من الاطباء والحكماء والفلاسفة القدماء

والنواحى والافاق والارض وشكلها وقسمتها وما على ظهرها من عجيب البنيان والعامر منها والغامر ، والافلاك وهيأتها والنجوم وكيفية تأثيراتها فى هذا العالم الارضى

ووصف الاقاليم السبعة ومقاديرها وأطوالها وعروضها والبحار وخلجانها

والمتصل منها والمنفصل ، ومافيها وحولها من العجائب ، وما كان من الأرض برا فصار بحرا ، وبحرا فصار برا على مرور الازمان وكرور الدهور وعلة ذلك وسببه الفلكي والطبيعى، والانهار ومبادئها ونهاياتها

وأخبار الامم الدائرة والممالك البائدة، وجامع تاريخ العالم والانبياء والملوك من آدم إلى نبينا صلى الله عليه وسلم

ومولده ومبعثه وهجرته ومغازيه وسراياه وسواربه الى وفاته والخلفاء والملوك من بعده وكتابهم ووزرائهم والغرر من اخبارهم ، وما كان من الكوائن والاحداث والحروب فى أيامهم الى سنة ٣٤٥ فى خلافة المطيع ، وهو مجزأ على ثلاثمائة وخمسة وستين جزءا ، فاذا اجتمع كانت سمته كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) واذا افترق كان كل جزء منه كتابا قائما بنفسه مضافا الى ما اشتمل عليه وأفرد له

ذكر ملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين

عدة ملوك اليونانيين من فيلبس أبى الاسكندر الى قلوبطرة آخرهم ستة عشر ملكا وجملة ماملكوا من السنين مائتا سنة وثلاث وتسعون سنة وثمانية عشر يوما ، وذلك موجود فى قانون ثاون الاسكندرانى وغيره

وقد ذهب قوم ممن عنى باخبار سير الملوك وتواريخ الامم الى أن عدة ماملكوا من السنين ثلاثمائة سنة وثلاث سنين وقيل فى عدة ملوكهم ومدة سنيهم أكثر من ذلك وأقل ، غير أن الاشهر ماذكرناه

وكان أول من يعد من ملوك اليونانيين فى التاريخ المقدم للحنفاء والقوانين والزيجات فى النجوم وغيرها فيلبس ابو الاسكندر ملك سبع سنين

وكان لليونانيين قبله ملوك سلفوا يتنازع فى اعدادهم وسماتهم ومدة ماملكوا من السنين

الثانى ابنه الاسكندر الملك ، ملك خمس عشرة سنة تسعا منها قبل قتله دارا بن دارا وستا بعد قتله اياه على ما فى ذلك من التنازع فى مدة ملكه بين المجوس والنصارى وغيرهم وأفضى الملك اليه وله ست وثلاثون سنة ، والعوام تكثر من سنيه وهذا هو المعول عليه

الثالث ابطليموس اورنداس ، ملك سبع سنين

الرابع ابطليموس الكصندرس ملك اثنتين وعشرين سنة ، وهو الذى نقلت له التوراة نقلها اثنان وسبعون حبرا بالاسكندرية من بلاد مصر من اللغة العبرانية الى اليونانية وقد ترجم هذه النسخة الى العربى عدة ممن تقدم وتأخر منهم حنين بن اسحاق ، وهى أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس

فاما الاسرائليون من الاشمعث وهم الحشر والجمهور الاعظم ، والعنانية وهم ممن يذهب الى العدل والتوحيد ؛ فيعتمدون فى تفسير الكتب العبرانية التوراة والانبياء والزبور وهى أربعة وعشرون كتابا

وترجمتها الى العربية على عدة من الاسرائليين المحمودين عندهم قد شاهدنا أكثرهم منهم أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبرانى اشمعثى المذهب ، وكانت وفاته فى حدود العشرين والثلاثمائة ، ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومى اشمعثى المذهب أيضا ، وكان قد قرأ على ابى كثير وقد يفضل تفسيره كثير منهم، وكانت له قصص بالعراق مع رأس الجالوت داود بن زكى من ولد داود واعتراض عليه وذلك فى خلافة المقتدر وتحزب من اليهود لاجلهما وحضر فى مجلس الوزير على بن عيسى وغيره من الوزراء والقضاة وأهل العلم لفصل مابينهم وترأس الفيومى على كثير منهم، وانقادوا اليه ، وكانت وفاته بعد الثلاثين

والثلاثمائة ، ومنهم داود المعروف بالقومسى ، وكانت وفاته سنة ٣٣٤ ، وكان مقيما ببيت المقدس ، وابراهيم البغدادى ولم اشاهدهما

وقد كانت جرت بيننا وبين ابى كثير بيلاد فلسطين والاردن مناظرات كثيرة فى نسخ الشرائع والفرق بين ذلك ، وبين اعبدا وغيرذلك ، وبين يهودا ابن يوسف المعروف بابن أبى الثناء تلميذ ثابت بن قرة الصابئ فى الفلسفة والطب فى الرقة من ديار مضر وبين سعيد بن على المعروف بابن اشلميا بالرقة أيضا وكذلك بين من شاهدنا من متكلميهم بمدينة السلام مثل يعقوب بن مردويه ويوسف بن قيوما

وآخرمن شاهدنا منهم ممن تقدم الينا من مدينة السلام بعدالثلاثمائة ابراهيم اليهودى التسترى ، وكان أحذق من تأخر منهم فى النظر وأحسنهم تصرفا فيه

الخامس ابطلميوس الأريب ، ملكسبعا وعشرين سنة

السادس ابطلميوس محب أخيه ، ملك ستا وعشرين سنة

السابع ابطلميوس الصانع ، ملك خمساوعشرين سنة

الثامن ابطلميوس محب أبيه ، ملك سبع عشرة سنة

التاسع ابطلميوس الظاهر ، ملك أربعا وعشرين سنة

العاشر ابطلميوس محب أمه ، ملك عشرين سنة

الحادى عشر ابطلميوس الحوال ، ملك ثلاثا وعشرين سنة

الثانى عشر ابطلميوس المخلص ، ملك سبع عشرةسنة

الثالث عشر ابطلميوس الكصندرس أيضا ، ملك عشرين سنة

الرابع عشر ابطلميوس قساس ، ملك ثمانية عشر يوما

الخامس عشر ابطلميوس ديونسيوس ، ملك تسعا وعشرين سنة

السادس عشر قلوبطرة ابنة ابطلميوس ، ملكت اثنتين وعشرين سنة ، وكانت

حكيمة ولها كتب فى الرقية وغيرها ، وليس ابطلميوس القلوذى صاحب كتاب المجسطى وغيره من الكتب من هؤلاء البطلميوسين ولم يكن ملكا

وقد بينا ذلك فى كتاب أخبار ملوك الروم الأولى فيما يرد من هذا الكتاب فى ملك أنطونيوس بيوس مجملا وفيما تقدمه من الكتب مشروحا

وأتينا فى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) على أخبار اليونانيين وأنسابهم وآرائهم وديارهم والتنازع فى بدء أنسابهم ومن قال انهم من ولد يونان بن يافث بن نوح ، ومن قال بل هو يونان بن ارعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ، ومن قال بل هو يونان بن عابر أخو قحطان بن عابر ومن ذهب إلى أنهم من ولد أليفز بن العيص بن اسحاق ابن ابراهيم وانهم اخوة الروم وغير ذلك من الأقاويل و كيفية غلبة الروم عليهم ودخولهم فى جملتهم حتى زال اسمهم وانقطع ذكرهم ونسب الجميع إلى الروم بغلبة أوغسطس الملك عليهم عند خروجه من رومية ومسيره إلى الشام ومصر وتنازع الناس فى الفلاسفة كفيثاغورس وثاليس وانبدقليس والرواقيين وأصحاب الاصطوان وأميروس وأرسيلاوس وسقراط وأفلاطون وارسطاطاليس وثاوفرسطس وثامسطيوس وأبقراط وجالينوس وغيرهم من الفلاسفة والأطباء أروم هم أم يونانيون وما ذكرنا من الشواهد من كتبهم انهم يونانيون ، وقول من قال إنهم روم وسير ملوكهم وحروبهم وأخبار الاسكندر وسيره ومسيره فى مشارق الأرض ومغاربها ، وما وطىء من الممالك ، ولقى من الملوك ، وبنى من المدن ، ورأى من العجائب وأخبار الردم وهو سد يأجوج ومأجوج وما كان بينه وبين معلمه ارسطاطاليس بن نيقوماخس ، صاحب كتب المنطق وغيرها ، وتفسير « ارسطاطاليس » الغداء التام وقيل تام الفضيلة لأن أرسطو هو الفضيلة ، وطاليس تام ، وتفسير « نيقوماخس » قاهر الخصم من الرسائل والمكاتبات فى

ضروب السياسات الملوكية والديانية وغير ذلك ، وتنازع الناس فى الاسكندر اهو ذو القرنين أم غيره ؟ وما قيل فى ذلك وما كان من أخبار خلفائه بعده كانطيخس البانى مدينة انطاكية وإلى اسمه أضيفت فعربتها العرب فسمتها أنطاكية ، وكسليقس البانى مدينة سلوقية وغيرها ، وما كان بينهم وبين من كان بالأسكندرية من بلاد مصر من الحروب ، وأخبار الفلاسفة وآرائهم الالهيين منهم والطبيعيين ، ومن قتل منهم ، وما كانوا عليه من الآراء إلى عهد سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس من الفلسفة المدنية ، وما أحدثوه من الآراء خلافا على من تقدم ومباينة للفلسفة الأولى الطبيعية التى اليها كان يذهب فوثاغورس وثاليس الملطى ، وعوام اليونانيين ، وصابئو المصريين الذى بقيتهم فى هذا الوقت صابئو الحرانيين، وقد ذكر ذلك ارسطاطاليس فى كتابه فى الحيوان ، وهو تسع عشرة مقالة فقال ولما كان منذ عشرين سنة من زمن سقراط مال الناس عن الفلسفة الطبيعية إلى الفلسفة المدنية وما ذهب اليه سقراط ومن رأى رأيه ممن سميناه فى الموجود الأول الذى اقتبست الموجودات وجودها عنه وكيف يفيض عليها بجوده ، وكيف حصلت الموجودات عنه ، وعلى أى شىء هى سبب وجودها ، وغاية لها ؛ وعلى أى جهة ينبغى أن يعتقد ، وكيف ترتيب مراتبها فى الوجود ، وكيف ارتبط بعضها ببعض ، وبأى شىء ارتبطت وائتلفت ، ومن أى شىء موادها ، وما جواهر الأجسام الطبيعية التى تحتوى عليها الأجسام السمائية ، وهى الاجسام الهيولانية ، وما مراتب الروحانيين، وما فوض إلى كل واحد منهم من التدبير ؟ ونفس الانسان وكم قواها وما فعل كل واحد منها ومراتب بعضها فى بعض ، واحصاء جمل أعضائها ومراتبها ؟ وأى القوى هى الرئيسة ، وما مراتبها ، ومن انتهى فى الرئاسة ، وايها المخدومة وايها الخادمة ؟ وكيف

يحدث العقل فى الانسان ، وكيف فعل العقل الفعال فى الحر الناطق ، وتنازع الناس فى السعادة المطلوبة التى لها كون الانسان، وما الشقاء الذى يصير اليه اذا حاد عن طريق السعادة ؟ وذكر المنام واصناف الرؤيا ، ولأى جزء من اجزاء النفس ذلك ، وما الرؤيا الصادقة ، ومن اين تحصل للنفس وكيف صارت الصادقة تدل ،وعلى أى جهة تدل؟ وكيف الطريق إلى علم عبارة الرؤيا، وما الحاجة الى الاجتماعات الانسانية ، واصناف الاجتماعات وهي التى بها يتعاونون على بلوغ اغراضهم التى اليها يأتمون ، وايها عظمي وايها وسطى وايها صغرى؟ وما الاجتماع المدني الذى يكون فى المدينة الفاضلة ، وما المدينة الفاضلة ، وما مراتب اجزائها ، ومراتب رئاساتها ، وكيف صارت منزلة اجزاء هذه المدينة منزلة اعضاء الحيوان من الحيوان ، فانهم يتعاونون على تكميل السعادة للانسان كما يتعاون اعضاء الحيوان على تكميل حياة الحيوان ؟ وكيف ينبغى ان يكون ملك هذه المدينة ورئيسها الاول ؟ واى علامات وشرائط ينبغي ان يكون فيه من مولده وفى صبائه وحداثته يرشح بها لملك المدينة الفاضلة والفضائل التى يصير بها سائسا كاملا ورئيسا فاضلا، وبأى آداب وصناعات يؤدب فتمكن فيه حتى تحصل له مهنة الملكية الفاضلة؟ وفى اى الامم يوجد ذلك فى الاغلب ؛ وفى ايها فى النادر ، وهل هو جزء من اجزاء المدينة ام غيرها ، على مافى ذلك من التنازع بين افلاطون وارسطاطاليس ؛ على حسب ما ذكره افلاطون فى كتاب (الفحص عن ملك المدينة الفاضلة) الذى هو الفيلسوف فى الحقيقة وذكره ارسطاطاليس فى كتابه فى (السياسة المدنية) وعدد اجزاء هذه المدينة ومثلها الطبيعية وكيف ينبغى ان تكون الرئاسات التى تتبع الرئيس الاول فى هذه المدينة ، وبماذا تكمل وتلتئم تلك الرئاسات ؟ وكم اصناف المدن المضادة للمدينة الفاضلة ؛ كالمدن الجاهلية والمدن الضالة والمدن الفاسقة ومراتب ملوكهم ورئاساتهم ، ونحو ماذا يؤمون وعلى

بلوغ اى غرض يتعاونون، وما اصناف السعادات التى تصير اليها انفس اهل المدينة الفاضلة فى الحياة الآخرة واصناف الشقاء التى تصير اليها انفس اهل المدن المضادة للمدينة الفاضلة فى الحياة الآخرة ، وما الاشياء التى ينبغى ان يعلمها ويعمل بها اهل المدينة الفاضلة باشتراك وعلى العموم لينالوا بها السعادة الكاملة المطلوبة، وما العلامات التى يتميز بها اهل المدينة الفاضلة من باقى الامم والمدن المضادة لهم وما ينبغي ان تكون عليه احوال اهل المدينة الفاضلة متى لم تكن لهم مدينة تخصهم وكانوا غرباء فى المدن المضادة لمدينتهم، وذكر الاصول الفاسدة التى منها تفرعت أصناف الآراء والاجتماعات والمدن والرئاسات الجاهلية والاصول الفاسدة التى منها تنشأ أصناف الآراء والاجتماعات والمدن والرئاسات الضالة ، وقولهم فى الاوائل بها وجود سائر الموجودات وهي الاول اكملها وجودا اذ لم يكن وجوده لاجل غيره ووجود كل ماسواه لأجله، والاشياء منه لا هو منها، اقتبست وجودها من وجوده ، فهو كل الاشياء. وليست الاشياء هو، ومعرفته الواجبة ألا طريق اليه الا منه ولاسبيل اليه الا به اذا كانت العلة لايدركه معلول ولامحدث قديما ولامخلوق خالقا، والثوانى التى تليه فى الوجود ومراتبها بحسب مراتب الاجسام السمائية وعددها على عددها، والعقل الفعال، والنفس ، والصورة، والهيولى ، وأن باقى الموجودات هى الأجسام ، وأجناسها ستة ، الجسم السمائى ، والحيوان الناطق ، والحيوان غير الناطق ، والنبات ، والأجسام الحجريه ، وهى المعدنية ، والاستقصات الاربعة وهى النار، والهواء ، والماء ، والأرض

وما ذهبوا اليه فى العقل الأول والثانى ، والنفس وماتحت ذلك من الطبائع وأن العقل هو العلة المتوسطة بين الله عز وجل ، وبين خلقه ، والسبب الذى شرفت به النفس الناطقة فى عالمها ، والمرآة التى بها تنظر الى محاسنها ومساويها وبها تتأمل صور مهالكها ومناجيها ، وقولهم فى النفس الناطقة وغيرها من

النفوس كالنزاعية والتخيلية والحسية والبهيمية ، وما يرتبطمنها بالأجسام السمائية التى هى على اعدادها ومقسومة عليها ، وأن النفس الناطقة جوهر بسيط من جوهر الحي الذى لايموت ، وأن موتها انتقالها من جسم الى جسم ، وأنها إذا فارقت البدن عاينت كل ما فى العوالم ، ولم يخف عليها خافية ، وأن غرضها وغايتها القصوى السعادة واللحاق بعالم العقل ، وهى الانسان على الحقيقة والعلة فى نزولها من عالم العقل إلى عالم الحس ، حتى نسيت بعدالذكر ، وجهلت بعد العلم ، وقول من رأى ذلك منهم ، ولأية علة صار الانسان العالم الصغير ، وما اجتمع فيه وشبه به من سائر الأشياء ، وما الاتصال والنسبة بين العوالم ، عند من ذكرنا قوله ؟

وماذهب اليه ارسطاطاليس فى أزلية العلة والمعلول ، وذكره ذلك فى المقاله الاولى من كتابه فى (سمع الكيان) وفى المقالة الثامنة منه أيضا ، وهو ثمانى مقالات ، وفى كتاب (السماء والعالم) وهو أربع مقالات ، وفى كتاب (ما بعد الطبيعة) وهو ثلاث عشرة مقالة

وقول سائر أهل الشرائع مع تنازعهم وغيرهم من أصحاب القدم فى المعاد بعد مفارقة النفوس الاجساد ، وقول أصحاب التأويل وغيرهم فى الروح اللطيف الغير محسوس ، والكثيف المحسوس ، وغير ذلك من حدودهم المؤيد منها والمقصود وسائر الآراء والنحل

قال المسعودى : وأرسطاطاليس هو تلميذ أفلاطون . وأفلاطون تلميذ سقراط وسقراط تلميذ أرسيلاوس ، فى الطبيعيات ـ دون غيرها من العلوم ـ وتفسير « أرسيلاوس » رأس السباع ، وأرسيلاوس تلميذ انكساغورس

وقد ذكرنا فى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) الفلسفة وحدودها ، والأخبار من كمية أجزائها وما ذكره فوثاغورس . وثاليس

الملطي ، والرواقيون ، وأفلاطون ، وأرسطاطاليس وغيرهم . وتنازعهم في ذلك وصفة الفيلسوف الذي يجب له في الحقيقة هذا الاسم ، ويطلق عليه ، وكيفية سيرته وأخلاقه وأوصافه وصورته . ومراتب الفلسفة ، وعلى ماذا استقرت وكيف وقعت التعاليم بها إلى هذا الوقت ، والى ماذا انتهت ، والغرض من كتب المنطق ووصفها والحاجة التي دعت إلى تأليف كتب المنطق وما المنفعة التي تستفاد منها . ولم صارت ثمانية كتب . وما العلة في هذا الترتيب ، وما الغرض المقصود في كل واحد منها ، وما الأشياء التي ينبغي أن يبتدىء بالنظر فيها من أراد قراءة كتب المنطق . وفي أي صنف من الصناعات تدخل صناعة الفلسفة . وكم حدودها . وإلى من يضاف كل حد منها من الفلاسفة، ومن أي الجهات استخرجت حدودها . وما معنى كل حد منها . وكم أقسام الفلسفة الاوالى* والثواني . ولم قسمت بهذه القسمة وجرت قسمتها هذا المجرى ؟ ولأية علة ابتدىء بالفلسفة المدنية من سقراط ثم افلاطون ثم أرسطاليس ثم ابن خالته ثاوفرسطس ثم أوذيمس ، ومن تلاه منهم واحدا بعد آخر ، وكيف انتقل مجلس التعليم من أثينة الى الاسكندرية من بلاد مصر ، وجعل أوغسطس الملك لما قتل قلوبطرة الملكة التعليم بمكانين الاسكندرية ورومية ، ونقل تيدوسيوس الملك الذي ظهر في ايامه أصحاب الكهف التعليم من رومية ، ورده اياه الى الاسكندرية ؟ ولأي سبب نقل التعليم في أيام عمر بن عبد العزيز من الاسكندرية الى أنطاكية ، ثم انتقاله الى حران في أيام المتوكل ؟ وانتهى ذلك في أيام المعتضد إلى قويرى ويوحنا بن حيلان ، وكانت وفاته بمدينة السلام في أيام المقتدر وابراهيم المروزي ، ثم الى أبي محمد بن كرنيب وأبي بشر متى بن يونس تلميذي ابراهيم المروزي ، وعلى شرح متي لكتب ارسطاطاليس المنطقية يعول الناس في وقتنا هذا ، وكانت وفاته ببغداد في خلافة الراضي ، ثم الى أبي نصر محمد

ابن محمد الفارابى تلميذ يوحنا بن حيلان وكانت وفاته بدمشق فى رجب سنة ٣٣٩

ولا أعلم فى هذا الوقت أحداً يرجع اليه فى ذلك الا رجلا واحدا من النصارى بمدينة السلام يعرف بأبى زكرياء بن عدى ، وكان مبدأ أمره ورأيه وطريقته فى درس طريقة محمد بن زكرياء الرازى ، وهو رأى الفوثاغوريين فى الفلسفة الاولى على ماقدمنا

فلنذكر الآن ملوك الروم على طبقاتهم ، الصابئين منهم والمتنصرة . وجملة ماملكوا من السنين ، وما كان من الحوادث العظيمة فى أيامهم وبلادهم وغير ذلك من أخبارهم

ذكر ملوك الروم

على طبقاتهم من الحنفاء وهم الصابئون
والمتنصرة وعدتهم ، وجملة ماملكوا من السنين

عدة ملوك الروم جميعا من غائيوس قيصر أول ملوكهم الى قسطنطين بن لاون بن بسيل الملك عليهم فى هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥ فى خلافة المطيع ثمانية وسبعون ملكا من ذلك الملوك الصابئون المسمون بالحنفاء قبل النصرانية أربعون ملكا ، والمتنصرة من قسطنطين بن هيلانى الى قسطنطين بين لاون هذا ثمانية وثلاثون ملكا

وجملة ماملكوا من السنين تسعمائة وست وستون سنة وشهر من ذلك الصابئون ثلاثمائة وأربع وسبعون سنة وثلاثة أشهر : والمتنصرة الى ملك قسطنطين ابن لاون خمسمائة واحدى وتسعون سنة وعشرة أشهر

ذكر الطبقة الاولى

من ملوك الروم ، وهم الصابئون

كان أول من يعد ممن ملك منهم برومية غائيوس قيصر ، ملك ثمانى عشرة سنة ، وقد كان ملك بها قبله ملوك أولهم روملس وأرمانوس ، البانيان لها المعروفان بابنى الذئبة ، والى اسمها اضيفت رومية واضيف الروم الى اسمها وغيرهما من الملوك ، غير أن غائيوس أول من يعد فى التاريخ القديم

وقيل إن أول من ملك الروم رهاساطوخاس وهو جائيوس الاصفر بن روم ابن سملاحين بن هريا بن علقا بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم

الثانى من ملوك رومية يوليوس ، ملك اربع سنين وأربعة أشهر

والثالث اوغسطس وتفسير « اوغسطس » باللغة الافرنجية الاولى الضياء وسمى « قيصر » تفسير ذلك بهذه اللغة شق عنه ، وذلك أنهم ذكروا أن أمه ماتت وهى مقرب به فشق عنه بطنها واستخرج ، وصار ذلك كالسمة لكثير من ملوكهم . واشتهر ذلك عنهم فسمتهم العرب بالقياصرة ، ملك ستاً وخمسين سنة وخمسة أشهر

وأكثر من عنى بأخبار ملوك الروم وتواريخهم ، بأوغسطس يبتدىء لأنه أول ملك من ملوك الروم خرج عن مدينة رومية دار مملكته وسير جنوده براً وبحرا ، فاستولى على ملك اليونانيين ومصر والشام . وقتل قلوبطرة ، آخر ملوك اليونانيين ، فاجتمع له ملك الروم واليونانيين وزالت رسوم اليونانيين فسمى الجميع روما ، وذلك لاثنتى عشرة سنة خلت من ملكه ، وولى هيرودس بن أنطيقوس على أورشلم وهى بيت المقدس وجبل يهودا وجبل الجليل

ولاثنتين وأربعين سنة خلت من ملكه كان مولد المسيح عليه السلام ببيت

لحم من بلاد فلسطين ، يوم الاربعاء لست بقين من كانون الاول

وكانت مريم يوم ولدته بنت ثلاث عشرة سنة عند النصارى ، وكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة منها بعد رفع المسيح ست سنين

فكان من آدم إلى مولده عندهم خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وست سنين ، ومن زوال ملك قلوبطرة آخر من ملك اليونانيين على ما قدمنا فى هذا الكتاب إلى مولده ثلاثون سنة

الرابع طيباريوس قيصر، ملك ثلاثا وعشرين سنة ، وهو الذى بنى مدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشأم ، والى اسمه أضيفت فعربتها العرب حين افتتحت البلاد فقالت طبرية

ولخمس عشرة سنة خلت من ملكه عمد ايشوع الناصرى عند النصارى فى نهر الأردن ، وكان المعمد له ابن خالته يحيى بن زكرياء ، ولذلك سمى يحيى المعمدانى

واسم أمه صابات وكان أكبر من ايشوع بستة أشهر ولسبع عشرة سنة خلت من ملكه وهى سنة ٣٤٢ للاسكندر بن فيلبس الملك كان عند النصارى صلب ايشوع الناصرى ، وذلك فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من اذار ، وهو عندهم منه فى مثل اليوم الذى أهبط فيه آدم من الجنة، ومات عندهم ودفن وقام وانبعث من بين الموتى حيا ، وصعد إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة ، ولا يصعد عندهم إلى السماء إلا من نزل منها

وكان فصح اليهود فى هذه السنة يوم السبت لسبع بقين من اذار ؛ وفصح النصارى إلى قيامة المسيح يوم الأحد لست بقين من أذار ، والصعود يوم الخميس لثلاث خلون من نيسان

والنصارى تصوم يوم الأربعاء، لأن ايشوع ولد فيه ، والجمعة لأنه صلب

فيه عندهم تطوعاً لا فريضة

الخامس غائيوس بن طيباريوس ملك أربع سنين وقتل اصطفنوس رئيس الشمامسة والشهداء عند النصارى ، ويعقوب أخا يوحنا بن زبدى فى خلق كثير من النصارى

السادس قلوذيوس بن طيباريوس ، ملك أربع عشرة سنة، وفى أول سنة من ملكه قتل أغريفوس عامله على الاسرائليين * يوحنا بن زبدى احد التلاميذ وحبس شمعون الصفا ، ثم خلص شمعون الصفا من الحبس ، وصار إلى مدينة انطاكية ، والنصارى يدعونها مدينة الله ، ومدينة الملك ، وأم المدن ، لأنها أول بلد أظهر فيه دين النصرانية ، وبها كرسى بطرس ويسمى شمعون وسمعان، وهو خليفة ايشوع الناصرى والمرأس على سائر التلاميذ الاثنى عشر والسبعين وغيرهم ، فشرع بطرس فى بناء الكنيسة المعروفة فى انطاكية بالقسيان إلى هذا الوقت

وفى السنة الثالثة من ملكه دخل شمعون الصفا مدينة رومية ، وسقف بها ودبرها سنين ، ودانت امرأة الملك ، وكان اسمها فروطانيقى ويقال لها بطريقية النصرانية ، وصارت إلى أورشلم وهى بيت المقدس فأخرجت الخشبة التى تظن النصارى أن المسيح صلب عليها ، ويسمونها صليب المسيح . وكانت فى أيدى اليهود ، قد منعوا النصارى منها فأخذتها منهم وردتها على النصارى وقوت أمرهم

ونحن ذاكرون لما من أخبار هذه الخشبة وإلامَ آل أمرها فى قصة هيلانى أم قسطنطين فيما يرد من هذا الكتاب ، وإن كنا قد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا

السابع نيرون بن قلوذيوس ملك ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ، ولثلاث

عشرة سنة خلت من ملكه قتل بطرس ، وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكسين وذلك بعد ايشوع باثنتين وعشرين سنة

وقد أتينا على خبر بطرس بمدينة رومية مع سيمن المصرى ، الذى تسميه النصارى جميعا إلا الأريوسية « الساحر » وكان صحب ايشوع ثم خالفهم فيما سلف من كتبنا

وفى السنة الثامنة من ملكه وثبت اليهود بأروشلم ، فيما ذكرت النصارى على يعقوب بن يوسف أخى ايشوع الناصرى عندهم فى الجسمية ، وكان أول أساقفة بيت المقدس ، وألقوه على رأسه من أعلى الهيكل فمات لامتناعه من الرجوع الى مذهبهم ومقامه على دين النصرانية ودفن الى جانب الهيكل وهدموا البيعة وأخذوا خشبة الصليب وخشبتى اللصين فدفنوها فى قبر واحد

وفى ايام هذا الملك فيما قيل كان مارينوس الحكيم صاحب كتاب جغرافيا فى صورة الارض وشكلها وبحارها وأنهارها وعامرها وغامرها وقد ذكره ابطلميوس القلوذى فى كتاب جغرافيا فى صورة الارض وشكلها ايضا وأنكر عليه أشياء ذكرها

الثامن غلباس ، ملك سبعة أشهر

التاسع اوثون ، ملك ثلاثة اشهر

العاشر بيطاليس ملك ثمانية اشهر

الحادى عشر اسباسيانوس ، ملك تسع سنين وسبعة اشهر ، ووجه بابنه طيطوس فى السنة الثانية من ملكه الى اورشلم لخلاف كان منهم عليه فحصرها وافتتحها عنوة وقتل اكثر اهلها من اليهود والنصارى وخرب الهيكل وكان عدة من قتل من الاسرائليين فيما ذكر نحوا من ثلاثة آلاف الف وعم الاذى اليهود والنصارى فى ايامه

الثانى عشر طيطوس بن اسباسيانوس ملك سنتين وثلاثة اشهر وفى اول سنة من ملكه اظهر مرقيون مقالته وهى القول بالاثنين الخير والشر وسعد ثالث بينهما وكان ابنا لبعض الاساقفة ببلاد حران واليه تنسب المرقيونية من أصحاب الاثنين

الثالث عشر دومطيانوس بن اسباسيانيوس ملك خمس عشرة سنة وعشرة أشهر

الرابع عشر نرواس قيصر ، ملك سنة وخمسة أشهر

الخامس عشر طرايانوس قيصر ، ملك تسع عشرة سنة ، وفى السنة السادسة من ملكه كانت وفاة يوحنا التلميذ بمدينة افسيس بعد أن كتب الانجيل فى جزيرة من جزائر البحر

السادس عشر ايليا اذريانوس ، ملك عشرين سنة وقتل من اليهود باورشلم وجبل يهودا وجبل الجليل وغيرها من أرض الشأم مقتلة عظيمة لخلاف كان منهم عليه وكذلك من النصارى وخرب أورشلم وهو آخر خرابها ، فلما مضى من ملكه ثمان سنين عمرها وسماها إيليا ، فصارت سمة لها إلى هذا الوقت وأسكنها جماعة من اليونانيين والروم

وبنى على الاقرانيون المقبرة هيكلا عظيما للزهرة ، وبنى نحو الهيكل الذى يدعى البهاء برجا عظيما ، وجعل على أعلاه لوحا من الرخام مكتوباً فيه بالذهب اسم الملك ايليا، وهذا البرج إلى هذا الوقت وهي سنة ٣٤٥ يسمى محراب داود وهو متصل بسور المدينة، وانما بنى بعد داود بمئين من السنين، وكان بنيانا عظيما سبع طبقات فهدم من أعاليه ، وفى أيامه كان ساقندس الفيلسوف الصامت وقد أتينا على خبره مع هذا الملك وغيره واشارته ورموزه فى (كتاب الاستذكار ، لما جرى فى سالف الأعصار)

السابع عشر انطونينوس بيوس ، ملك اثنتين وعشرين سنة قال المسعودى :

وفى أيامه كان ابطلميوس القلوذى صاحب كتاب المجسطى وجغرافيا والمقالات الأربع والقانون الذى عمل عليه ثاون الاسكندرانى وكتاب الأنواء وكتاب الموسيقي وان لم يذكر العود فيه فذلك دليل على أنه حدث بعده وغير ذلك مما أضيف اليه من الكتب وهو بطلاماوس بلغتهم وقيل انه من ولد قلوذيوس السادس من ملوك الروم على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ؛ وكانت أرصاده التى أرخ بها المجسطى فى ملك انطونينوس هذا ، وذلك موجود فى المقالة التاسعة من هذا الكتاب وقدأدرك جالينوس عصره وشاهده فى حال صباه، وجالينوس يعينه فى كثيرمن أقاويله وارصاده لمخالفته ابرخس صاحب الارصاد القديمة، وقد غلط كثير من الناس ممن يدعى المعرفة بأخبار حكماء الأمم وفلاسفتهم والملوك ومن كان منهم فى اعصارهم فجعلوه بعض ملوك اليونانيين بعد الاسكندر المسمين بهذا الاسم وأنه [illegible] الملكة الحكيمة آخر من ملك من ملوك اليونانيين المقدم [illegible] من هذا الكتاب ، وذكروا أموراً أيدوا بها قولهم هذا ، [illegible] فيما سلف من كتبنا

[illegible]: ومن أدل الدلائل على بطلان قولهم أن ابطلميوس ذكر فى النوع الثامن من القول الثالث من كتاب المجسطى انه رصد الشمس بالاسكندرية فوجد الاعتدال الخريفى فى اليوم السابع من الشهر الثالث من شهور القبط سنة ٨٨٠ لبخت نصر فاذا نظرنا ما بين ملك بخت نصر إلى غلبة الاسكندر لدارا وهو أربعمائة سنة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وستة عشر يوما ، ومن غلبته إياه إلى زوال ملك قلوبطرة آخر من ملك من اليونانيين الملقبين بالبطلميوسيين الذين ملكوا بالاسكندرية بعد الاسكندر بغلبة أوغسطس ملك الروم على ملكها على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مائتا سنة

وست وثمانون سنة وثمانية عشر يوماومنذ غلبة أوغسطس الىوفاتهأربع وأربعون سنة وملك بعده من ملوك الروم إلىأنطونينوسالذىذكرنا أن ابطلميوس كان فى أيامه من السنين مائة سنة وثلاثا وعشرين سنـة وسبـعة أشهر ، فمنذ ملك بخت‌نصر إلى ملك أنطونينوسهذا على هذهالمسافة ثمانمائة واثنتان وثمانون سنة وثمانيـة اشهر وأربعة عشر يوما، وجدنا ذلك موافقا لما حكيناه عن ابطلميوس من تاريخ رصده

الثامن عشر مرقس ، ويسمى أورلليوس قيصر ملك تسع عشرةسنةوفى ملكه أظهر ابرديـصان مقالته ،وكان اسقفا للرهاء من بلاد الجزيرة واليه تضاف الديصانيةمن أصحاب الاثنين وتفسير «ابرديصان» وهى كلمة سريانية ابن النهر والنهر هناك معروف بديصان الى هذا الوقت على باب من أبواب الرهاء يعرف بشاعا مصبه إلى ناحية حلوان ثم ينتهى إلى نهر البليخ وإنما يجرى شهورا وينقطع فى القيظ وله كنيسة على هذا النهر مما يلى الباب يعيد لها النصارى عيدا فى السنة وقيل انه كان منبوذاً أصيب على شاطى هذا النهر فأضيف‌اليه

التاسع عشر قوموذوس بن أنطونينوس ملك اثنتى عشرة سنة وفى أيامه كان جالينوس تاج الأطباء وإمامهم فى عصره الذى به يقتدون وعلى كتبه يعولون ، والمفسر لـكتب ابقراط والملخص* لها بمدينة ابرغامس من أرض اليونانيين وقد ذكر ذلك جالينوس فى كتابه فى أخلاق النفس فى فهرست كـتبه وبين الاسـكندر وقوموذوس الملك هذا خمسمائة سنة ونيف

قد بين ذلك جالينوس فى كتابه فى الأخلاق أيضا فينبغي أن يكون لجالينوس إلى وقتنا هذا وهو سنة ١٢٦٧ للاسـكندر وسنة ٣٤٥ للهجرة سبعمائة سنة ونيفا على التقريب وكان جالينوس بعد المسيح بنحو مائتى سنة وقد كان دين النصرانية ظهر فى الروم واليونانيين وغيرهم فى أيامه

وذكر جالينوس المتدينين من النصارى فى كتابه فى جوامع كتاب أفلاطون فى السياسة ، لأنه كان متدينا بذلك . وبين جالينوس وبين ابقراط نحو من ستمائة سنة لأن ابقراط كان قبل الاسكندر بقريب من مائة سنة فى أيام ارطخشست من ملوك الفرس الأولى ، وأرى انه بهمن بن اسفنديار* بن كيشتاسب بن كيلهراسب

وقد ذكر ذلك جالينوس فى تفسير كتاب ايمان ابقراط وشرحه له وترجمه حنين بن اسحاق فحكى أن ارطخشست هذا وجه الى عامله على مدينة قوس من أرض اليونانيين — وهم يومئذ فى طاعته — يأمره بدفع قناطير من المال اليه وحمله اليه مكرماً ، لأنه نال من الفرس فى ذلك الوقت داء يقال له الموتان فامتنع ابقراط من ذلك لأنه لم ير من العدل اشفاء الفرس وهم أعداء اليونانيين

قال المسعودى : والبقارطة ثلاثة ابقراط هذا صاحب الكتب المصنفة فى الطب التى ترجمها وشرحها جالينوس وغيره ككتاب الفصول وكتاب تقدمة المعرفة وهو كتاب الأمراض الحادثة وكتاب ماء الشعير وهو كتاب تدبير الامراض وكتاب ابتديميا وهو كتاب الاهوية والبلدان وغير ذلك من الكتب المنسوبة اليه من السنن وغيرها ، وهو من ولد سقلابيوس وكان معظماً فى اليونانيين وله هيكل وسقلابيوس هذا من ولد ابلون ، وكان معظما لحكمته له أيضا هيكل فى بعض الجزائر كان يحج اليه فى أيام اليونانيين قبل ظهور النصرانية وقد ذكره أفلاطون فى كتابه المسمى فادن فى النفس

والاثنان الباقيان من البقارطة من اولاده أيضا لأنه كان لابقراط الكبير ابنان أحدهما يقال له تاسلوس والآخر دراقن وكان لكل واحد منهما ابن سماه باسم جده ابقراط ، ذكر ذلك غير واحد ممن تقدم وتأخر منهم حنين بن اسحاق فى كتابه فى الاسطقسات على رأى جالينوس على طريق المسألة والجواب

إلى ابنيه اسحاق وداود

العشرون برطينقس قيصر ، ملك ثلاثة أشهر

الحادى والعشرون يوليانوس قيصر ، ملك شهرين

الثانى والعشرون سورس ، ملك سبع عشرة سنة وشمل اليهود والنصارى فى أيامه القتل والأذى والتشريد ، وسار إلى بلاد مصر فبنى بالاسكندرية هيكلا عظيما سماه هيكل الآلهة

الثالث والعشرون انطونيوش ، ملك ست سنين

الرابع والعشرون مقرينوس ملك سنة وشهرين

الخامس والعشرون أنطونيوس الثانى ، ملك أربع سنين

السادس والعشرون الاكصندرس ويلقب مامياس، ملك ثلاث عشرة سنة

السابع والعشرون مقسميانوس ، ملك ثلاث سنين

الثامن والعشرون بوبينوس، ملك ثلاثة أشهر

التاسع والعشرون غرديانوس ، ملك ست سنين

الثلاثون فيلبس قيصر ، ملك ست سنين ودعى إلى دين النصرانية فأجاب وترك ما كان عليه من مذاهب الصابئين واتبعه على ذلك كثير من أهل مملكته فآل ذلك إلى تحزبهم واختلاف كلمتهم فى الديانة وكان فيمن خالفه عليه بطريق من بطارقته يقال له داقيوس فقتل فيلبس واستولى على الملك

الحادى والثلاثون داقيوس ، ملك سنتين وتتبع النصارى فقتل منهم مقتلة عظيمة ومنه هرب الفتية أصحاب الكهف وهم فى جبل من جبال الروم يعرف بخاوس شرقى مدينة افسيس وهو على نحو ألف ذراع منها، وكانت هذه المدينة على بحر الروم فبعد البحر عنها فى هذا الوقت وخربت واحدثت مدينة على نحو ميل منها

قال المسعودى : وقد ذكرنا فى كتاب (الاستذكار ، لما جرى فى سالف الأعصار) الذى كتابنا هذا تال له فى اخبار ملوك الروم تنازع الناس فى أصحاب الكهف والرقيم ومواضعهم وهل هم أصحاب الرقيم أم هؤلاء غيرهم ؟ ومن قال منهم ان الرقيم بالهوته وهى خارجى من بلاد الروم بين عمورية ونيقية وكيفية تزاور الشمس فى حال طلوعها وغروبها عن الكهف والعلة فى ذلك على الشرح والايضاح ، وما كان من توجيه الواثق لمحمد بن موسى بن شاكر المنجم إلى هناك وما شاهد

قال المسعودى : وللناس ممن عنى بهيئة الفلك وعلم النواحى والآفاق وتأثيرات الأجسام السمائية فى هذا العالم فى كيفية ازورار الشمس عن كهفهم فى حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير، من ذلك ان كل بيت يستقبل بابه الشمال فى البلدان الخارجة عن مدار السرطان إلى ناحية الشمال وكل بلد عرضه أكثر من أربع وعشرين درجة ، فان الشمس إذا طلعت أخذت عن يمين الباب، وإذا توسطت السماء كانت على ظهر البيت، وإذا غربت أخذت عن ذات الشمال. وهذا الصقع الذى فيه الكهف واغل فى الشمال وباب الكهف مستقبل الشمال ، وذكر هؤلاء أن مدينة افسيس التى هى مدينة أصحاب الكهف فى الأقليم الخامس طولها من المغرب سبع وخمسون درجه تامة وعرضها ثمان وثلاثون درجة ، ويمكن أن يكون الله عز وجل خلق لهم هذا الكهف مستقبل الشمال على ما ذكرنا تكرمة لهم وليجعلهم آية للعالمين وقد أخبر الله عز وجل عن ذلك بقوله (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ، ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)

الثانى والثلاثون غليوس قيصر ملك سنتين وكان شريكه فى الملك أخوه يوليانوس

الثالث والثلاثون غالينوس قيصر ويلقب والاريانوس ملك خمس عشرة سنة

الرابع والثلاثون قلوذيوس الثانى ملك سنة وفى أيامه كان ظهور مانى واليه أضيفت المانوية من أصحاب الاثنين ، وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار ملوك الفرس الثانية وهم الساسانية فى ملك سابور بن اردشير وما كان من مقتله فى ملك بهرام بن هرمز بن سابور مجملا وفيما سلف من كتبنا مفصلا مشروحا ، وقول أصحاب المانوية إنه الفارقليط الذى وعد به المسيح وما ذكر مانى من ذلك فى الجبلة وفى كتابه المترجم بالشابرقان وفى كتاب سفر الأسفار وغيرها من كتبه ، والحجاج بين سائر أصحاب الاثنين من المانوية والديصانيه والمرقيونية وغيرهم من الفلاسفة فى المبادىء الأول وغير ذلك وقد ذكر مانى فى كثير من كتبه المرقيونية والديصانه وأفرد للمرقيونية بابا فى كتابه المترجم بالكنز وللديصانية بابا فى كتابه سفر الأسفار وغير ذلك من كتبه

وإنما ذكرنا ذلك دلالة على أنهما كانا قبله، إذ كثير ممن لا علم له بأرباب الآراء والنحل والمذاهب والملل يعتقد أنهما كانا بعده

الخامس والثلاثون أورليوس بن قلوذيوس ملك ست سنين

السادس والثلاثون طاقطوس وعاضده على الملك أخوه فوروس ملكا تسعة اشهر

السابع والثلاثون بروبس ، ملك تسع سنين

الثامن والثلاثون قاروس، ملك سنتين وخمسة أشهر

التاسع والثلاثون دقلطيانوس ، ملك سبع عشرة سنة

الاربعون مقسيميانوس وشاركه فى الملك مقسنطيوس بن مقسيميانوس فاقتسما المملكة بعد خطوب كثيرة وحروب عظيمة قد ذكرناها فى كتاب (أخبار الزمان ، ومن اباحه الحدثان) من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة ؛ فتملك مقسيميانوس على الشأم ومما يلى بلاد الجزيرة ومواضع

من أرض الروم ، وتملك مقسنطيوس على مدينة رومية وما اتصل بذلك من أرض الافرنجة وتملك معهما على بلاد بوزنطيا وما يليها قسطنس أبو قسطنطين

ثم هلك قسطنس فافضى أمر المملكة إلى ولده قسطنطين المعروف بأمه هيلانى ، وكانت له مع مقسيميانوس ومقسنطيوس برومية وغيرها حروب طويلة إلى ان هلك مقسنطيوس وخلع مقسيميانوس نفسه ، وكانت مدة ملكهما نحوا من تسع سنين

قال ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى : فهذه الطبقة الاولى من ملوك الروم الذين كانوا على دين الصابئة وهى الحنيفية الاولى وهم أربعون ملكا وفى زيج ثاون الاسكندرانى ان عدة الملوك من أوغسطس إلى قسطنطين بن هيلانى تسعة وعشرون ملكا ، وسبيل هؤلاء الملوك من أوغسطس إلى قسطنس أبى قسطنطين سبيل ملوك الفرس الاولى والطوائف من جيومرت إلى أردشير مضطرب تاريخهم متنازع فى أعدادهم غير محصلة أوقاتهم ، وإنما يعول على تاريخ ملوك الروم من قسطنطين المظهر لدين النصرانية والمحارب عليها كما تعول الفرس فى تاريخ سنيها وتحصيل أيام ملوكها مذ ملك أردشير بن بابك على أنا لم نأل جهدا فى تحصيل أعداد ملوكهم ومدة أيامهم ، ونحن ذاكرون الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة قبل ظهور الاسلام وبعده إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥

ذكر الطبقة الثانية من ملوك الروم

وهم المتنصرة وتأريخهم وأعدادهم ، وما كان من الكوائن والاحداث العظام الديانية والملوكية فى أيامهم

أول ملوك هذه الطبقة قسطنطين بن قسطنس يعرف ، بأمه هيلانى ، واليها ينسب على ماقدمنا ، ملك اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر

وهو الذى أظهر دين النصرانية وحارب عليها حتى قبلت وانتشرت فى البلاد إلى هذه الغاية، وقد ذكرنا فى كتاب(الاستذكار ، لما جرى فى سالف الاعصار) التنازع فى سبب تنصره وتركه ما كان عليه من مذاهب الحنفاء ، وما قالت الحنفاء فى ذلك من ظهور الوضح فى جسمه وإجماعهم على خلعه ، إذ كان فى أصل دياناتهم وواجب عباداتهم أن من كان به ذلك لا يصلح للملك ، وانه ما يلي من فشى فيه دين النصرانية واستظهر بهم وبخاصته وصنائعه على من خالفه وأظهر النصرانية ، إذ كان غير محظور فيها تمليك من به ذلك وقول من قال منهم انه كتم ما ظهر به وأفشاه إلى بعض وزرائه ممن كان يخفى النصرانية : وأعلمه انه يخشى خلعه عن الملك ،فضمن له القيام بكفايته ذلك وأنفذ عدة عساكر إلى من حوله من الاعداء مرة بعد أخرى ، بأسماء الاصنام السبعة التى كانت على أسماء الكواكب السبعة ، ومثالات لها من النيرين والخمسة

وكان الصابئون يقربون لها القرابين ويعتكفون على عبادتها ، بعد أن جعلها فى غاية الضعف فعادت منكوبة مهزومة ، فأظهر الازراء بها والتنقص لمن يرى عبادتها ، وأشار عليه حينئذ بالانتقال الى النصرانية ففعل

وما ذهب اليه النصارى من أن السبب فى ذلك ظهور صليب له نورى فى

السماء فى نومه فى حال حربه مع ملك برجان ، وانه قيل له استنصر به على عدوك تنصر عليه ، وانه ركب مثال ذلك على رءوس الأعلام كالأسنة فظهر على عدوه بعد أن كانوا الظاهرين عليه ، فدان بها حينئذ

وقول من قال منهم إنه رأى ذلك فى يقظته ، وغير ذلك من أقاويل الفريقين على الشرح والايضاح

ولثلاث سنين خلت من ملكه بنى مدينة القسطنطينية على الخليج الآخذ من بحر مايطس ، ويعرف فى هذا الوقت ببحر الخزر إلى بحر الروم والشأم ومصر ، وذلك فى الموضع المعروف بطابلا من صقع بوزنطيا وبالغ فى تحصينها وإحكام بنائها ، وجعلها دار مملكة له أضيفت الى اسمه ونزلها ملوك الروم بعده إلى هذا الوقت غير أن الروم يسمونها إلى وقتنا هذا المؤرخ به كتابنا « بولِنْ » وإذا أرادوا العبارة عنها أنها دار الملك لعظمها قالوا « استَن بولن » ولا يدعونها القسطنطينية وانما العرب تعبر عنها بذلك والقسطنطينية من الارض الكبيرة المتصلة برومية وبلاد الافرنجة والصقالبة والأندلس وغيرهم من الأمم الواغلين فى الشمال ، واتصل ذلك بالمشرق كأرض الترك وغيرها من خراسان إلى الهند والصين ، والخليج الآخذ من بحر مايطس الذى يعرف بالخزرى يحيط بها من ثلاث جهاتها ويصب فى البحر الرومى ، وقيل إنه يحيط بها من جهتين المشرق والشمال وجانباها الغربي والجنوبى فى البر

وطول الخليج ثلاثمائة وستون ميلا ، وقيل وثلاثون ، عليه ست عدوات لمن يريد من دار الاسلام اليها مما يلى الثغور الشأمية والجزرية وغيرها

فالعدوة الأولى تعرف بأقروبلى عرض الخليج هناك ميل ، وعلى هذا الموضع نزل سابور الجنود بن اردشير وحاصر القسطنطينية ، وبنى هناك بيت نار ، واشترط على الروم عند انصرافه بقاءه فلم يزل ذلك البيت قائما إلى أيام المهدى فخرب ثم نزل

عليه بعده أنو شروان بن قباذ ملك الفرس فى بعض غزواته فأجرى إلى ماهناك نهرا و نصب عليه ارحاء ، وأراد سكر هذا الموضع من الخليج بالحجارة ، وجرب الرمل ليعبر عليه ، فغلبه الماء لشدة انصبابه من البحر الخزرى الى الرومي ، الذى هو بحر الشأم ومصر

والعدوة الثانية يقال لها الافقاطى ، تكون من هذه العدوة على نحو من ثلاثين ميلا وعرضها من الجانب الشأمي الى ذاك الجانب تسعة أميال ، ومن هذه العدوة تعبر عساكر الروم إذا أرادوا الخروج إلى دار الاسلام

والعدوة الثالثة تعرف بسنكرة ، وبينها و بين عدوة الافقاطى نحو من ثلاثين ميلا ، يكون عرض هذه العدوة اثنى عشر ميلا وهذه العدوة تقرب من مدينة نيقية

والعدوة الرابعة تعرف بفيلاس بينها و بين عدوة سنكرة نحو من ثمانية أميال يكون عرض هذه العدوة من الجانب الشأمي الى ذلك الجانب وهو بند تراقية نحوا من أربعين ميلا ، ومن هذه العدوة يعدى بأسارى الروم إذا أرادوا بهم الفداء الى اللامس ، لأنها عدوة عريضة يرهبون بها الأسرى

والعدوة الخامسة تعرف بلبادو ، وبينها و بين عدوة فيلاس نحو من عشرين ميلا ، يكون عرض هذه العدوة من الجانب الشأمي الى ذلك الجانب ، وهو بند تراقية نحو من عشرين ميلا ، وقد حاصر القسطنطينية فى الاسـلام من هذه العدوة ثلاث أمراء آباؤهم ملوك وخلفاء ، أولهم يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، والثانى مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، والثالث هارون الرشيد بن المهدى

والعدوة السادسة تعرف بابدو ، وهى فم الخليج الصاب فى بحر مصر والشأم ومبدؤه من بحر مايطس المسمى بحر الخزر وعرضه فى المبدأ نحو من عشرة أميال، وهناك مدينة الروم تعرف بعسناة تمنع من يرد فى ذلك البحر من مراكب

الكوذكانه وغيرهم من أجناس الروس، والروم تسميهم «روسيا» معنى ذلك الحمر

وقد دخل كثير منهم فى وقتنا هذا فى جملة الروم ، كدخول الأرمن والبرغز وهم نوع من الصقالبة والبجناك من الأتراك ، فشحنوا بهم كثيرا من حصونهم التى تلى الثغور الشأمية وجعلوهم بازاء برجان وغيرهم من الأمم المتأبدة لهم والمحيطة بمالكهم ، وأبدو مدينة على هذا الخليج مما يلى الشأم والجزيرة لا من جانب القسطنطينية

ومن هذه العدوة الى القسطنطينية مائتا ميل رومية ، تكون أميالا بأميالنا نحو مائة وعشرين ميلا ، وابدو جبلان جبل من هذا الجانب من عمل الابسيق وجبل من ذلك الجانب من عمل تراقية، وكان على هذين الجبلين حرس على كل جبل عشرون رجلا يحرسون المراكب إذادخلت وخرجت ويفتشونها

وكانت فيه سلسلة تفتح وتغلق فى عمودى حديد من هذا الجانب إلى ذلك الجانب هو باب الخليج الذى يحاصر به القسطنطينية حين كان للمسلمين أسطول يغزونهم من الثغر الشأمى والشأم ومصر و«الاسطول» كلمة رومية سمة للمراكب الحربية المجتمعة

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا السبب فى كيفية بناء القسطنطينية والتنازع فى ذلك، وقول من قال إن ماوراء الخليج كان من أرض برجان فاحتال قسطنطين على ملك برجان لعلمه بالموضع وحصانته حتى أذن له فى بنائها وما يلم من خصالها وهوائها ومائها وتربتها، وأن الخيل لاتغزو بها ولا تصهل لما يلحقها من الربو لنداوة البلد وعفونته ، وقيل ان ذلك لطلسم فيها وغير ذلك من أخبارها

ولعشرين سنة خلت من ملك قسطنطين كان «السنهودس» الأول بمدينة نيقية من بلاد الروم تفسير ذلك المجمع وهو القداس حضر هذا المجمع ألفان وثمانية وأربعون أسقفا مختلفو الآراء فاختير منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا متفقين غير مختلفين لحرموا أريوس الاسكندرانى والى اسمه

أضيفت الأريوسية من النصارى ووضعوا فى هذا المجمع الأمانة التى يتفق عليها سائر النصارى من الملكية ، واليعقوبية والعباد وهم النسطورية، ويذكرونها كل يوم فى القداس ولهم أربعون كتابا فيها السنن والشرائع واتفقوا على أن يكون فصح النصارى يوم الاحد الذى يكون بعد فصح اليهود، وألا يكون فصح اليهود مع فصح النصارى

وكان المقدم والرئيس فى هذا المجمع الاسكندر ، بطريرك الاسكندرية من بلاد مصر وهو بالرومية «بطريركس» تفسيره رئيس الآباء فخفف ، وحضر اسطاث بطريرك انطاكية ، ومارقس أسقف بيت المقدس ، ويوليوس بطريرك رومية ، وكان هذا الاجتماع فى اليوم التاسع عشر من حزيران سنة ٦٣٦ للاسكندر الملك وقيل انها السنة التاسعة عشرة من ملك قسطنطين وكثير من النصارى يعد ذلك من شمعون بن قلوفا فأضافها إليه* ، وبنت هيلانى بايليا الكنيسة المعروفة بالقيامة فى هذا الوقت الذى يظهر منها النار فى يوم السبت الكبير الذى صبحه الفصح، وكنيسة قسطنطين وديارات كثيرة للنساء والرجال على الجبل المطل* على مدينة بيت المقدس المعروف بطور زيتا وهو بازاء قبلة اليهود وعمرت مدينة ايليا عمارة لم يكن قبلها مثلها ، ولم يزل ذلك عامرا الى أن أخربته جنود الفرس حين غلبت على الشأم ومصر وسبت من كان فى تلك الديارات وغيرها قبل ظهور الاسلام وذلك فى ملك كسرى ابرويز ملك فارس والملك على الروم يومئذ فوقاس على مانحن ذاكروه فيما يرد من هذا الكتاب مجملا* وقد سلف فى كتبنا مشروحا

والاطوار المقدسة للنصارى أربعة، فأولها طور سينا الذى كلم الله موسى عليه وأنزلت عليه التوراة وهو على أيام من مدينة القلزم ، وعلى يوم وبعض آخر من راية من ساحل بحر القلزم

الثانى هو طور هارون وهو على أيام من جبل طور سينا

والثالث طور زيتا على ما ذكرناه

والرابع طور الأردن بين فاسطين وطبرية جميعها للملكية من النصارى والاطوار الجبال

وبنت هيلانى كنيسة حمص وهى احدى عجائب العالم على أربعة أركان، وكنيسة الرهاء من بلاد ديار مضر وهى احدى عجائب العالم الأربع المذكورة ، وكانت هيلانى من بلاد الرهاء من قرية تعرف بتل نخار الى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هـذا ، على طريق آمد وقد أتينا على خبر قسطنس أبى قسطنطين ، والسبب فى تزوجه بها عند مشاهدته إياهـا والعجائب الاربع جامع دمشق ، ومنـارة الاسكندرية، وقنطرة سنجة وهذه الكنيسة ، وقد اغفل قوم من مصنفى الكتب فى التواريخ والسير من النصارى فزعموا أن خروج هيلانى أم قسطنطين الى الشأم كان لسبع سنين من ملك ابنها قسطنطين وهذا غلط* متفاحش لأن قسطنطين دان بالنصرانية بعد مضى عشرين سنة من ملكه

قال المسعودى : ولقسطنطين أخبار وسير وسياسات فى الملك والدين وسير فى الارض وحروب قبل تنصره وبعده ، وقد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى (اخبار الزمان ، ومن اباده الحدثان) من الامم الماضية ، والاجيال الخالية ، والممالك الداثرة ، وما تلاه من الكتاب الاوسط وفى النسخة الاخيرة من كتاب (مروج الذهب ، ومعادن الجوهر) وفى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) وفى كتاب (الاستذكار ، لما جرى فى سالف الاعصار) وانما نذكر فى هذا الكتاب لما من ذلك ، ليكون منبها عليها ومدخلا اليها

الثانى من المتنصرة قسطنطين بن قسطنطين بن هيلانى ، ملك أربعا وعشرين سنة ، وكان أبوه قسطنطين عهد اليه بالملك فى حياته وولاه القسطنطينية وولى

اخاه قسطنس انطاكية والشأم ومصر والجزيرة وجعل مقامه بأنطاكية وولى أخاه قسطوس رومية وما يليها من بلاد الافرنجة والصقالبة وغيرهم من الأمم وأنزله رومية وأخذ على أخويه هذين العهود والمواثيق بالانقياد لأخيهما قسطنطين فاستقام ملكه الى أن هلك

الثالث يوليانوس ابن اخى قسطنطين بن هيلانى ملك سنتين، وكان يخفى الصابئية في أيام عمه وابن عمه ، فلما ملك أظهرها وارتد عن دين النصرانية وخرب الكنائس ، ورد التماثيل التى جعلها الصابئون مثلا للجواهر العلوية والأجسام السمائية التى هى وسائط بين العلة الاولى عندهم وبين الخليقة فى العبادات ، وقتل من النصارى خلقا كثيرا ، وجعل عقوبة من لم يرتد الى الحنيفية القتل، وكان يأخذ من عاد الى الحنيفية بالقاء اللبان على النار والأكل من ذبيحة الحنفاء وغير ذلك ، وكان عظيم السطوة كثير الجنود .

قال المسعودى : وسار الى ارض العراق فى ملك سابور بن اردشير فهلك بسهم غرب أصابه . وقد أتينا على خبره وخبر سابور الجنود ملك بابل وما كان بينهمامن الحروب فى الجزء السابع من(كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر) فى أخبار الفرس فى ملك سابور والروم تسميه «باربديس» تفسير ذلك المرتد والصابئة « أوسيبوس » تفسير ذلك المؤمن التقي ، والنصارى جميعا يتبرأون منه ومنهم من يدعوه « البزناط » .

الرابع يوبيانوس، ملك سنة وكان خليفة يوليانوس المقتول ومعه فى عسكره ففزعوا الى تمليكه عليهم فأبى الا أن يرجعوا الى النصرانية فأجابوا الى ذلك فرد دين النصرانية وانصرف بجيوش الروم عن العراق بعد قصص كانت له مع سابور ومهادنة قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا .

الخامس والنطيوس ، ملك اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر .

السادس والنس، ملك ثلاث سنين وثلاثة أشهر .

السابع والنطيانوس ، ملك ثلاث سنين وأربعة اشهر، وعاضده على ملكه غراطيانوس فهلك قبله.

الثامن تدوس الكبير وتفسير «تدوس» عطية الله ملك تسع عشرة سنة وفى ملكه كان السنهودس الثانى وهو المجمع بمدينة قسطنطينية من بلاد بوزنطيا اجتمع فيه مائة وخمسون أسقفا، فلعنوا مقذونس وأشياعه مع البطارقة الذين بعده قالوا بمقالته وكان المقدم فى هذا المجمع طيموثاوس بطريرك الاسكندرية، ومليطيوس بطريرك انطاكية، وقورللس* بطريرك بيت المقدس وفى هذا المجمع بطرك وهو أول بطريرك لبيت المقدس وانما كانوا أساقفة وكانت البطارقة أصحاب الكراسى الاربعة .

اولها مدينة رومية وهى لبطرس رئيس الحواريين وخليفة ايشوع .

الثانى الاسكندرية من بلاد مصر، وهى لمرقس احد اصحاب الاناجيل الاربعة .

والثالث قسطنطينية من بلاد بوزنطيا وكان أول بطريرك لها مطروفانس رتبه الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اقاموا دين النصرانية بمدينة نيقية المقدم ذكرهم .

والرابع انطاكية وهى لبطرس ايضاً، واستخلف بطرس على الكرسى بها حين سار الى مدينة رومية واذيوس ، فصارت البطاركة خمسة الى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهي سنة ٣٤٥ للهجرة جميعا للملكية فكان من السنهودس الاول بنيقية الثلاثمائة والثمانية عشر اسقفا الى هذا الاجتماع ست وخمسون سنة، واطلق طيماثاوس* بطريرك الاسكندرية فى هذا المجمع للبطاركة والاساقفة والرهبان ببلاد مصر والاسكندرية أكل اللحم لأجل الثنوية ليعرف من كان منهم

مثنوى المذهب اذ كانت الثنوية تمتنع من ذلك، فاما البطاركة والاساقفة والرهبان بغير مصر والاسكندرية كرومية وانطاكية وغيرها من البلاد فانهم امتنعوا من أكل اللحم وأكلوا بدلا عنه السمك محنة لهم اذ كانت الثنوية لاتأكل اللحم ولا السمك الا السماعين منهم فان منهم من يأكل اللحم والسمك ؛ ومنهم من يأكل السمك دون اللحم .

قال المسعودى : ولثمانى سنين خلت من ملكه ظهر الفتية أصحاب الكهف الذين كانوا قد هربوا من داقيوس الملك على ماقدمنا فى أخبار الطبقة الاولى من ملوك الروم فى هذا الكتاب وقد ذكرنا فى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) أخبارهم وما قيل فيهم والتنازع فى موضعهم أهو الموضع الذى بمدينة افسيس وراء مدينة زمرنى على البحر الرومى ، أم الهوته* التى تسمي خارمى مما يلى قرة بأرض الروم، أم غيرهما من المواضع التى يشار اليها بذلك؟ وخبر تدوس الملك والسبب فى افضاء الملك إليه وما كان من خبره قبل ذلك وبعده .

التاسع أرقاذيوس بن تدوس ملك ثلاث عشرة سنة .

العاشر تدوس الصغير بن تدوس الكبير ملك اثنتين واربعين سنة ولاحدى وعشرين سنة خلت من ملكه كان السنهودس الثالث بمدينة أفسيس على بطريك القسطنطينية نسطورس وكان على كرسيها أربع سنين حضر هذا المجمع مائتا أسقف، وكان المقدم فيه قورلس بطريك الاسكندرية ، وكلسطوس بطريك رومية ، وبولانيوس بطريك ايليا فلعنوا نسطورس وتبرءوا منه ونفوه فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد اخميم والبُلينا ومات بقرية يقال لهاسيفلح وموضعه معروف فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا، وأضافت الملكية العباد من النصارى وهم المشارقة إليه تقريعا لهم بذلك فسموا النسطورية وكانت رئاسة البطركة للمشارقة فى

ذلك الوقت بالمدائن من أرض العراق لداديشوع يعد بلادها فى ملك فارس .

قال المسعودى : فذكرت العباد أن تيادوس الملك كان كتب إلى يوحنا بطريرك أنطاكية وأساقفته ان يسيروا الى المدينة أفسيس ، لينظروا فيما بين نسطورس وقورللس بطريرك الأسكندرية من الخلاف فاجتمع نسطورس وأصحابه وقورللس وأصحابه بها فانتدب قورللس فحرم نسطورس قبل موافاة يوحنا صاحب انطاكية الذى جعله الملك حكما بينهما فلما رأى نسطورس ان قورللس يجرى الى الحيلة والمغالبة العدول عن الحق اعتزل وقال الديانة لاتكون بالمجاذبات والحيل وطلب الرئاسات وان يوحنا بطريرك انطاكية لما وافى فوقف على فعل قورللس أنكره عليه وحرمه وأنكر ذلك عليه عند قراءته مقالة نسطورس ومقالة قورللس وصحح مقالة نسطورس وأمانته ورد مقالة قورللس وذكر انها مخالفة للحق لايجوز لأحد أن يقول بها ولا يتقلدها وان يوحنا عاد إلى انطاكية وكتب إلى يطريرك المشرق بما جرى وتوجه الحيلة على نسطورس من صاحب الأسكندرية يبذل الأموال لبطانة الملك حتى حل الحرم عنه وبقى حرم نسطورس ، فكان هذا أحد أسباب الخلاف بين أهل المشرق من النصارى وأهل المغرب وداعية إلى ما كان بينهم من العداوة والقتال وسفك الدماء ، والعباد تذكر أن أول البطاركة السريانيين الذين نزلوا كرسى المشرق على قديم الأيام بعد صعود المسيح إلى السماء بنحو ثلاثين سنة بعد توما أحد الأثنى عشر ادى السليح قبل حدوث الخلاف بين النصارى وهو ادى برمارى السليح من السبعين وهو نصر أهل المدائن ودير قنى وكسكر وغيرها من السواد وبنى بيعتين إحداهما بالمدائن دار مملكه فارس يومئذ وجعلها كرسيا لمن يأتى بعده من البطاركة ورسم ألا تتم البطركة لمن نصب لها إلا فى هذه البيعة ، وأخرى بدير قنى وقبره بها ، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا خبر المشارقة من النصارى مع سابور

ملك فارس حين أخذهم بالتمجس وامتناعهم من ذلك وقتله منهم نحوا من مائتى ألف وغير ذلك من أخبارهم ، وذكر الملكية أن مقالة نسطورس كانت درست فاحياها برسوما مطران نصيبين ودعا اليها المشارقة من النصارى فدانوا بها .

قال المسعودى : وفى هذا المجمع خالفت النسطورية الملكية واقترقوا عنهم ، فمن المجمع الثانى المائة والخمسين الأسقف الذين اجتمعوا بمدينة القسطنطينية ولعنوا مقذونس إلى هذا المجمع المائتى أسقف الذين اجتمعوا بمدينة افسيس احدى وخمسون سنة ؛ وكان فى أيام تدوس هذا عند النصارى حوادث فى الدين والملك منها نفيه يوحنا المعروف بفم الذهب بطريرك القسطنطينية بحكومة حكمها فى كرم فكرهت ذلك زوجة الملك يدوقية ، وغير ذلك

الحادى عشر مرقيان ، ملك ست سنين وفى أول سنة من ملكه كان السنهودس الرابع بمدينة خلقيذون على ديسقرس بطريرك القسطنطينية وأوطيسوس اجتمع فيه ستمائة وثلاثون أسقفا فمن المجمع الثالث المائتى أسقف الذين اجتمعوا بمدينة أفسيس إلى هذا المجمع احدى وعشرون سنة وفى هذا المجمع خالفت اليعقوبية سائر النصارى وفارقوهم ، وقد ذكرنا فى (كتاب أخبار الزمان ، ومن اباده الحدثان) من الأمم الماضية والاجيال الخالية والامم الدائرة فى أخبار ملوك الروم وطبقاتهم وسيرهم خبر يعقوب البرذعانى الانطاكى ، وقيل الحرانى تلميذ سورس ، وكيف أضيف أهل مقالة ديسقرس إلى اليعاقبة ، ونسبوا إلى يعقوب، وما كان من سوارى . وقدذكرنا فى أخبار ملوك الروم المتنصرة من كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) عند ذكرنا مرقيان هذا والسنهودس الذى كان فى أيامه ما اتفقت عليه الملكية والنسطورية واليعقوبية وما اختلفت فيه من الكلام فى الاقانيم والجوهر وغير

ذلك، وما احتج به كل فريق منهم لذلك على الشرح، وقول من خالف هؤلاء من فرق النصارى الاريوسية والمارونية والبيالقة وهو المذهب الذى أحدثه بولس الشمشاطى، وهو من أول بطاركة انطاكية وأصحاب الكراسى بها متوسطا بين مذاهب النصارى والمجوس وأصحاب الاثنين من تعظيم سائر الانوار وعبادتها على مراتبها وغير ذلك ، وإنما نذكر فى هذا الكتاب لما وجوامع منبهين بذلك على ماتقدم من كتبنا وسبق من تصنيفنا ، ولليعاقبة كرسيان لاثالث لها ؛ أحدها بأنطاكية ، والآخر بمصر ، والغالب على نصارى مصر من الاقباط وغيرها بفسطاطها وسائر كورها وما يليها من أرض النوبة والأحابش رأى اليعقوبية وبها منهم ما لايحيط به الاحصاء كثرة ومقام بطركتهم بدير يعرف بأبى مقار بناحية الاسكندرية والملكية والنسطورية بمصر قليلون جدا ، وماعدا هذين البلدين فانما لليعقوبية مطارنة واساقفة

الثانى عشر لاوون الكبير ، ملك ست عشرة سنة .

الثالث عشر لاوون الصغير ، ملك سنة وكان يعقوبى المذهب وأراد حمل أهل مملكته على ذلك فهلك ولم يبلغ ما أراده وقيل إنه اغتيل بالسم .

الرابع عشر زينون ، ملك سبع عشرة سنة وكان يعقوبى المذهب وزهد فى الملك وجعله الى ولده فهلك ولده فعاد الى الملك .

الخامس عشر انسطاس، ملك سبعا وعشرين سنة وكان يعقوبى المذهب .

السادس عشر يوسطين ، ملك تسع سنين وتتبع اليعقوبية بالقتل والنفي .

السابع عشر يوسطانوس ، ملك تسعا وعشرين سنة ، وفى ملكه كان السنهودس الخامس بمدينة القسطنطينية فحرموا اريجانس أسقف منبج لقوله بتناسخ الارواح فى أجسام الحيوان وتبديل الاسماء وتغير الاجسام، وان الله عز وجل لا يفعل ذلك بخلقه الا باستحقاق لما ارتكبوه من الاجرام وانه لايجلب

بعذابهم منفعة ولا يدفع عن ذاته مضرة اذ كان غنيا عن جميع ذلك وغير ذلك من الكلام فى ايلام الحيوان والتعديل والتحرير ، وايبا أسقف الرهاء وتدوس اسقف المصيصة وتوزروطس اسقف انقرة لأقاويل أظهروها ، حضر هذا المجمع أصحاب الكراسى الأربعة وأساقفتهم وهم مائة وأربعة وستون أسقفا ولم يحضر بطريرك ايليا وحضر أصحابه فكان من المجمع الرابع الستمائة والثلاثين الذين اجتمعوا بخلقيذون إلى هذا المجمع مائة وست وثلاثون سنة

وقد ذكرنا فى كتاب(فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) ما كان فى أيام هذا الملك من أمر اليعاقبة والملكية ببلاد مصر والاسكندرية وأمر اليهود بايليا وجبل يهودا وجبل الجليل وقتلهم النصارى، وما بنى هذا الملك من الكنائس والديارات وبطورسينا على الناطس والعليقة وهو الموضع الذى أنزلت فيه التوراة على موسى بن عمران عليه السلام وغير ذلك من أحواله .

الثامن عشر يوسطينوس ، ملك ثلاث عشرة سنة ، وكان فى أيامه أنو شروان الملك .

التاسع عشر طيباريوس ، ملك ثلاث سنين وثمانية أشهر ، وكان بينه وبين أنو شروان مراسلات ومهاداة .

العشرون موريق، ملك عشرين سنة وأربعة أشهر وظهر فى أيامه رجل من أهل مدينة حماة من أعمال حمص يعرف بمارون اليه تنسب المارونية من النصارى إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا، وأمرهم مشهور بالشأم وغيرها ، أكثرهم بجبل لبنان وسنير وحمص وأعمالها كحماة وشيزر ومعرة النعمان .

وكان له دير عظيم يعرف به شرقى حماة وشيزر ذو بنيان عظيم حوله أكثر من ثلاثمائة صومعة فيها الرهبان ، وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجوهر شىء عظيم نخرب هذا الدير وماحوله من الصوامع بتواتر الفتن من الاعراب وحيف

السلطان وهو يقرب من نهر الارنط ؛نهر حمص وانطاكية .

وكان مارون قد أحدث آراء بان بها عمن تقدمه من النصارى فى المشيئة وغيرها وكثر متبعوه ، وقد أتينا على شرح مذهبه وموافقته الملكية والنسطورية واليعاقبة فى الثالوث ومخالفته اياهم فيما يذهب اليه من أن المسيح جوهران أقنوم واحدمشيئة واحدة وهذا القول متوسط بين قول النسطورية والملكية وغير ذلك فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات، ولبعض متبعيه من المارونية ويعرف بقيس المارونى كتاب حسن فى التاريخ وابتداء الخليقة والانبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم وأخبارهم ، انتهى بتصنيفه الى خلافة المكتفى ولم أر للمارونية فى هذا المعنى كتابا مؤلفا غيره .

وقد ألف جماعة من الملكية والنسطورية واليعقوبية كتبا كثيرة ممن سلف وخلف منهم .

وأحسن كتاب رأيته للملكية فى تاريخ الملوك والانبياء والامم والبلدان وغير ذلك كتاب محبوب بن قسطنطين المنبجي ، وكتاب سعيد بن البطريق المعروف بابن الفراش المصرى بطريرك كرسى مارقس بالاسكندرية ، وقد شاهدناه بفسطاط مصر ، انتهى بتصنيفه الى خلافة الراضى . وكتاب اثنايوس الراهب المصرى رتب فيه ملوك الروم وغيرهم من الأمم وسيرهم وأخبارهم من آدم الى قسطنطين بن هيلانى ، ورأيت لأهل المشرق من العباد كتابا ليعقوب بن زكرياء الكسكرى الكاتب وقد شاهدناه بأرض العراق والشأم يشتمل على أنواع من العلوم فى هذه المعانى ، يزيد على غيره من كتب النصارى، وكتابا* لليعاقبة فى ذكر ملوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسيرهم وأخبارهم ألفه أبو زكرياء دنخا النصرانى وكان متفلسفا جدلا نظارا جرت بينى وبينه مناظرات كثيرة ببغداد فى الجانب الغربى بقطيعة أم جعفر وبمدينه تكريت فى الكنيسة المعروفة

بالخضراء فى الثالوث وغيره وقد أتينا على ذكرها فى كتاب(المسائل والعلل ، فى المذاهب والملل) وفى كتاب (سر الحياة) وذلك فى سنة ٣١٣ .

قال المسعودى : وقد كان خسرو ابرويزبن هرمز بن أنو شروان لما هزمه بهرام جوبين واحتوى على الملك وقتل هرمز لجأ الى موريق مستنجداً به فأنجده وزوجه ابنته مريم وهى أم شيرويه القاتل لابيه أبرويز وأنجده بجيش كثيف فسار بهم أبرويز مما يلى ارمينية وآذربيجان فواقع بهرام وكشفه فلحق بأرض الترك إلى أن قتل بها هناك غيلة، وقد أتينا على ما كان فى أيامه فى كتاب(مروج الذهب ومعادن الجوهر) فى النسخة الاخيرة التى قررنا أمرها فى هذا الوقت وهى سنة ٣٤٥ وهى أضعاف ماتقدم من النسخة المؤلفة فى سنة ٣٣٢ .

الحادى والعشرون فوقاس، ملك ثمانى سنين وأربعة أشهر ، ولما ملك تتبع ولد موريقيس حمو ابرويز وحاشيته بالقتل ، فلما بلغ ذلك أبرويز أحفظه وسير الجنود الى بلاد الشأم ومصر فاحتوى عليها وقتلوا من النصارى خلقا كثيراً وخربوا الكنائس بايليا وغيرها وتوجه شهربراز فى جيوش كثيرة كثيفة نحو القسطنطينية فخيموا على الخليج بازائهم واشتد حصارهم إياها ، وكان هرقل ابن فوق بن مرقس يختلف من مدينة صلونيقى وهو من أهلها الى القسطنطينية بالزاد فى البحر وهم محاصرون فبانت شهامته ، وظهرت شجاعته ، وأحبه أهل القسطنطينية فخلا بالبطارقة وذوى المراتب فأغراهم بفوقاس ، وذكر لهم ما نزل بهم فى أيامه وذكرهم بسوء آثاره فيهم وغلبة الفرس على ملكهم بسوء تدبيره وقبح سياسته واقدامه على الدماء ، ودعاهم الى الفتك به فأجابوه إلى ذلك فقتلوه

ذكر ملوك الروم

من الهجرة الى سنة ٣٤٥

واجتمعت البطارقة وغيرهم من ذوى المراتب ؛ من الروم وغيرهم بعد قتل فوقاس لاختيار من يصلح للملك، فوقع اختيارهم بعد خطب طويل وتنازع كثير على هرقل ، فملكوه ورجوا صلاح أحوالهم بتمليكه

وهو الثانى والعشرون من ملوك الروم المتنصرة ، وكان ملكه لثلاث وثلاثين سنة خلت من ملك كسرى ابرويز بن هرمز ملك بابل ، فملك خمسا وعشرين سنة وقيل اكثر من ذلك

وفى أول سنة من ملكه كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام فى الملك أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأيام أبى بكروعمر وسنتين من خلافة عثمان وفى أيامه غلب المسلمون على بلاد سورية وهى الشأم والجزيرة ، وكان أخوه قسطنطين معاضدا له على الملك فهلك قبله

ولما ملك هرقل جد فى حرب الفرس ، فكانت له معهم حروب كثيرة وفسد الأمر بين كسرى ابرويز وصاحب جيشه المحاصر للقسطنطينية شهر براز وأتاه هرقل ومالأه* على ابرويز ، نخرج هرقل فى مراكب كثيرة فى الخليج الى بحر الخزر وسارالى طرابزندة وأبواب لازقة واستنجد هناك ملوك الأعاجم من اللان والخزر والسرير والأبخاز وجرزان والأرمن وغيرهم حتى صار الى بلاد أران والبيلقان وآذربيجان والماهات من أرض الجبل واتصلت جيوشه بأرض العراق فشن الغارات وقتل وسبى وانصرف راجعا الى القسطنطينية بحيلة أوقعها ابرويز عليه

قال المسعودى : وقد أتينا على خبر شهربراز والسبب فى فساد الحال بينه وبين ابرويز والى ما آل أمرهما وشرح أخبار هرقل، وما كان بينه وبين فارس من الحروب وحيله ومكايده ، وما كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم من المكاتبات والمراسلات ، وما كان بين جنوده وبين المسلمين من الحروب بالشأم ومصر وغيرهما فى خلافة أبى بكر وعمر ، وخروجه عن الشأم وقطعه الدرب الى بلاد الروم، وقوله عند صعوده جبل الاكام واشرافه على الشأم: « عليك السلام ياسوريه سلام مودع لايعود اليك ابدا حتى يولد الغلام المشئوم ، وليته لايولد افما أحلى رضاعه ، وأمر فطامه » وما كان بينه وبين معاوية بن أبى سفيان فى حال امرته على الشأم من قبل عمر وعثمان من المراسلات والملاطفات . وإخباره يناق* غلام معاوية بأن عثمان بن عفان يقتل وما يئول اليه أمر المسلمين بعد ذلك وغير ذلك من أخباره فى كتاب (أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان) من الامم الماضية ، والممالك الداثرة وفى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) وانما نذكر فى هذا الكتاب لما وجوامع منبهين بذلك على ماتقدم تأليفه من كتبنا ، ومدخلا الى علم ماسبق ايضاحه من تصنيفنا

الثالث والعشرون قسطنطين بن قسطنطين أخى هرقل وقيل إنه ابن هرقل ملك تسع سنين وستة أشهر فى خلافة عثمان بن عفان ، وهو الذى غزا فى البحر فى نحو ألف مركب حربية وغيرها فيها الخيل والخزائن والعدد يريد الأسكندرية من بلاد مصر وكان عامل مصر والأسكندرية لعثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح فالتقوا فى البحر فكانت على قسطنطين فعطبت مراكبه وهلك أكثر رجاله ونجا فى مركب فوقع فى جزيرة سقلية من بلاد افريقية فقتله جرجيق ملكها تشاؤما به لاهلاكه النصرانية وسميت هذه الغزاة ذات الصوارى لكثرة المراكب وصواريها ، وهى الادقال وكان ذلك فى سنة ٣٤ للهجرة

قال المسعودى : وفى ملكه كان السنهودس السادس وهو المجمع بالقسطنطينية من بلاد بوزنطيا وقيل بل كان قبل هذا الوقت، وكان اجتماعهم على لعن رجل يقال له قورس الاسكندرانى خالف الملكية وأحدث قولا نحو قول المارونية فى المشيئة والفعل وكان عدة من اجتمع فيه من الاساقفة مائتين وتسعة وثمانين أسقفا وقيل دون ذلك فمن السنهودس الخامس إلى هذه السنهودس ثمان وستون سنة وأربعة أشهر وقيل دون ذلك وهذا آخر السنهودسات ؛ لم يكن لهم إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥ والملك على الروم قسطنطين بن لاون ابن بسيل ـ اجتماع فيما بلغنى مع قربنا من ديارهم وبحثنا عن أخبارهم وتنقلنا بالثغر الشأمى وأنطاكية والشأم ومصر ، والملكية تذكر هذه الاجتماعات الستة فى قداسها وهى الصلاة على القربان فى كل يوم ، وقد اختلف أهل دين النصرانية فى العبارة عن أسماء هذه المجامع عند مقابلتهم الأمانات بالتراجم المعروفة فمنه مايسميه أهل مصر «السنهودسات» أحدها سنهودس وبها عبرنا فى كتابنا هـذا لأنها افصحها ولمقامنا بمصر فى هذا الوقت، ويسميه أهل المشرق «السنادسات» وقوم يقولون « سناطس» وقد أتينا على شرحها والسبب فى وقوعها وما كان فى ذلك من الخلاف والمناظرات بينهم، وأخبار اصحاب الكراسى الذين هم البطاركة أحدهم بطريرك ومراتبهم وتسميتهم وأعدادهم إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا ممن كان منهم بمـدينة رومية والاسـكندرية من بـلاد مصر وأنطاكية والقسطنطينية وايليا ، فى كتاب (مروج الذهب فى كتاب ومعادن الجـوهر) وفى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) وان كانت أسماؤهم مثبتة فى الدبطخة التى تقرؤها النصارى فى القداس وذكرنا أسماء الاثنى عشر والسبعين تـلاميذ المسيح وتفرقهم فى البـلاد وأخبارهم وما كان منهم ومواضع قبورهم وأن أصحاب الاناجيل الاربعة منهم يوحنا ومتى من الاثنى

عشرولوقا ومرقس من السبعين وأن مرقس صاحب الاسكندرية ومن كان بعده من البطاركة على هذا الكرسى الحكام على سائر أصحاب الكراسى فى كل مايختلفون فيه ، والقضاة عليهم إذا تنازعوا ومتى اجتمعوا فى محفل جلسواحسرا وصاحب هذا الكرسى بعمامة إذ كان خليفة بطرس ، وأن السبب فى ذلك ان بطرس لما دعا التلاميذ الى ان يسير بعضهم إلى الاسكندرية بالانجيل الذى كتبه ويدعو الناس جزعوا من ذلك لأجل من كان بها من الصابئين والقاطرين أحدهم قاطر ويسمى بالقبطية هيراتقس وهم الكهنة وان مرقس انتدب لذلك وكان أصغر القوم سنافناوله بطرس الانجيل ومحا اسمه منه وأثبت فيه اسم مرقس وقال له قد جعلناك الحاكم عليهم فيما تنازعوا فيه وغير ذلك من أسرار دين النصرانية وأخبارهم من السايحين وغيرهم مما هو موجود فى الكتاب المعروف بيركسيس وفى كتاب ديونوسيوس « الفلوباخيطوا » فى أسرارهم أيضا وفى كتاب قايمنس وكان تلميذا لبطرس

ورأيت كثيرا من النصارى يقف فى هذا الكتاب ويدفع أن يكون صحيحا ، وفى الاربع عشرة رسالة لبولس التى كتب بها فى أوقات متفرقه الى أهل رومية وغيرهم ، وتدعى هذه الرسائل كتاب السليخ ؛ وذكرنا فى كتاب (المقالات ، فى أصول الديانات) وكتاب (خزائن الدين وسر العالمين) أقاويل الامم العوالم الاربعة فى عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس وعالم الطبيعة ومراتب الروحانية والجواهر العلوية والاجسام السمائية وسائر الوسائط والفرق بين النار والنور ومراتب الانوار وماقاله كل فريق منهم فى ذلك من الهند وقدماء الفلكيين وأصحاب الأثنين ومن وافقهم من أصحاب التأويل فى هذا الوقت والحنفاء والكلدانيين وهم البابليون الذين بقيتهم فى هذا الوقت بالبطائح بين واسط والبصرة فى قرايا هناك وتوجههم فى صلاتهم

إلى القطب الشمالى والجدى

والسمنية* وهم صابئة الصين* وغيرهم وهم على مذاهب بوداسب وعوامّ اليونانيين، وتوجههم فى صلاتهم إلى المشرق، وصابئة المصريين الذين بقيتهم فى هذا الوقت صابئو الحرانيين وتوجههم فى صلاتهم إلى التيمن وهو القبلة واستدبارهم الشمال، وامتناعهم من كثير من المآ كل التى كان صابئة اليونانيين يأكلونها كلحم الخنزير والفراخ والثوم والباقلى وغير ذلك وقولهم بنبوة أغاثذيمون وهرمس وأميروس واراطس صاحب كتاب صورة الفلك والكواكب وغير ذلك واريباسيس وارانى الاول والثانى وغيرهم واسرارهم فى الذبائح والصلوات للكواكب السبعة وغيرها والقوفات وهى الدخن للكواكب وتمثيلهم مراتب الكهنوت فى هيا كلهم بما علا من الروحانية وتسميتهم أعلى الكهنة رأس كمرين وما يذهبون اليه من قول أفلاطون « إن من عرف نفسه حقيقة المعرفة تأله » ومن قول صاحب المنطق « من عرف نفسه فقد عرف بها كل شىء »

وما جرى بين فرفريوس الصورى صاحب كتاب ايساغوجى فى المدخل الى كتاب أرسطاطاليس فى المنطق ؛ وكان نصرانيا ينصر مذاهب صابئة اليونانيين مخفيا لذلك وبين أنابوا الكاهن المصرى ، وكان ينصر الفاسفة الاولى التى كان عليها فوثاغورس وثاليس الملطى وغيرهما وهي مذهب صابئة المصريين من المسائل والجوابات فى العلوم الالهية ، وذلك فى رسائل بينهم معروفة عند من عنى بعلوم الاوائل وما كانوا عليه من الآراء والنحل

وقد صنف على مذاهب الفوثاغوريين والانتصار لهم كتب كثيرة ؛ وآخر من صنف فى ذلك ابو بكر محمد بن زكرياء الرازى صاحب كتاب المنصورى فى الطب وغيره كتابا فى ثلاث مقالات وذلك بعد سنة ٣١٠

وقد ذكر أفلاطون ترتيب العوالم فى كتابه المعروف بطيماوس فيما بعد

الطبيعة وهو ثلاث مقالات الى تلميذه طيماوس مما ترجمه يحيى بن البطريق وهو غير كتاب* طيماوس الطبي الذي ذكر فيه كون العالم الطبيعي وما فيه والهيئات والألوان وتراكيبها واختلافها وغير ذلك شرحه جالينوس وفسره حنين بن اسحاق ، وذكر بأنه سقط عنه منه كراستان الاولى والثانية ، والذي حصل من ترجمته أربع مقالات

ذكر ارسطاطاليس ترتيب العوالم فى كتابه فيما بعد الطبيعة فى الحرف المعروف باللام وغيره من الاحرف فيما فسره طامستيوس وترجمة الى العربى اسحاق بن حنين

وذكرنا فيما سلف من كتبنا ما ذهب اليه النصارى من أن البارىء عز وجل خلق فى الابتداء جنس الملائكة المقربين روحانيين ذوى جواهر بسائط أحياء ناطقة ، ليمجدوه من غير حاجة منه عز وجل الى ذلك ، وأنه تعالى جعلهم منقسمين لطبقات تسع ، وعلى طبقات بعضها أعلى من بعض واسم جملة الروحانيين بالسريانية وهو اللسان الأول «طغم» وبالرومية « طغماتس » وبالعربية « تغم »

والكنيسة عندهم كنيسة السماء ومراتب الكهنوت على مقدار طغمات الملائكة وهى تسع فالطغمة الأولى عندهم طغمة البطارقة ثم ما يلى ذلك من مراتب الكهنة

وذكرنا مذاهب الصابئين فى ذلك وأنهم يرون ان هذه المراتب على ترتيب الأفلاك التسعة ، وكذلك مذاهب أصحاب الاثنين فى ذلك قبل ظهور مانى ، وأسماء كل فرقة منهم ، ومارتب لها من ذوى الرئاسات الديانية تشبيها بما علا من الجواهر العلوية والاجسام السمائية

قال المسعودى : فلنرجع الآن الى سياقة الملوك على الترتيب

الرابع والعشرون قسطا بن قسطنطين ، ملك خمس عشرة سنة وذلك فى خلافة على بن أبى طالب عليه السلام وصدرًا من أيام معاوية بن أبى سفيان

الخامس والعشرون هرقليانس بن قسطنطين، وهو هرقل الاصغر وقيل ان جده هرقل الاكبر ملك أربع سنين وثلاثة أشهر فى أيام معاوية

السادس والعشرون قسطنطين بن قسطا ، ملك ثلاث عشرة سنة ، بقية أيام معاوية، وأيام يزيد، ومروان بن الحكم، وصدرا من أيام عبد الملك بن مروان

السابع والعشرون اسطنيانس المعروف بالأخرم ، ملك تسع سنين فى أيام عبد الملك ثم خلع وخرم أنفه وقطع عرق تحت لسانه ليخرس، فسلم من ذلك وحمل إلى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر مستنجدا به وتزوج هناك فلم ير عندهم مايحب ، فصارا إلى طرفلا ملك برجان

الثامن والعشرون أولنطس وقيل لونطس ، ملك ثلاث سنين فى أيام عبد الملك ثم زهد فى الملك وأظهر العجز عنه فلحق بالدير فترهب

التاسع والعشرون أبسيمر المعروف بالطرسوسى ، ملك سبع سنين فى أيام عبد الملك فسار اسطنيانس الاخرم ومعه طرفلا ملك برجان منجدا له في جيوش كثيفة فكانت له مع أبسيمر حروب يطول شرحها قد ذكرناها فى كتاب (أخبار الزمان، ومن*أباده الحدثان) من الأمم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة فغلب اسطنيانس على الملك وخلع ابسيمر ، وكان ذلك فى السنة الأولى من ملك الوليد بن عبد الملك واستوى الامر له

الملك الثانى وهو الثلاثون من ملوكهم وقد كان شرط لطرفلا ملك برجان إذا رجع الملك اليه أن يحمل اليه في كل سنة خراجا ، وكان يفعل ذلك واشتد عسفه للروم وبسط يده فى القتل فيهم وأباد كثيرا من رؤسائهم وبطارقتهم فأجمعوا على قتله فقتلوه ، فكان ملكه الثانى سنتين ونصفا

الحادى والثلاثون فيلبقوس ملك سنتين وستة أشهر بقية أيام الوليد وهلك في أول سنة من ملك سليمان بن عبد الملك

الثانى والثلاثون نسطاس بن فيلبقوس ملك ثلاثة أشهر على تحزب كثير واختلاف كلمة ثم خلع ونفى

الثالث والثلاثون تيدوس المعروف بالارمنى كان ملكه فى السنة التى بويع فيها سليمان بن عبد الملك فبعث اليه سليمان أخاه مسلمة لغزو القسطنطينية برا وبحرا وذلك فى سنة٩٧ وكان في مائة ألف وعشرين ألف مقاتل وكان على أسطول المسلمين فى البحر عمر بن هبيرة الفزارى فانضم إلى مسلمة بطريق يعرف بأليون بن قسطنطين المرعشى وضمن له أن يناصحه على أهل القسطنطينية فركن مسلمة إلى ذلك وعبر الخليج وحصر القسطنطينية فوجه أهلها الى مسلمة يبذلون الفدية فأبى فمكر به أليون واستأذنه فى مكاتبة رؤساء الروم والتوسط بينه وبينهم فكاتبهم وسار اليهم، فخلا بالبطريرك صاحب كرسى القسطنطينية ورئيس الديانة وسائر البطارقة أصحاب السيوف وولاة الأعمال فدعاهم إلى أن يملكوه عليهم ليقوم بأمرهم ويصرف مسلمة عنهم وذكر لهم ضعف تيدوس ملكهم عن مقاومته فاجابوه الى ذلك وعاد الى مسلمة فاخبره أنهم قد دخلوا فى طاعته وسأله التبعد عنهم قليلا وترك حصارهم ليطمئنوا اليه ففعل ذلك فدخل أليون القسطنطينية فملك ونصب التاج على رأسه، فأمر بنقل ما كان مسلمة أعده من الاقوات لعسكره فأدخل القسطنطينية وبلغ مسلمة ذلك فعلم أنه ممكور به فرجع الى حصارهم وعاودهم الحرب وعظم البلاء على من مع مسلمة لذهاب اقواتهم وولى عمر بن عبد العزيز على تلك الحال فكتب الى مسلمة يأمره بالقفول واستحثه على ذلك فقفل بعد كره شديد وخطب طويل وذلك فى سنة ١٠٠ وقد أتينا على شرح هذه الحروب وما كان فيهما من الحيل والمكايد فى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى في الدهور السوالف)

الرابع والثلاثون أليون بن قسطنطين ملك ستا وعشرين سنة بقية أيام سليمان

ابن عبد الملك، وأيام عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام ، وهلك في السنة التي بويع فيها الوليد بن يزيد

الخامس والثلاثون قسطنطين بن أليون ملك احدى وعشرين سنة أيام الوليد ابن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، ومروان بن محمد ، وأبى العباس السفاح ، وعشر سنين من خلافة المنصور

السادس والثلاثون أليون بن قسطنطين ملك سبع عشرة سنة واربعة أشهر، بقية أيام المنصور، وخمس سنين من خلافة المهدى .

السابع والثلاثون رينى امرأة أليون بن قسطنطين وتفسير « رينى » صلاح ثم لقبت بعد ذلك أغسطة وملك معها ابنها قسطنطين بن اليون فلم يزالا ملكين بقية أيام المهدى ، وأيام الهادى، وصدرا من خلافة الرشيد .

وكانت هى تمضى الأمور والاسم لابنها ، وكانت كالمهادنة للمهدى والهادى والرشيد ، فلما نشأ ابنها أفسد وتعدى وطغى ونابذ الرشيد ونقض ما كان بينهم من الصلح، فغزاه الرشيد وأوقع به فهرب فكاد أن يؤخذ فلما صار الى قراره خافت أمه أن يكر عليهم الرشيد وكان طغيان ابنها وقبح سياسته قد ظهر فى رعيته حتى سبوه وانكروه ، فاحتالت عليه أمه ليبقى ملكها عليها فأمرت بمرآة فأحميت فى حال نومه ثم أنبهته وقابلته بالمرآة ففتح عينيه على غرة فذهب بصره .

وكان مدة ملكه مع أمه سبع عشرة سنة وتفردت بالأمر خمس سنين وذلك فى أيام الرشيد وهادنت الرشيد وحملت إليه الاتاوة فتطرق بذلك عليها نقفور فأعين وعوضد حتى خلعت وانتزع الملك منها وذلك فى سنة ١٨٧ وهى فى بلاط بنته بالقسطنطينية يعرف بالابتارو الى هذا الوقت ولغشيطها الياطس ؛ وكان ذا رأى وحزم وسياسة ، والبلاط القصر، وفى هذا البلاط مينا عليه سلسلة فيه ينزل رسل العرب إذا قدموا للفداء .

الثامن والثلاثون نقفور بن استبراق ملك سبع سنين وثلاثة أشهر فى أيام الرشيد وهلك فى أول خلافة الامين وقيل إنه كان من ولد جفنة من غسان ممن تنصر آباؤه وقيل بل من ولد متنصرة إياد الذين دخلوا فى أرض الروم من بلاد الجزيرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وبايع لابنه استبراق بالملك بعده ولم يعهد هذا فيمن سلف من ملوك الروم ، وكانت كتبه تصدر من نقفور واستبراق ملكى الروم ، وكانت ملوك الروم قبله تحلق لحاها ، وكذلك ملوك الفرس لأمور قد ذكرناها فى غير هذا الكتاب فأبى ذلك نقفور وقال هذا تغيير لخلق البارىء سبحانه، وكانت مرتبته قبل أن يلى الملك لغثيط وهى ولاية ديوان الخراج .

وكانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانية فغير ذلك نقفور وكتب ملك الروم، وقال هذا كذب ليس أنا ملك النصرانية أنا ملك الروم والملوك لا تكذب ، وأنكر على الروم تسميتهم العرب « ساراقينوس » تفسير ذلك عبيد سارة طعنا منهم على هاجر وابنها اسماعيل ، وانها كانت أمة لسارة وقال تسميتهم عبيد سارة كذب ، والروم الى هذا الوقت تسمى العرب ساراقينوس

وكان مقتل نقفور فى حرب كانت بينه وبين برجان فى سنة ١٩٣ ، وقد أتينا على أخباره مع الرشيد وحروبه لبرجان وقتلهم اياه وغير ذلك من أخباره فى كتاب (مروج الذهب ، ومعادن الجوهر)

التاسع والثلاثون استبراق بن نقفور بن استبراق ملك شهرين .

الاربعون ميخائيل بن جورجس وكان ابن عم نقفور وصهره ملك سنتين فى أيام الامين وقيل أكثر من ذلك فوثب به أليون المعروف بالبطريق وغلب على الأمر وأقام ميخائيل قبله مخفياً أمره ، وأشاع هلكه بعد أن ناله بأنواع المكاره .

الحادى والأربعون أليون المعروف بالبطريق، ملك سبع سنين وثلاثه أشهر، وذلك بقية أيام الأمين ؛ وصدرا من خلافة المأمون ، فاحتال صنائع ميخائيل فاستخلصوه فوثب باليون وهو مغتر فقتله وعاد الملك اليه وقيل إنه فى حال غلبة أليون على الامر ترهب .

الثانى والاربعون ميخائيل بن جورجس الملك الثانى ملك تسع سنين فى أيام المأمون وقيل أ كثر من ذلك وقد أتينا على خبره وما كان من أمره وعوده الى الملك ثانية فى كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)

الثالث والاربعون توفيل بن ميخائيل ملك أربع عشرة سنة بقية أيام المأمون وأيام المعتصم وصدرا من أيام الواثق ، وهو الذى فتح مدينة زبطرة من الثغور الجزرية فخرج المعتصم نافرا غازيا حتى نزل على عمورية فافتتحها وذلك فى سنة ٢٢٣ وكان دخوله من الثغور الشأمية ودخل الافشين خيذر بن كاوس الاشروسنى فيمن كان معه من الاولياء وعمر بن عبيد الله بن مروان الأقطع السلمى صاحب ملطية من الثغور الجزرية فلقيهم الملك توفيل بن ميخائيل فكانت بينهم حروب عظيمة فانكشف الملك وحماه من كان معه من المحمرة والخرمية، ممن كان استأمن اليه من ناحية آذربيجان والجبال لما واقعهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب الطاهرى وكانوا ألوفا ، ولحق الافشين بالمعتصم فنزل معه على عمورية وفى ذلك يقول الحسين بن الضحاك الخليع الباهلى فى قصيدة له طويلة يمدح أبا الحسن الأفشين .

أثبت المعصوم عزا لأبى حسن أثبت من ركن إضم
كل مجد دون ما أثله لبنى كاوس أملاك العجم
لم يدع بالبذ من ساكنة غير أمثال كأمثال إرم
وقَرَى توفيل طعنا صادقا فض جمعيه جميعا وهزم

وقد ذكره أبو تمام فى قصيدته التى مدح بها المعتصم وذكر فتح عمورية

التى أولها :

السيف أصدق إنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

وقال :

لما رأى الحرب رأى العين توفلس   والحرْب مشتقة المعنى من الحرب

وقال الحسين بن الضحاك أيضا : فى كلمة له طويلة يخاطب المعتصم .

لم تبق من أنقرة نقرة   واجتحت عمورية الكبرى

إن يشك توفيل بتأريخه   فحق أن يعذر بالشكوى

وقال :

تفنى بنو العيص وأيامهم   وذكر أيامك لا يفنى*

يارب قد أملكت من بابك   فاجعل لتوفيلهم العقبى

وإنما ذكرنا هذه الشواهد لأن فريقا ممن لا علم له بسير الملوك وأيامهم ذهبوا الى أن المواقع للأفشين والذى فتحت عمورية الكبرى فى أيامه هو نقفور الذى كان في أيام الرشيد ، وما ذكرنا أشهر وأوضح اذ كان من الكوائن التى يشترك الناس فى علمها بسبب شهرتها، واستفاضة انبائها ، ولكن الحاجة دعت الى الاستشهاد .

الرابع والاربعون ميخائيل بن توفيل ملك ثمانيا* وعشرين سنة بقية أيام الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين وكانت أمه تدورة تدبر الملك معه ثم اراد قتلها لأمر كان منها ، فهربت ولحقت بالدير فترهبت . ونازعه فى الملك رجل من أهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يعرف بابن بقراط فلقيه ميخائيل وقد أخرج من فى سجونه من المسلمين للقتال معه ، وقواهم بالخيل والسلاح فظفر بابن بقراط فشوه بخلقه ولم يقتله لأنه لم يلبس ثياب الفرفير والخف الاحمر ، وقتل ميخائيل بسيل الصقلبي جد قسطنطين بن لاون بن بسيل الملك على الروم فى هذا الوقت

المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥ فى خلافة المطيع وكان قتله إياه فى سنة ٢٥٣ فى خلافة المعتز وقيل فى سنة ٢٥٢ .

الخامس والاربعون بسيل الصقلبي ملك عشرين سنة أيام المعتز والمهتدى وصدرا من خلافة المعتمد وكانت أمه صقلبية فنسب اليها فقيل الصقلبي .

قال المسعودى : وقد أتينا على خبره وبدء أمره وخروجه من بلده وهو بند تراقية إلى القسطنطينية ملتمسا للرزق طالبا للمعاش وما كان عليه من الشدة والشجاعة والهمة والمعرفة بأمور الخيل، وكيف اتصاله بميخائيل بن توفيل إلى أن صار المدبر لخيله وانتقاله فى المراتب إلى أن سمى « براكنميس » تفسير ذلك المدبر للملك وقيل ان توفيل استحضره لما نمي اليه خبره وخبر الامرأتين اللتين تزوج الملك باحداها وزوجه الاخرى اذ كانت شريعتهم تمنع من الجمع بينهما وكان الملك يختلف اليهما، وما توجه لبسيل عليه من الحيلة حتى قتله وصفا له الملك وغير ذلك من أحواله فى كتاب (فنون المعارف ؛ وما جرى فى الدهور السوالف)

السادس والاربعون أليون بن بسيل ملك ستا وعشرين سنة بقية أيام المعتمد والمعتضد والمكتفي وصدرا من أيام المقتدر ، وقيل ان وفاته كانت فى سنة ٢٩٧ .

السابع والاربعون أخوه الاكصندرس بن بسيل ملك سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل إنه اغتيل لسوء سيرته وقبح سياسته .

الثامن والاربعون قسطنطين بن لاون بن بسيل ملك وله نحو من ست سنين وقيل أكثر من ذلك فى سنة ٣٠١ وغلب على أمره بطريق البحر وصاحب مغازيه رومانوس فقام بأمر الملك وشرط على نفسه شروطا منها أنه لا يطلب الملك ولا يريده ولا يتسمي به ولا أحد من ولده .

وأقام على ذلك نحوا من سنتين. ومن رسوم ملوك الروم ألا يجلس معهم فى

مجلسهم أحد ولا يلبس خفين أحمرين غيرهم فجعل لأرمانوس أن يجلس معه ويلبس خفاً أحمر والآخر اسود ، ثم نقض الشروط وسمى نفسه ملكا ولبس التاج والثياب الفرفير التى لا يلبسها الا الملوك وخفين أحمرين وحجر على قسطنطين .

ونشأ لأرمانوس أربعة أولاد نخصى الاوسط واسمه توفيلقطس، وجعله خادما للكنيسة فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال جعله بطريركا * وهو ملك الدين والقيم به كما ان الملك صاحب السيف ، فهو صاحب كرسى القسطنطينية الى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وصاحب الكرسى هو شريك الملك ليس يساوى الملك فى الخلق أحد الا هو ، ولا يكفر الملك الا له، واذا جلس الملك جلس على كرسى من ذهب وجلس البطريرك * على كرسى من حديد فما كان من نفقات الحرب وجباية الخراج واعطاء الجند فهو الى الملك، وما كان من أموال الاحباس والوقوف لنفقات الكنائس والديرة والاساقفة والرهبان وما أشبه ذلك من أمر دينهم فهو الى البطريرك، وله فى كل بند عامل مثل عامل الملك، والبطريرك * لا يأكل اللحم ولا يطأ النساء ولا يتقلد السيف ولا يركب الخيل واذا أراد أن يركب ركب حمارا وحول رجليه على جانب مثل ركوب النساء .

وكان أولاد أرمانوس الباقون اخرصطفورس ، واصطفن ، وقسطنطين وكانوا جميعا يخاطبون بالملك وزوج أرمانوس ابنته «النا» بقسطنطين فكانت تخاطب بالملكة أيضا .

وولد لقسطنطين الملك منها ولد سماه ارمانوس فهو ولى عهده والمرشح للملك بعده فى هذا الوقت وهلك اخرصطفورس وبقى أخواه قسطنطين واصطفن فلم يزل الامر على ذلك الى نحو من سنة ٣٣٠ للهجرة فواطأ ابنا ارمانوس قسطنطين بن لاون على ازالة ابيهم ارمانوس عن الملك ليصفو لهم الأمر فدخلوا عليه فى بعض الأيام فى عدة من الناس فقبضوا عليه وانفذوه الى دير

كان بناه فى الجزائر بالقرب من القسطنطينية وأقام ولداه مع قسطنطين نحوا من أربعين يوما وعملا على الفتك به والاستيلاء على الملك ونذر بما دبراه فسبقهما الى ذلك فاحضرهما طعامه وقد اعد لهما عدة من خواصه فقبض عليهما ونفاهما الى جزيرتين فى البحر منفردتين ففتك أحدهما وهو قسطنطين بالموكل به ورام من أصحابه وأهل الجزيرة طاعته فقتلوه وحملوا رأسه إلى الملك قسطنطين فأظهر الجزع عليه ، وتوفى ارمانوس بعد اربع سنين من ترهبه وبقى اصطفن فى هذه الجزيرة الى هذا الوقت على ما ينمى إلينا من أخبارهم ونحن بفسطاط مصر ممن يرد فى المراكب من القسطنطينية من التجار والرسل الى السلطان بها ، وصفا الملك لقسطنطين فبقي فى الملك بقية أيام المقتدر والقاهر والراضى والمتقى والمستكفى والى هذا الوقت من خلافة المطيع

قال المسعودى: وقد ذكرنا فى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) خبر من خرج عليه من الخوارج ونازعه فى الملك قبل استيلاء ارمانوس عليه وقيامه به كقسطنطين بن اندرونقس الملقب بدوقاس وكان أبوه اندرونقس استأمن الى المكتفى من ناحية طرسوس وكان صاحب جيش اليون ملك الروم وصار الى مدينة السلام فى سنة ٢٩٤ واسلم على يد المكتفى ثم هلك فهرب ابنه هذا على طريق الجبل وارمينية وآذربيجان فكثر اتباعه والمعاضدون له وصار الى القسطنطينية ونازع قسطنطين بن اليون على الملك وكاد ان يتم له ثم وثب به صنائع قسطنطين فقتلوه وذلك فى سنة ٣٠١ وكقرقاس أخي الدمستق بارزوس بن الفقاس المساجل فى هذا الوقت لأبى الحسن على بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث العدوى عدى بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب صاحب جند حمص وجند قنسرين والثغور الشامية والجزيرة وديار مضر وديار بكر والمواقع له مرة بعد أخرى

وكان قرقاس طلب الملك وطمع فيه فقبض عليه وسمل

وقد أتينا على سير هؤلاء وأخبارهم وحروبهم مع سائر الأمم وما بنوا من المدن وكوروا من الكور وشيدوا من الهيا كل حين كانوا على الحنيفية والكنائس حين دانوا بالنصرانية وما كان من الكوائن والاحداث فى أيامهم ودياناتهم ووجوه سياساتهم الى هذا الوقت والتنازع فى أعدادهم وما ملكوا من السنين وما كان بينهم وبين ملوك الفرس وغيرهم من الأمم من الحروب والوقائع والزحوف والحيل والمكايد وما كان بينهم وبين خلفاء المسلمين وملوكهم من المغازى والوقائع المشهورة فى البر والبحر وأخبار الرسل والوفود بينهم والمهادنات والأفدية وغير ذلك ، والتنازع فى انساب الروم وما قيل فى وما يذهب اليه بعض ذوى المعرفة منهم والدراية فى هذا الوقت من أنهم ولد رومي ابن لنطى بن يونان بن نويه بن سرجون بن بزنط بن توفيل بن رومى بن الاصفر بن اليفز بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم فسموا باسم جدهم واضيفوا إليه

ومن قال منهم أنهم من ولد روم بن سملا حين بن هريا بن علقا بن العيص ابن اسحاق بن ابرهيم وغير ذلك من الاقاويل فى كتاب (أخبار الزمان، ومن اباده الحدثان) ، من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة فى الكتاب الاوسط وفى النسخة الاخيرة من كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) التى قررنا أمرها فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهى أضعاف ما تقدم من النسخ وفى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) وفى كتاب ذخائر العلوم وفى كتاب الاستذكار ؛ لما جرى في سالف الاعصار) الذى كتابنا هذا تال له ومبنى عليه وقد خصصنا كل كتاب منها من أخبارهم بما لم نخصص به الآخر إلا ما لا يسع تركه، وإنما ذكرنا فى هذا الكتاب جملا وجوامع استذكارا لما تقدم

وقد قدمنا فى أول أخبار الروم من هذا الكتاب أن عدة ملوك الروم ثمانية وسبعون ملكا من الصابئين والمتنصرة قبل الاسلام وبعده وان مدة سنيهم إلى ملك قسطنطين هذا تسعمائة سنة وست وستون سنة وشهر وفصلنا ماملكه الصابئون والمتنصرة

فاذ قد ذكرنا الروم وانسابهم وتأريخ سنيهم وطبقات ملوكهم إلى وقتنا هذا فلنذكر الآن حدود بلادهم وبنودهم ومايتصل منها بالبحار وما لايتصل

ذكر بنود الروم

وحدودها ومقاديرها، وما يتصل منها بالخليج، وبحر الروم والخزر
وما اتصل بذلك من اللمع المنبهة على ما تقدم
من تأليفنا فيما سلف من كتبنا

أرض الروم أرض واسعة فى الطول والعرض آخذة فى الشمال بين المشرق والمغرب، مقسومة فى قديم الزمان على أربعة عشر قسما : أعمال مفردة، تسمي البنود كما يقال: أجناد الشام ؛ كجند فلسطين ، وجند الاردن ، وجند دمشق ، وجند حمص ، وجند قنسرين. غير أن بنود الروم أوسع من هذه الاجناد وأطول

والروم يسمون بلادهم أرمانيا ، ويسمون البلاد التى سكانها المسلمون فى هذا الوقت من الشأم والعراق سوريا .

والفرس إلى هذا الوقت تقارب الروم فى هذه التسمية ، فيسمون العراق والجزيرة والشأم « سورستان» اضافة الى السريانيين الذين هم الكلدانيون ويسمون سريان ولغتهم سورية وتسميهم العرب النبط .

فالبند الاول يسمى «الاقى ماتى » تفسير ذلك الأذن والعين وهو بند

الناطليق*» أعظم بنود الروم فيه عمورية ، أوله مما يلى بلاد الاسلام من الثغور الشامية حصن هرقلة وأول عمل الناطليق رستاق يعرف بغصطوبلى وفيه يقوم سوق البخور وهو سوق يقوم فى السنة مرة .

البند الثانى «بند الابسيق» فيه مدينة نيقية ، أول عمل هذا البند غصطوبلى وآخره خليج القسطنطينية فهذان البندان من دار الاسلام الى خليج القسطنطينية فى الطول يكون أميالا أربعمائة ميل واربعة وثلاثين ميلا .

البند الثالث «يسرة الناطليق» ويعرف «بترقسين» وهو بند افسيس مدينة أصحاب الكهف ومدينة زمرنى، اخرج هذا البند عدة من الحكماء فى سالف الزمان فلاسفة وأطباء ، فمن الاطباء روفس الافسيسى له مصنفات كثيرة فى الطب وجالينوس يمدحه فى كثير من كتبه ويذم روفس الحينيطى، وهذا البند متصل ببحر الروم والشأم .

البند الرابع «بند بنطيليا» وهى «دقابلى» يتصل بالبحر الرومى أيضا وفى آخر هذا البند عمل سلوقية وحصن بوقية واللامس، الذى يكون فيه الفداء بين المسلمين والروم ومنه الى طرسوس خمسة وثلاثون ميلا* وهو بند ضيق وحروب المسلمين عليه براً وبحرا فهذان البندان متصلان من دار الاسلام على البحر الرومى الى خليج القسطنطينية أيضا يكون طولها ثلاثمائة ميل وخمسة وستين ميلا .

البند الخامس «بند القباذق» وهو يمنة عمورية فيه قرة وحصن يدقسى وحصن سلندو وذو الكلاع - واسمه بالرومية كوبسطرة - وقونية ووادى سالمون ووادى طامسة، وأول عمل هذا البند مما يلى الثغور الشأمية مطمورة تعرف بماجدة من قلعة لؤلؤة على نحو عشرين ميلا وآخره نهر آلس وتفسير «آلس» بالعربية نهر الملح وهو نهر مقلوب يجرى ما يلى الجنوب مستقبلا للشمال كنيل مصر ومهران السند ونهر انطاكية المعروف بالارنط وما عدا ذلك من الانهار الكبار

فصبها كلها من الشمال الى ناحية الجنوب لارتفاع الشمال على الجنوب وكثرة مياهه وقد أتينا على علة ذلك فيما سمينا من كتبنا .

البند السادس « بند البقلاّر » وهو بند عمل انقرة وأول عمل انقرة نهر آلس وهو آخر عمل القباذق وآخر عمل البقلار بحر الخزر الذى هو بحر مايطس فهذان البندان متصلان من دار الاسلام الى بحر الخزر في الطول يكون أميالا اربعمائة ميل وخمسة واربعين ميلا ، وليس للروم اطول من بند البقلار هذا ، ولا أكثر رجالة منه .

البند السابع « بند الافطماط » وهو عمل نقمودية ، وهو بند مربع بين البقلار والابسيق وآخر عمل هذا البند خليج القسطنطينية ، وعرض الخليج هناك ميل ويسمي ذلك الموضع الى هـذا الوقت أقروبلى . وقد قدمنا صفة ذلك فيما سلف من هذا الـكتاب فى ملك قسطنطين بن هيلانى عند ذكر بنائه القسطنطينية ووصف خليجها والعدوات الست التى عليه

البند الثامن « بند الارمنياق » يمنة البقلار ، وهو عمل ماسية وفى طرف هذا البند عمل خرشنة ، وآخره بحر مايطس الذى يسميه كثير من الناس بحر الخزر وانما هو متصل به لأن بحر الخزر هو الذى عليه دور الاعاجم كالباب والابواب وموقان والجبل والديلم ، وآبسكون ساحل جرجان ، والبهم* ساحل آمل قصبة طبرستان على ماقدمنا فيما سلف من هذا الـكتاب عند إخبارنا عن البحار وترتيبها وما يصب اليها من كبار الأنهار

البند التاسع « بند فلاغونية » وهو يمنة الارمنياق وفى طرفه عمل قلونية ، فهذه تسعة بنود دون الخليج مما يلى الثغور الشأمية والجزرية وغيرها من بلاد الاسلام ، والخمسة الباقية من البنود وراء الخليج متصلة بالقسطنطينية وهى « بند طابلا » ومنه القسطنطينية حده من جهة المشرق الخليج الآخذ من بحر الخزر الى بحر الشأم

ومن القبلة بحر الشأم ، ومن المغرب سور ممدود من بحر الشأم الى بحر الخزر يسمى « مقرون تيخس » تفسيره السور الطويل ، طوله مسيرة أربعة أيام وبينه وبين القسطنطينية يومان واكثر هذا البلد ضياع الملك والبطارقة ، ومروج المواشى

« بند تراقية » « بند مقدونية » « بند بابونيسة » تفسير ذلك الجزائر الكثيرة ، وقيل البلدان الكثيرة وهو غربى القسطنطينية فيه خرقيذية ومثونية وقرنتو واثينس وهى مدينة ارسطاطاليس بن نيقوماخس وثاوفرسطس ، ودار ارسطاطاليس فيها بينة الى هذا الوقت معروفة معظمة

« بند سالونيكة » التى افتتحها لاون غلام زرافة فى البحر سنة ٢٩٠ فى خلافة المكتفى وهى مدينة عظيمة بنيت قبل القسطنطينية بناها الاسكندر بن فيلبس الملك

وقد غلبت البرغر وأجناس من الترك بدو يسمون « الولندرية » اضافة الى مدينة فى أقاصى ثغور الروم مما يلى المشرق تعرف بولندر وهم بجناك وبجنى وبجغرد ونوكبردة على اكثر هذه البنود الخمسة وذلك بعد العشرين والثلاثمائة وخيموا هناك ومنعوا الطريق من القسطنطينية الى رومية وهو مسافة نحو أربعين يوما وأخربوا اكثر ما هناك من العمائر ، واتصلت غاراتهم بالقسطنطينية فلا وصول لمن فى القسطنطينية الى رومية فى هذا الوقت الا فى البحر ، وانما العمارة بينهما مما يلى القسطنطينية مسيرة أيام كثيرة

وقد ذكرنا فى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) السبب فى انتقال هذه الاجناس الأربعة من الترك عن المشرق وما كان بينهم وبين الغزية والخرلخية ، والكيماكية من الحروب والغارات على البحيرة الجرجانية ، واليها يصب نهر جيحون ونهر الشاش وفرغانة وبلاد الفاراب تجرى فيها السفن الكبار من بلاد خوارزم الى بلاد الشاش وغيرها بأنواع التجارات

على ماقدمنافيا سلف من هذا الـكتاب، وليس فى المعمور أكبرمنها لأنها مسيرة شهر فى مثل ذلك ، وقيـل أكثر على ماقدمنا وماؤها عـذب ويليها فى العظم بحيرة المارزبون بأرض الروم ، وسبب مسيرهم الى هذه الديار . وكان صاحب رومية منقادا الى صاحب القسطنطينية مطيعا له ممتثـلا لأمره لا يلبس تاجا ولا يتسمى بالملك على ذلك جرت رسومهم قديما قبل ظهور الاسـلام الى نحو سنة ٣٤٠ للهجرة فان صاحب رومية قوى أمره وكثرت جموعه ، فلبس التاج والثياب الفرفير والخفاف الحمر وغير ذلك مما يختص به ملك الروم وتسمى ملـكا

فلما بلغ قسطنطين بن أليون الملك على الروم فى هذا الوقت ذلك أنفذ اليه الجيوش فعادت اليه منكوبة مهزومة فـكاتبه حينئذ ورضى منه بالمسالمة

وقد كان جرى بينهما مصاهرة قبل هذه المنابذة ؛ زوج ملك رومية ابنته بأرمانوس بن قسطنطين وحملها اليه وجهزها بأفخر ماتجهز به بنات الملوك وأعظمه قدرا فهلـكت عنده

وسـائر أجناس الافرنجية من الجـلالقة والجـاسقس والوشكـنس وارمانجس واكثر الصقالبة والبرغر وغـيرهم من الأمم فدائنون بالنصرانية منقـادون الى صاحب رومية ، ورومية دار مملـكة الافرنجة* العظمى قديما وحديثا

وقد ذكر ذلك ارسطاطاليس في رسـالته الى الاسكـندر التى يحرضه فيها على المسـير لحرب دارا بن دارا ملك فارس فقال « انك أيها الملك قد رأيت أمارات الظفر عند مسـيرك أولا الى الافرنجة*، فان مشايخهم الذين كانوا على تخوم بلادهم ؛ لما دنوت منهم أسلموا اطراف بلادهم والتجئوا الى مدينتهم العظمي رومية »

قال المسعودى : وكانت مساكن الروم واليونانيين متجاورة كتجاورة مساكن

العراق وهم النبط للفرس سكان فارس والاهواز وارض الجبال من الماهات وغيرها على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب فى باب الأمم السبع قبل تجيل الاجيال وتحزب الامم، الى أن غلبت الروم على ديار اليونانيين، وصار الجميع روما كغلبة الفرس على مملكة النبط غير ان كل فريق منهم يحفظون أنسابهم ويرجعون إلى شعوبهم ، وقد ذكرنا فى أخبار اليونانيين من كتاب (فنون المعارف، وماجرى فى الدهور السوالف) ، أن هذه البنود التسعة التى تلى ارض الاسلام فى هذا الوقت كانت ديار اليونانيين فالى وراء الخليج بأيام وكانت ديار الروم ماوراء ذلك الى وراء بلادرومية وارض الافرنجة برا وبحرا ، وذلك نحو من خمسمائة فرسخ إلى أن تتصل ببحر اوقيانس المحيط وبلاد الاندلس، وأتينا على أخبار هذه البنود ومقاديرها وما يتصل منها بالبحر وما لايتصل، وما فيها من الحصون العظام والموانى والبحيرات والانهار والهوتات والحمات . وما وطىء منها المسلمون فى أيام مغازيهم إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وحدودها، وبماذا التنازع فى أسمائها، والى ماذا أضيفت وولاتها ومراتبها ومواضعهم وسماتهم ومقادير جيوشهم ، ومن يحاربهم من الامم فى البر والبحر، وما استرجعوه مما كان المسلمون غلبوا عليه من بلادهم، كملطية وشمشاط وحصن منصور وقلعة إبريق التى كانت مدينة البيالقة وكان بها عدة من بطارقتهم منهم قربياس مولى آل طاهر بن الحسين وخرسخارس وغيرها ومدينة سيحان التى يخرج منها العيون التى هى أصل نهر سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشأمى وغير ذلك من الثغور الجزرية فالى بلاد قاليقلا ، وما يتصل بذلك من المشرق والشمال كأرمينية وغيرها والحصون التى عمرت مما كان المسلمون أخربوه فى أول الاسلام مما يلى الثغور الشأمية وما غلبت عليه البرغر وبجناك من الترك وغيرهم من الولندرية من ثغور الروم فى هذا الوقت، وخبر السور المسمى بالرومية «مقرون تيخس» تفسير ذلك

السور الطويل كما ذكرنا آنفا الحاجزيين بلاد برجان وبين البنود الخمسة التى وراء القسطنطينية المبنى فى سالف الدهر بين جبلين عظيمين وهو دون النهر العظيم المسمى بالصقلبية «دَنابى» وعرضه نحو من ثلاثة أميال على ماقدمناذكره وعليه كثير من البرغر والصقالبة وغيرهم من الأمم الواغلين فى الشمال وقول من قال إنه جيحون نهر بلخ على ماذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار أنهار العالم الكبار ومصباتها فى البحار وغير ذلك من أخبار الروم وبلادهم

وإنما ذكرنا فى هذا الكتاب لما استذكارا لما تقدم تصنيفه وتنبيها على ماسلف تأليفه وذكرنا فيما تقدم من كتبنا سائر الممالك والامم ومساكنهم وملوكهم وسيرهم وسياساتهم وحروبهم ووجوه عباداتهم ممن سكن المشرق والمغرب والشمال والجنوب كالهند والصين والترك والخزر واللان ، ومن سكن جبل القبق من اللكز ومن جاور الباب والابواب وقرب من هذا الجبل من الامم كاللان والسرير والخزر وجرزان والابخاز والصنارية وكشك والكاسكية وغيرهم والابر وبرجان والروس والبرغر والافرنجة والصقالبة وأجناس السودان مع اختلاف ديارهم وبنائهم وتباينهم فى مساكنهم ولغاتهم واخبار مصر والاسكندرية وملوكها ونيلها وما عليه من ممالك الكوشانيين وهم ولد حام بن نوح وأخبار الكلدانيين وهم السريانيون المسمون النبط وأخبار بنى إسرائيل وانبيائهم وملوكهم ورؤسائهم وقوامهم

والاربعة والعشرين كتابا التى تجتمع اليهود والنصارى عليها وتسميها اليهود الكتب الجامعة والنصارى كتب الصورة — والصورة القديمة اثنا عشر منها صغار واثنا عشر كبار ، وتسمى ايضا كتب الانبياء منها التوراة خمسة اسفار وليس تقرأ النصارى فى الكنائس من التوراة الاالسفر اول وهو الخليقة، وغير ذلك مما تقدم عنها وتأخر

وأخبار العرب البائدة كعاد وعبيل ابنى عوص بن أرم بن سام بن نوح، وثمود وجديس ابنى عابر ابن أرم بن سام، وعمليق وطسم ابنى لاود بن ارم ابن سام ابن نوح، ووبار بن اميم بن لاود بن أرم بن سام بن نوح، وجرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام، وعبد بن ضخم بن عبس بن هرم بن عابر بن أرم بن سام وغيرهم وتفرقهم عن أرض العراق بعد تبلبل الالسن، وما كان من قضية الجدل وما ارتجز به كل فريق منهم، وأخبار العرب الباقية من معد وقحطان وأنسابهم وأخبار ملوكهم، وأخبار ملوك حمير من التبابعة وغيرهم والتنازع فى كمية أعدادهم، ومن قال إنهم سبعون تبعا واستشهد بقول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت أو النعمان بن بشير الانصاريين

لنا من بنى قحطان سبعون تبعا　　أقرت لها بالخرج منها الاعاجم

وقول من قال أقل من ذلك وأكثر والسبب الذى به سموا التبابعة ومن قال ان هذه السمة لم يكن يستحقها منهم الا من ملك اليمن وحضرموت واجتمعت له طاعتهم، ومن رأى انه انما قيل للملك منهم تبع تشبيها بالظل الذى يتفيأ به وأن التبع فى أصل اللغة الظل إذ كان الملوك السعداء ظلا لرعيتهم وكهفا لها وملجأ، واستشهادهم بقول ليلى الجهنية، وقيل قول سعدى الجهنية *

يرد المياه حضيرة ونفيضة　　ورد القطاة اذا اسمأل التبع

يعنى ارتفع الظل وقيل لمعان غير ذلك، ومن سار منهم فى البلاد ووطىء الممالك ووصاياهم وعهودهم وحكمهم ومغازيهم من لدن حمير وهو العرنجج * ويسمى أيضا زيد بن سبأ وهو عبد شمس، الى زوال نظامهم، وانقضاء ملكهم بغلبة الحبشة عليهم والتنازع فى مدة ما ملكوا من السنين من مكثر ومقلل

وأقل ماقيل فى مدة ملكهم ماحكاه محمد بن موسى الخوارزمى فى زيجه فى النجوم وغيره أن ذلك ألف وتسعمائة سنة وثمان وثلاثون سنة

ومن تلاهم من ذوى المراتب الملوكية كالأقيال والاذواء والمثامنة والعباهلة وغيرهم ، وقيل ان الاذواء لم تكن مرتبة ، وانما هى سماة لملوكهم ، كذى الاذعار ، وذى المنار ، وذى يزن ، وذى رعين ، وذى نواس ، وذى كلاع ، وذى اصبح ، وغيرهم

ومن ملكته الروم من اليمن بالشأم من تنوخ والضجاعم من سليخ بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وغسان استكفاء بهم من يليهم من بادية العرب أولهم جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد ، وآخرهم جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الذى لحق بالروم بعد فتوح الشأم

ومن ملكته الفرس بالحيرة من أرض العراق من بنى نصر بن لخم من النعامنة والمناذرة وهم ولد عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم واسمه مالك بن عدى ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان ليكفوا* بهم من يليهم من بوادى العرب أيضا وآخرهم النعمان بن المنذر الذى قتله كسرى ابرويز

وملك الحيرة بعده اياس بن قبيصة الطائى وغيره الى أن جاء الله بالاسلام

وكان عدة من ملك الحيرة من بنى نصر والعباد وغسان وتميم وكندة والفرس وغيرهم نيفا وعشرين ملكا ملكوا خمسمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وشهورا ، وعمرو بن عدى هو صاحب المثل السائر « كبر عمرو عن الطوق* » وهو ابن أخت جذيمة الابرش الذى قتلته الزباء ابنة عامر بن ظرب*

وجذيمة صاحب النديمين الذين يضرب بهما المثل ، وفيهما قال متمم بن نويرة اليربوعي فى مرثيته أخاه مالك بن نويرة

وكنا كندمانى جـذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالـكا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومن ملك من كندة على معد وغيرها أولهم معاوية بن ثور بن مرتع وهو من كندة وآخرهم حجر بن الحارث بن عمرو أبو امرئ القيس بن حجر ، وهو الذى قتله بنو أسد بن خزيمة ، وأخبار ولد نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن اسماعيل بن ابراهيم - ربيعة ومضر وهما الصريحان من ولد اسماعيل بن ابراهيم - واياد وانمار مع تنازع النساب فيهما من اليمن هم أم من نزار واستشهاد من ألحق ايادا بنزار بقول أبى دواد جويرية بن الحجاج الايادى*

وفتو حسن   أوجههم   من اياد بن نزار بن معد

وبقول الـكميت بن زيد الأسدى

اياد حين تنسب من معد   وان رغمت أنوف الراغمينا
وكانوا فى الذؤابة من نزار   وأهلَ* لوائها مترزنينا*

وقول نساب اليمانية إنه اياد بن أحاظة بن سعد من حمير ، واستشهاد من ألحق انمارا بنزار بقول الـكميت أيضا

وأنمار وإن رغمت أنوف   معدبو العمومة والخؤول
لهم لغة تبين من أبيهم   مع الغر الشوادخ ذى الحجول

وقول اليمن إنه أنمـار بن أراش بن الغوث وهو الأزد بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان وانه ولد له سبعة من الذكور فخمسة منهم يدعون بجيلة وواحد يدعى خثعما ، وواحد ينسب والده الى الأزد .

وسبب تفرق هذه القبائل وغيرها من معد عن الحجاز ، وما قالته نساب القحطانية فيمن تخلج وتنقل عن قبائلهم الى معـد وانتسبوا فيهم ، وما قالته نساب المعدية فيمن تخلج أيضا وتنقل عن قبائلهم الى قحطان

والسبب الذى لأجله انقادت القحطانية الى تمليك الملوك عليها وأبت المعدية ذلك ، الى أن جاء الله بالاسلام ، ولم سمت القحطانية أنفسها ومن تقدمها من العرب البائدة العربَ العاربة وسموا معدا العربَ المتعربة ، وغير ذلك من فنون الأخبار وضروب السير والآثار، على الشرح والايضاح

قال المسعودى : فاذ ذكرنا اليونانيين وملوكهم وغلبة الروم عليهم ودخولهم فى جملتهم ، وملوك الروم على طبقاتهم من الحنفاء والمتنصرة قبل ظهور الاسلام وبعده الى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ فانذكر الآن ما كان من الأفدية والهدن بين الروم والعرب فى أيام ولد العباس اذ لم يكن فى أيام بنى أمية فداء معروف مشهور فنذكره بل كان يفادى بالنفر بعد النفر فى سواحل الشأم ومصر والاسكندرية وبلاد ملطية وغيرها من الثغور الجزرية ، اذ كانت أموية والثغور الشأمية عباسية

ذكر الأفدية بين المسلمين والروم

الفداء الأول: فداء أبى سلَيم كان أول فداءجرى فى أيام ولد العباس فى خلافة الرشيد باللامس من ساحل البحر الرومى على نحو من خمسة وثلاثين ميلا من طرسوس سنة ١٨٩ والملك على الروم نقفور بن استبراق يقال انه فودى بكل أسير كان بأرض الروم من ذكر وأنثى فيما ظهر، وذلك على يد القاسم ابن الرشيد وباسمه، وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين من أعمال حلب وفيه قيل

يا أيها النفر الغزا ة النازلون بمرج دابق
انى لغاز لو تركـ ـت الى حبيب لى موافق

حضر هذا الفداء وقام به أبو سليم فرج خادم الرشيد المتولى له بناء

طرسوس فى سنة ١٠١ للهجرة وسالم البرلسى البربرى مولى بنى العباس فى ثلاثين ألفاً من المرتزقة، وحضره من أهل الثغور وغيرهم من أهل الامصار وغيرهم نحو من خمسمائة الف ، وقيل أكثر من ذلك بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة ، قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم الفضاء . وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزى ومعهم أسارى المسلمين ، وكان عدة من فودى به من المسلمين فى اثنى عشر يوما ثلاثة آلاف وسبعمائة، وقيل أكثر من ذلك وأقل . والمقام باللامس نحو من اربعين يوما قبل الأيام التى وقع الفداء فيها وبعدها . وإنما نذكر فى كل فداء يرد فيما بعد هذا الفداء الأيامَ التى وقع فيها الفداء لامدة مقام الناس باللامس ، اذ كان يطول ويقصر

وفى هذا الفداء يقول مروان بن أبى حفصة فى كلمة له طويلة يمدح بها الرشيد

وفكت بك الأسرى التى شيدت لها   محابس ما فيها حميم يزورها
على حين أعيا المسلمين فكاكها   وقالوا سجون المشركين قبورها

الفداء الثانى: فداء ثابت فى خلافة الرشيد أيضا باللامس فى سنة ١٩٢ والملك على الروم نقفور بن استبراق ايضاً ، وكان القيم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعى أمير الثغور الشأمية ، حضره مئو ألوف من الناس، وكان عدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفين وخمسمائة ونيفا من ذكر وانثى

الفداء الثالث : فداء خاقان فى خلافة الواثق باللامس فى المحرم سنة ٢٣١ والملك على الروم ميخائيل بن توفيل وكان القيم به خاقان الخادم التركى وعدة من فودى به من المسلمين فى عشرة ايام اربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين من ذكر وأنثى ، وقيل أربعة آلاف وسبعة واربعين على ما فى كتب الصوائف* ، وقيل أقل من ذلك

وفى هذا الفداء أخرج أهل زبطرة ، وفيه خرج مسلم بن أبى مسلم الجرمى ، وكان ذا محل فى الثغور ومعرفة بأهل الروم وأرضها ، وله مصنفات فى أخبار الروم وملوكهم وذوى المراتب منهم ، وبلادهم وطرقها ومسالكها ، وأوقات الغزو اليها والغارات عليها ، ومن جاورهم من الممالك من برجان والابر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم

وحضر هذا الفداء مع خاقان رجل يكنى أبا رملة ، من قبل احمد بن أبى دواد قاضى القضاة يمتحن الاسارى وقت المفاداة ، فمن قال منهم بخلق التلاوة ، ونفى الرؤية فودى به وأحسن اليه ، ومن أبى ترك بأرض الروم ، فاختار جماعة من الأسارى الرجوع الى أرض النصرانية على القول بذلك ، وأبى أن يسلم* الانقياد الى ذلك ، فنالته محن ومهانة الى أن تخلص

الفداء الرابع : فداء شُنَيف فى خلافة المتوكل باللامس فى شوال سنة ٢٤١ والملك على الروم ميخائيل بن توفيل ، وكان القيم به شنيف الخادم مولاه ، وحضر جعفر بن عبد الواحد الهاشمى القرشى القاضى ، وعلى بن يحيى الارمنى صاحب الثغور الشأمية

فكان عدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفين ومائتى رجل ، وقيل ألفى رجل ومائتى امرأة ، وكان مع الروم من النصارى المأسورين من أرض الاسلام مائة رجل ونيف فعوضوا مكانهم عدة أعلاج ، إذ كان الفداء لا يقع على نصرانى ولا ينعقد

الفداء الخامس: فداء نصر بن الأزهر وعلى بن يحيى فى خلافة المتوكل ايضا باللامس مستهل صفر سنة ٢٤٦ والملك على الروم ميخائيل بن توفيل أيضا

وكان القيم به على بن يحيى الارمنى أمير الثغور الشأمية ونصر بن الازهر الطائى الشيعى من شيعة ولد العباس المراسل الى الملك فى أمر هذا الفداء من

قبل المتوكل

وعدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفان وثلمائة وسبعة وستون من ذكر وأنثى

وقد ذكر بعض من لحقنا أيامه من مصنفى الكتب فى الكوائن والاحداث والسير والتواريخ أن فداء كان فى أيام المعتز ، والملك على الروم بسيل على يد شفيع الخادم فى سنة ٢٥٣

الفداء السادس : فداء ابن طُغان فى خلافة المعتضد باللامس فى شعبان سنة ٢٨٣ والملك على الروم أليون بن بسيل ابو قسطنطين بن أليون الملك على الروم فى وقتنا هذا

وكان القيم به احمد بن طغان أمير الثغور الشأمية وانطاكية من قبل أبى الجيش خمارويه بن احمد بن طولون صاحب مصر واجناد الشأم وديار مضر وغيرها

وكانت الهدنة لهذا الفداء وقعت فى أيام ابى الجيش فى سنة ٢٨٢ فقتل ابو الجيش بدمشق فى ذى القعدة من هذه السنة ، وتم الفداء فى أيام ولده جيش ابن خمارويه فكان عدة من فودى به من المسلمين فى عشرة أيام ألفين واربعمائة وخمسة وتسعين من ذكر وانثى ، وقيل ثلاثة آلاف رجل

الفداء السابع : فداء رستم ويعرف بفداء الغدر فى خلافة المكتفى باللامس فى ذى القعدة سنة ٢٩٢ والملك على الروم أليون بن بسيل أيضا ، القيم به رستم ابن بردو الفرغانى أمير الثغور الشأمية ، وكان عدة من فودى به من المسلمين فى أربعة أيام ألفا ومائة وخمسة وخمسين من ذكر وأنثى، ثم غدر الروم وانصرفوا ببقية الأسارى

الفداء الثامن : فداء رستم أيضا ويعرف بفداء التمام فى خلافة المكتفى أيضا باللامس فى شوال سنة ٢٩٥ والملك على الروم أليون أيضا ـ القيم به رستم بن

بردو ؛ وكان عدة من فودى به من المسلمين ألفين وثمانمائة واثنين واربعون من ذكر وأنثى

الفداء التاسع : فداء مؤنس فى خلافة المقتدر باللامس فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٠٥ والملكان على الروم قسطنطين بن أليون ملكهم فى وقتنا هذا وارمانوس . وقسطنطين يومئذ صغير فى حجره ،وكان القيم به مؤنس الخادم وبشرى* الخادم الافشينى أمير الثغور الشأمية وانطاكية ، والمتوسط له والمعاون عليه أبو عمير عدى بن احمد بن عبد الباقي التميمى الأذنى ، وعدة من فودى به من المسلمين فى ثمانية أيام ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستة وثلاثون من ذكر وأنثى

. الفداء العاشر : فداء مفلح فى خلافة المقتدر أيضا باللامس فى رجب سنة ٣١٣ والملكان على الروم قسطنطين وارمانوس

وكان القيم به مفلح الخادم الاسود المقتدرى وبشرى خليفة ثمل الخادم الدلفى على الثغور الشأمية ؛ وعدة من فودى به من المسلمين فى تسعة عشر يوما ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثمانون من ذكر وأنثى

الفداء الحادى عشر : فداء ابن ورقاء فى خلافة الراضى باللامس فى سلخ ذى القعدة وايام من ذى الحجة سنة ٣٢٦ والملكان على الروم قسطنطين وارمانوس

وكان القيم به ابن ورقاء الشيبانى من قبل الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وبشرى الثملى امير الثغور الشأمية

وكان عدة من فودى به من المسلمين فى ستة عشر يوما ستة آلاف وثلاثمائة ونيفا من ذكر وأنثى، وفضل فى أيدى الروم من المسلمين ثمانمائة رجل ردوا وفودى بهم على نهر البدندون فى مرار شتى ، وزيد فى الهدنة بعد انقضاء الفداء مدة ستة أشهر ، لأجل من تخلف فى ايدى الروم من المسلمين ، حتى جمع الأسارى لهم

الفـداء الثانى عشر : فداء ابن حمدان فى خلافة المطيع باللامس فى شهر ربيع الاول سنة ٣٣٥ والملك على الروم قسطنطين

وكان القيم به نصر الثملى أمير الثغور الشأمية من قبل أبى الحسن على بن عبد الله بن حمدان صاحب جند حمص وجند قنسرين وديار مضر وديار بكر والثغور الشأمية والجزرية

وكان عدة من فودى به من المسلمين ألفين وأربعمائة واثنين وثمـانين من ذكر وأنثى وفضل للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون ، لكثرة من كان فى أيديهم ، فوفاهم أبو الحسن ذلك وحمله اليهم

وكان الذى شرع فى هذا الفداء وابتدأ به الاخشيذ محمد بن طغج أمير مصر والشأم والثغور الشأمية ، وكان ابو عمير عدى بن احمد بن عبد الباقى الأذنى شيخ الثغر والمنظور اليه منهم قدم اليه الى دمشق فى ذى الحجة سنة ٣٣٤ ونحن يومئذ بها ومعه يوانس الانسيطوس البطريقوس المسدقوس المترهب ، رسول ملك الروم فى اتمام هذا الفداء ، وكان ذا رأى وفهم بأخبار ملوك اليونانيين والروم ، ومن كان فى أعصارهم من الفلاسفة ، وقد أشرف على شىء من آرائهم

والاخشيذ حينئذ شديد العلة فتوفى يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة من هذه السنة وسار ابو المسك كافور الاخشيذى بالجيش راجعا الى مصر ، وحمل معه أبا عمير والمسدقوس الى بلاد فلسطين ، فدفع اليهما ثلاثين ألف دينار من مال هذا الفداء ، وصارا الى مدينة صور فركبا فى البحر الى طرسوس فالى ماوصلا اليها * كاتب بشرى * الثملى أمير الثغور الشأمية أبا الحسن بن حمدان ودعا له على منابر الثغور الشأمية ، فجد فى إتمام هذا الفداء فعرف به ونسب اليه

*
* *

قال المسعودي وهذا آخر فداء كان بين المسلمين والروم الى وقتنا المؤرخ

به كتابنا ، وقد ذكرت أفدية غير هذه لم نجد لها حقيقة ؛ لااشتهر امرها ، ولا استفاض خبرها

منها فداء كان فى أيام المهدى على يد المعروف بالنقاش الأنطاكى ، ومنها فداء كان فى أيام الرشيد فى شوال سنة ١٨١ على يد عياض بن سنان أمير الثغور الشأمية ، وفداء كان على يد ثابت بن نصر فى أيام الأمين فى ذى القعدة سنة ١٩٤ ، وفداء كان فى أيام المأمون فى ذى القعدة سنة ٢٠١ على يد ثابت أيضا ، وفداء كان فى أيام المتوكل سنة ٢٤٧ على يد محمد بن على ، وفداء كان فى أيام المعتمد فى شهر رمضان سنة ٢٥٨ على يد شفيع ومحمد بن على

والصحيح منها والمعول عليه هو مارسمناه دون ماعداه، وقد ذكرنا فى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) وفى كتاب (الاستذكار ، لما جرى فى سالف الاعصار) شرح هذه الافدية ومن حضرها وكيفية وقوعها ومن ترسل فيها وتوسطها بين المسلمين والروم وشروطها ومقادير النفقات فيها وهدنها وما كان بين المسلمين والروم من المغازى فى البر والبحر من الصوائف والشواتى والربيعيات وماجرى بين الروم وبرجان والبرغر والترك وغيرهم من الوقائع المشهورة والحروب المذكورة ، وغير ذلك

فلنذكر الآن جامع تاريخ العالم والانبياء والملوك وما اتصل بذلك

ذكر تأريخ الأمم

والأنبياء والملوك ، وجامع تأريخ العالم من آدم الى نبينا صلى الله عليه وعلى آله ، وما اتصل بذلك

ليس أمة من الأمم من الشريعيين وغيرهم ممن سلف وخلف إلا ولها تأريخ ترجع اليه وتعول عليه فى أكثر أمورها ينقل ذلك خلف عن سلف وباق عن ماض إذ كان به تعرف الحوادث العظام ، والكوائن الجسام ، وما كان فى الأزمان الماضية ، والدهور الخالية ؛ ولولا ضبط ذلك وتقييده لانقطعت الأخبار ودرست الآثار وجهلت الأنساب ، ولذلك أخذ الاسكندر أهل مملكته بتقييد أيامه وحفظ تأريخه وسيره ؛ لكيلا يضيع ما بان من أمره وحمد من سعيه ، ولا يجهل كثرة من ناصب من الأعداء وقتل من الملوك ، ووطىء من البلاد ، وحوى من المملكة لعلمه بما يلحق كثيرا من الناس من التوانى عن نقل الأخبار وتقييد السير والآثار ؛ وإعراضهم عن ذلك إيثاراً للدعة وميلا الى التخفيف. واحتذى فعله أردشير بن بابك لما قتل ملوك الطوائف واستوسقت له الأمور ، وانقاد الناس الى طاعته ؛ قام بضبط سيرته وعهوده وأيامه وحروبه ، إلا أنه اطرح ما كان قبل ذلك وتناساه ، لكى يكون الذكر لأيامه وسيرته ، فضبط ذلك ضبطا شديدا الى يزدجرد بن شهريار آخر ملوكهم

فكانت الأمم السالفة والأجيال الخالية والقرون الماضية تؤرخ الكوائن العظام والأحداث الكبار عندها ، وتملك الملوك فمن أقر بالطوفان من الأمم كانوا يؤرخون به ثم أرخوا العام بتبلبل الألسن باقليم بابل

فاما المجوس فلانكارهم كون الطوفان المستولى على جميع الارض أرخوا بكيومرت

كاشاه معنى ذلك ملك الطين، وهو عندهم آدم أبو البشر واصل النسل واليه ترجع الفرس فى أنسابها على ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى آخر ملوك الفرس وطبقاتهم مجملا، وفى غيره من كتبنا مفسرا مشروحا ثم أرخوا بقتل داريوس الملك وظهور الاسكندر الملك، ثم ارخوا بظهور اردشير بن بابك وجمعه الملك واستيلاءه على ملوك الطوائف، ثم ارخوا بملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز بن هرمز بن خسرو أنوشروان بن قباذ الملك وهو آخر ملوكهم الى هذا الوقت وأول سنته يوم الثلاثاء

وكان سوالف اليونانيين والروم والنبط وهم السريانيون يؤرخون بملوك لهم متقدمين وكوائن واحداث، ثم أرخوا بسنى الاسكندر بن فيلبس، فاستقر تاريخهم على ذلك الى هذا الوقت

وقد تنوزع فى مبدأ تاريخ الاسكندر فمنهم من رأى أن ذلك من ابتداء ملكه ومنهم من رأى ذلك من أول السنة السابعة من ملكه حين خرج عن بلاد مقدونية الى ناحية المغرب وغيرها من بلاد الأفرنجية، ومنهم من رأى ذلك من غلبته على أقليم بابل وقتله دارا بن دارا ومنهم من رأى أن ذلك من وفاته

ومن آدم الى ملك الاسكندر خمسة آلاف سنة ومائة واحدى وثمانون سنة، وقيل خمسة آلاف سنة ومائتان وتسع وخمسون سنة، وبين الطوفان الى ملكه ألفان وتسعمائة وخمس وعشرون سنة، ومن فالغ بن عابر الى ملكه ألفان وثلاثمائة واربع وتسعون سنة، ومن ابراهيم الى ملكه ألف وثمانمائة وثلاث وخمسون سنة، ومن خروج بنى اسرائيل من مصر إلى ملكه ألف وثلاثمائة وست واربعون سنة، ومن ملك داود الى ملكه سبعمائة سنة واربعون سنة، ومن سبي بخت نصر لبنى اسرائيل الى ملكه مائتان وثلاث وستون سنة

وقد ذهب قوم الى أن من ابتداء ملك بخت نصر الى غلبة الإسكندر لدارا

اربعمائة سنة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وستة وخمسون يوما ، ومنهم من رأى أن ذلك مائتا سنة وتسع وثمانون سنة، ومن الاسكندر الى صلب ايشوع عند النصارى ثلاثمائة واثنتان واربعون سنة، ومن الاسكندر الى هذا الوقت الذى ألف أبو الحسن على بن الحسين المسعودى فيه الكتاب وهو سنة ٣٤٥ للهجرة ألف سنة ومائتا سنة وثمان وستون سنة

وكانت القبط بأرض مصر تؤرخ بأول السنة التى ملك فيها بخت نصر وأولها يوم الاربعاء، وقد ذكر ذلك ابطلميوس فى كتاب المجسطى فأما تاريخهم فى زيجه فمن أول سنى فيلبس ابى الاسكندر وأول سنته يوم الاحد وبين تاريخ فيلبس وتاريخ الاسكندر اثنتا عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرون يوما ، ثم ارخوا بملك دقلطيانوس الملك ، الملك القبطى لعظم ملكه ، واستقر تاريخهم على ذلك الى هذه الغاية

وبين تاريخ بخت نصر وتاريخ يزدجر ألف وثلاثمائة وتسع وسبعون سنة فارسية وثلاثة أشهر ، وبين تاريخ فيلبس وتاريخ يزدجر تسعمائة وخمس وخمسون سنة وثلاثة أشهر ، وبين تاريخ الاسكندر وتاريخ يزدجر تسعمائة واثنتان واربعون سنة من سنى الروم ومائتان وخمسون يوما ؛ وبين تاريخ الهجرة وتاريخ يزدجرد من الأيام ثلاثة آلاف يوم وستمائة وأربعة وعشرون يوما ، فاول هذه التواريخ تاريخ بخت نصر ، ثم تاريخ فيلبس ، ثم تاريخ الهجرة ، ثم تاريخ يزدجرد . كذلك ذكر محمد بن كثير الفرغانى فى كتاب الثلاثين فصلا الذى فيه ناكر جوامع المجسطى لأبطلميوس وغيره من أصحاب الزيجة فى النجوم والقوانين ؛ كالفزارى ، ويحيى بن أبى منصور ، والخوارزمى ؛ وحبش، وما شاء الله ، ومحمد بن خالد المروروذى، وابى معشر جعفر بن محمد البلخى ، وابن الفرخان الطبرى، والحسن بن الخصيب، ومحمد بن جابر البتانى، والنيريزى،

وغيرهم ممن تقدم وتأخر

وكان الاسرائليون يؤرخون بوفاة اسرائل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، ثم بخروجهم من أرض مصر مع موسى ، وكان دخول اسرائل الى مصر وولده الاسباط وأولادهم وهم سبعون نفسا حين قصدوا يوسف ، فكان مقامهم بمصر الى أن خرجوا عنها مع موسى الى التيه مائتى سنة وسبع عشرة سنة يتداولهم ملوك مصر، وأحصاهم موسى وهارون فى التيه : فكان من يصلح لحمل السلاح والقتال منهم من ابن عشرين سنة فصاعدا سوى سبط لاوى ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسة وخمسين نفسا ، وأحصى سبط لاوى بن يعقوب وهو ابن سبطها من ابن شهر الى فوق فكانوا اثنين وعشرين ألفا ومائتين وثلاثة وسبعين، فجميع بنى اسرائيل على ماأحصينا ستمائة وخمسة وعشرون ألفا وثمانمائة وثلاثة وعشرون الفا

وكانت وفاة موسى وهارون واختهما مريم بالتيه فى سنة واحدة لتمام أربعين سنة لهم فى التيه ، وهم لام واحدة اسمها أماحية ماتت أولا مريم اختهما فى ستة أيام من نيسان ولها مائة وسبع وعشرون سنة ومات هارون فى أول يوم من آب ودفن فى جبل هور وهو احد الأطوار الأربعة المقدم ذكرها وله مائة وثلاث وعشرون سنة ، ومات موسى فى سبعة أيام من أذار فى أرض موآب ودفن فى الوادى من أرض موآب* وله مائة وعشرون سنة وتولى الامر بعد موسى يوشع بن نون ، وحارب ملوك الشأم وغيرها واستولى على أكثر البلاد ، فأقام ست سنين ومات وله مائة وعشرون سنة، ودبر الامر بعده فينخاس بن إلعازر بن هارون وما كان كاهنا ، والاسرائليون يذكرون انه النبي الذى تسميه المسلمون الخضر ، والفرس تزعم أن الخضر هو أحد السبعة بنى منوشهر على ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ، ولأهل الشرائع وغيرهم من أصحاب

التأويل فى وقتنا هذا فيه كلام طويل يطول ذكره ، فكان من ابراهيم الى خروج بنى اسرائل من مصر خمسمائة وسبع وستون سنة ، ومن الطوفان الى خروجهم ثلاثة آلاف وثمانمائة وخمس وثلاثون سنة ، ثم ارخوا باخراب بخت نصر أورشلم وهى بيت المقدس وسبيهم الى بابل، وكان من ابتداء ملك بخت نصر الى ظهور الاسرائليين وسبيهم احدى وثلاثون سنة واربعة وثلاثون يوما ، ومن ملك داود الى سبي بابل أربعمائة سنة وسبع وسبعون سنة ، ومن خروج بنى اسرائيل من مصر الى سبيهم ألف وثلاث وثمانون سنة، ومن ابراهيم الى سبيهم ألف وخمسمائة وتسعون سنة ، ومن فالغ بن عابر الى سبيهم ألفان ومائة واحدى وثلاثون سنة، ومن الطوفان الى سبيهم ألفان وستمائة واثنتان وستون ومن آدم الى سبيهم اربعة آلاف وتسعمائة وثمانى عشرة سنة، وكان مقامهم ببابل سبعين سنة الى أن ردهم بهمن بن اسفنديار* بن كيشتاسب بن كيلهراسب الى أورشلم ، وامر بعمارتها والاسرائليون وكثير من الناس يسمونه كورش ، وغير ذلك من الكوائن التى كانت فيهم

وكذلك ارخت النصارى من مولد المسيح وغير ذلك من أحواله

وأما الهند والصين ومن وافقهم من الأمم ممن قال بقدم العالم وأزليته فيأبون كون الطوفان عم جميع الأرض وما ذكر من تبابل الألسن ، وتواريخهم موضوعة على سوالف ملوكهم وأحداث عظيمة كانت فى أيامهم يبعد علينا فى هذا الكتاب وصفها ، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا شرحها

وبأعالى الهند ومشارقها البيت المعروف ببيت الذهب بدء تاريخهم بعد ظهور البُدّ الاول فيهم وهو اثنا عشر ألف عام مضروبة فى ثلاثة وثلاثين ألف عام وهو البيت الذى دخله الاسكندر بن فيلبس الملك حين قتل فور ملكهم ، وكتب بخبره الى ارسطاطاليس وماشاهد منه من العجائب ، فأجابه أرسطاطاليس

بالرسالة المعروفة برسائل بيت الذهب التى أولها :

الى الاسكندر ملك ملوك الامم من عبده ارسطاطاليس ، أما بعد ، كتبت الى تذكر الذى أعجبك من بنيان بيت الذهب بالهند ، وماذكرت أنك رأيت فيه من العجائب والبنيان الشامخ المزخرف بانواع الجوهر ، وما يونق العين من الذهب الأحمر ، حتى قد بهر العيون منظره وسار فى الامم ذكره ، وقد كتبت اليك أيها الملك أصونك لمعرفتك بالأمور السابقة العليا والأرضية السفلى : ان يعجبك شىء صنعته الأيدى المنينة بالحكمة فى الأيام القصيرة ، ومدة الزمان اليسيرة ؛ ولكنى أرضى لك أيها الملك أن ترفع نظرك الى ما فوقك وتحتك وعن يمينك وعن شمالك من السماء والصخور والجبال والبحور ، ومافى ذلك من العجائب الغامضة والمصانع الظاهرة والبنيان الشامخ الذى لاينحته الحديد ولا يثلمه المجانيق ، ولا يعمله الاجساد المتخلخلة الضعيفة فى المدة المنقطعة ـ ثم مر فى إتمام الرسالة فى وصف الارضين والبحار والأفلاك والنجوم والآثار العلوية وغير ذلك مما يحدث فى الجو مما قد ذكرناه مع رسائل ارسطاطاليس الى الاسكندر فى السياسات الديانية والملوكية وغير ذلك فى كتاب (فنون المعارف ، وماجرى فى الدهور السوالف) وهذه الرسالة مستفيضة فى ايدى الناس

وكانت العرب قبل ظهور الاسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة ، فأما حمير وكهلان ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بأرض اليمن ، فانهم كانوا يؤرخون بملوكهم السالفة من التبابعة وغيرهم ، كملك تبع الأكبر وتبع الأصغر وتبع ذى الأذعار وتبع ذى المنار . وأرخوا بنار صوران وهى نار كانت تظهر ببعض الحرار من أقاصى بلاد اليمن أحدها حر والتى يقال إن الحبرين الذين قدم بهما تبع أبو كرب من المدينة إلى اليمن حاكما أهل اليمن إليها ، وكان ذلك سبب تهود كثير من أهل اليمن وذلك مشهور فى أخبارهم ، وأرخوا بعث شعيب بن مهدم وملك ذى

نواس وملك جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم الدوسى وملك آل أبى شمر من غسان بالشام ، وأرخوا بعام السيل وهو سيل العرم الذى ذكره الله عز وجل فى القرآن وخروج عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس ابن ثعلبة ابن مازن بن الازد من مأرب جماع غسان فى قومه من الازد وغيرهم من كهلان وحمير وتفرقهم فى البلاد ، ثم أرخوا بظهور الحبشة على اليمن ثم غلبت الفرس على اليمن ، وإزالة الحبشة إلى أن جاء الله بالاسلام

فأما تاريخ ولد معد بن عدنان فانهم كانوا يؤرخهم بغلبة جرهم العماليق وإخراجهم إياهم عن الحرم ، ثم أرخوا بهلاك جرهم فى الحرم . ثم أرخوا بعد ذلك بعام التفرق ، وهو العام الذى افترق فيه ولد نزار بن معد بن عدنان من ربيعة ومضر وإياد وانمار على ما فى ذلك من التنازع فى نسبة إياد وأنمار إلى نزار على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب، ثم أرخوا بعد ذلك بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين أحياء العرب وقبائلها التنازع والحروب فاستبدلوا الديار وتنقلوا فى المساكن

وأرخوا بحجة الغدر وكانت قبل الاسلام بنحو من مائة وخمسين سنة وكان سببها أن أوسا وحصبة بنى أزنم ين عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار خرجا فى عدة من قومهما حجاجا فلقوا بأنصاب الحرم أناسا من اليمن معهم كسوة للكعبة ومال للسدنة حمل ذلك بعض ملوكهم فقتلوهم وأخذوا ما كان معهم ودخلوا مكة فلما كان فى أيام منى فشا الخبر بالناس فوثب بهم وتحزب معهم قوم فانتهبت الناس بعضهم بعضا فسميت حجة الغدر

وأرخوا بالحرب بين ابنى وائل بكر وتغلب المعروفة بحرب البسوس وكان الذى هاجها قتل جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب

ابن غلى بن بكر بن وائل كليبا، وهو وائل بن ربيعة بن الحارث لقتل كليب ناقة يقال لها سراب لجار لخالة جساس وهى البسوس ابنة المنقذ التميمية ثم السعدية من قضاعة من بنى حرم

وأرخوا بحرب بنى بغيض بن ريث بن غطفان المعروفة بحرب داحس والغبراء، وذلك قبل البعث بنحو من ستين سنة

وبحرب الأوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة وهو العنقاء، وإنما سمى العنقاء لطول عنقه، ابن عمرو وهو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلوان بن مازن بن الأزد وهو درأ بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهما أخوان لأب ولأم نسبا إلى أمهما قيلة بنت جفنة بن عتبة بن عمرو، ونساب قضاعة يذكرون أنها قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة

وأرخوا بعام الخنان وهو شام شمل أكثر الناس فيه الخُنان قال النابغة الجعدى

فمن يك سائلا عنى فانى ... من الفتيان فى عام الخنان

وذهب أبو جعفر محمد بن حبيب فى آخرين إلى أنه سمى عام الخنان، أن بنى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوزان كانت لهم وقعة مع بعض العرب فلم يصل بعضهم إلى بعض من كثرة الحديد، فقال قائل « يابنى عامر خنوهم بالسيوف » فلقب ذلك عام الخنان

قال المسعودى : وكانت كل قبيلة من قبائل العرب تؤرخ بيوم من أيامها المشهورة فى حروبها فكانت بكر وتغلب ابنا وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار تؤرخ بعام التحالق من إلى حرب البسوس أيام حروبهم المنسوبات

وفزارة وعبس ابنا بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار يؤرخون بيوم الجبلة ، وهو اليوم الذى ظهرت فيه عبس على فزارة وقتل حذيفة وحمل ابنا بدر وغيرهما

وبنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان يؤرخون بيوم شعب جبلة ، وكان قبل الاسلام بنيف وأربعين سنة بين بنى عامر وأحلافها من عبس وبين من سار إليهم من تميم وعليهم حاجب ولقيط ابنا زرارة بن عدس بن زيد ابن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر ابن أد بن طابخة بن الياس ، وهو خندف بن مضر بن نزار ومن عاضدها من اليمن مع ابنى الجون الكنديين المالكيين وفى ذلك يقول جرير

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا وعمرو بن عمرو إذ دعا يال دارم

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا وشدات قيس يوم دير الجماجم

وإياد تؤرخ بخروجها عن تهامة وحروبها مع فارس الحرب المعروفة بوقعة دير الجماجم ، وبتلك الوقعة سمى الدير لكثرة الجماجم على السواد ، وذلك فى ملك سابور بن سابور ذى الاكتاف ملك فارس ، وفى ذلك يقول الشاعر ، شاعر اياد

على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب إياد حولها الخيل والنعم

وقد ذكر ذلك أبو دواد الايادى فقال

ألا أبلغ خزاعة أهل مر وإخوتهم كنانة عن إياد

تركنا دارهم لما ثرونا وكنا أهلها من عهد عاد

وأسهلنا وسهل الارض يخشى بجرد الخيل مشنقة* القياد

فنازعنا بنى الاحرار حتى علفنا الخيل من خضر السواد

ثم أرخوا بخروجهم عن العراق إلى الجزيرة حين أوقع بهم سابور، وكان لقيط الايادى كتب إليهم وهو فى حبس الملك ينذرهم ويحذرهم بقصيدته التي أولها : —

يادار عمرة من تذكارها الجزعا هيجت لى الهم والأحزان والوجعا
ألا تخافون قوما لا أبا لكم أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا
أحرار فارس أبناء الملوك لهم من الجموع جموع تلقط السلما

ولذلك قال مرة بن محكان السعدى حين وجه معاوية عامر بن الحضرمى إلى البصرة فنزل فى تميم يدعوهم إلى أخذ البصرة والوثوب بزياد خليفة عبد الله بن عباس على البصرة وقد سار ابن عباس إلى على عليه السلام بالكوفة فقال مرة مخوفا لقومه زاجراً لهم :

قلت والليل مطبق بغراه أرقب النجم لاأحس رقادا
إن حيا يرى الصلاح فسادا ويرى الغي فى الامور رشادا
لقريب من الهلاك كما أهـ لك سابور بالعراق إيادا

فى كلمة طويلة ثم أرخوا بعام الانتقال من ديارهم إلى بلد الروم وآخر من دخل منهم إلى هناك من أرض الجزيرة والموصل فى خلافة عمر بن الخطاب نحو من أربعين ألفا كانوا على النصرانية وأنفوا من الجزية حين أخذوا بها

وتميم تؤرخ بعام الكلاب وهى الحرب التى كانت بين ربيعة وتميم

وأسد وخزيمة تؤرخ بعام مأقط الذى قتلوا فيه الملك حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار الكندى أبا امرىء القيس وفى ذلك يقول امرؤ القيس حين بلغه قتله

أرقت لبرق بليل أهل يلوح سناه بأعلى الجبل
بنو أسد قتلوا ربهم ألا كل شىء سواه جلل

والأوس والخزرج ابنا حارثة تؤرخ بعام الآطام لما تحاربوا على الآطام وهى الحصون والقصور وذهب الأصمعى فى آخرين من أهل اللغة إلى أنها الدور المسطحة السقوف ، وكانت الأوس والخزرج تتمنع بها فأخربت فى أيام عثمان بن عفان

ورسومها باقية إلى وقتنا هذا . قال قيس بن الخطيم بن عدى بن عمرو بن سواد ابن ظفر الأوسى يذكر الآطام فى قصيدته التى يذكر فيها يوم بعاث وهو أحد الأيام المشهورة بين الأوس والخزرج أولها :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وَحشا غيرَ موقف راكب

وقال

فلولاَ ذَرَى الآطام قد تعلمونه وترك الفضا شوركتم فى الكواعب

وطىء وحليمة واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان تؤرخ بعام الفساد وهى الحرب التى كانت بين الغوث بن طىء وجديلة بن سعد بن فطرة بن طيء بجبلى طىء أجأ وسلمى وما يلى ذلك من السهل ، دامت هذه الحرب بينهم ثلاثين ومائة سنة وفيها ولد - فيما ذكر الهيثم بن عدى الطائى - حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن ابى اخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طىء ، واوس بن حارثة بن لأم بن طريف من بنى مازن ابن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طىء ، وزيد الخيل بن مهلهل بن زيد ابن منهب بن عبد رضا بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن عدى بن مالك بن نابل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء ، وقد ذكرنا حاتما وكان اعتزل حربهم حين تطاولت ولحق ببنى بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة فنزل عليهم وقال يمدحهم

ان كنت كارهة لعيشتنا هاتى فحلى فى بنى بدر

جاورتهم زمن الفساد فنعـ ـم الحى فى السراء والضر

وفى تلك الحروب تفرق السلميون من طىء فلحقوا بحاضر قنسرين من أعمال حلب الى هذا الوقت وخالطوا الاسباط وغيرهم وتزوجوا فيهم ، ومن لزم جبلى

طيء أجأ وسلمى يقال لهم الأجئيون

ولم يزل من وصفنا من قبائل العرب يؤرخون بالأمور المشهورة من موت رؤسائهم ووقائع وحروب كانت بينهم الى أن جاء الله بالاسلام فأجمع المسلمون على التأريخ من الهجرة على مانحن ذاكروه فيما يرد من هذا الكتاب فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وقد ذهب قوم من أصحاب السير والآثار الى أن آدم لما هبط من الجنة وانتشر ولده أرخ بنوه من هبوطه ، فكان ذلك هو التاريخ حتى بعث الله نوحا فأرخوا من مبعثه حتى كان الطوفان فكان التاريخ منه الى نار ابراهيم ، فلما كثر ولد ابراهيم افترقوا فأرخ بنو اسحاق من نار ابراهيم الى يوسف ، ومن يوسف الى مبعث موسى ومن مبعث موسى الى ملك داود وسليمان ، وما كان بعد ذلك من الكوائن والأحداث

وارخ بنو اسماعيل من بناء البيت حين بناه ابراهيم واسماعيل فلم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقت معد ، وكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم ؛ ومن بقى بتهامة من بنى اسماعيل يؤرخون بخروج آخر من خرج منها من قضاعة وهم سعد ونهد وجهينة بنو زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة حتى مات كعب بن لؤى فأرخوا من موته الى الفيل ، ومنهم من كان يؤرخ بيوم الفجار بين قريش وسائر كنانة بن لؤى ؛ وبين قيس ابن عيلان لما قتل البراض بن قيس بن رافع الضمرى ضمرة بكر بن عبد مناة بن كنانة عروة الرحال بن جعفر بن كلاب واحتوى على اللطيمة التى كانت معه للنعمان بن المنذر ، فاقتتلت قيس وكنانة قتالا شديداً فكان الظفر لكنانة على قيس

وحضر هذا الفجار رسول الله صلى الله عليه وسلم وله عشرون سنة ، وانما

سمى الفجار لأنهم تفاجروا فيها واقتتلوا فى الأشهر الحرم وهو من أيام العرب المذكورة ، وفى ذلك يقول خِداش بن زهير العامرى

فلا توعدني بالفجار فإنه أحل ببطحاء الحجون المحارما

وقال فى ذلك أبو اسماء الضريبة النصرى نصر بن سعد بن بكر بن هوازن

نحن كنا الملوك من أهل نجد وحماة الذمار عند الدمار

ومنعنا الحجاز فى كل حى فمنعنا الفجار يوم الفجار

والفجار أربعة الأول يعرف بفجار الرجل وهو بدر بن معشر الضمرى والثانى الفجار المعروف بالرباح وهو القِرْد ، الثالث فجار المرأة القيسية ، والرابع فجار البراض وهو أعظمها

ومنهم من كان يؤرخ بحلف الفضول ، وكان بعد منصرفهم* من الفجار لأجل رجل من بنى زبيد وجماع بنى زبيد منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان باع سلمة له من العاص بن وائل السهمى فدافعه بالثمن وعازّه فلما آيس علا على أبى قبيس فنادى

يالالرجال لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائى الحى والنفر

إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوبى لابس الغَدَر

فاجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب ابنى عبد مناف وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر فتحالفوا فى دار عبد الله بن جدعان التيمى ليكونن مع المظلوم حتى ينصف ، فسمته قريش حلف الفضول ؛ وفى ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب بن هاشم

حلفت لنعقدن حلفا علينا وإن كنا جميعا أهل دار

نسميه الفضول إذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار

ويعلم من حوالى البيت أنا أباة الضيم نهجر كل عار

قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد مهاجرته إلى المدينة « لقد شهدت حلفاً فى دار عبد الله بن جدعان لو دعيت إلى مثله لأجبت وما زاده الاسلام إلا تشديدا »

فأما حلف المطيبين فهو قبل حلف الفضول وكان سببه فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب مناقب قريش وفضائلها أن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى كان جعل إلى ابنه عبد الدار الحجابة ودار الندوة واللواء وجعل إلى ابنه عبد مناف السقاية والرفادة فلما كثرت بنو عبد مناف فى الجاهلية قالوا نحن أحق باللواء والحجابة والندوة من بنى عبد الدار، فتفرقت عند ذلك قريش وعبد الله بن جدعان التيمي حى، وقال بعضهم والله لا يرد أمر قصى فنصرت بنو مخزوم وجمح وسهم وعدى بنى عبد الدار وتحالفوا عند الكعبة فسموا الأحلاف فلما رأت ذلك بنو عبد مناف حالفوا بنى أسد بن عبد العزى وبنى زهرة بن كلاب وبنى تيم بن مرة وبنى الحارث بن فهر فتحالفوا فى دار عبد الله بن جدعان وجاءهم عبد الله بآنية فيها طيب فغمسوا أيديهم فيها، ويقال أخرج إليهم الطيب إحدى بنات عبد المطلب، ويقال إنهم وضعوا الطيب فى المسجد وغمسوا أيديهم فيه ثم مسحوا الكعبة، وتحالفوا أن لا يسلم بعضهم بعضا فسموا المطيبين فحصلت خمس قبائل بازاء خمس، فسموا أولئك الأحلاف، وهؤلاء المطيبين . قال عمر بن أبى ربيعة المخزومى، ويقال عبيد الله بن قيس الرقيات يذكر المطيبين والاحلاف

ولها فى المطيبين جدود ثم نالت ذوائب الاحلاف
إنها بين عامر بن لؤى حين تدعى وبين عبد مناف

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش تؤرخ بموت هشام بن المغيرة المخزومى والفيل

وقد ذكر للابراهيميين تواريخ كثيرة منها التاريخ بوفاة إبراهيم ثم بوفاة إسحاق

وفى الاسماعيليين من كان يؤرخ بوفاة إسماعيل وغير ذلك مما قدمنا فيما سلف من كتبنا شرحه

فكان من آدم إلى الطوفان فيما ذكر أهل الكتب ألفان ومائتان واثنتان وأربعون سنة ، ومن الطوفان إلى تبلبل الألسن بأرض بابل ستمائة وسبعون سنة ، ومن تبلبل الألسن إلى ولادة إبراهيم أربعمائة وإحدى عشرة سنة، ومن ولادة إبراهيم إلى وفاة موسى عليه السلام خمسمائة وخمس وأربعون سنة ، ومن وفاة موسى إلى ابتداء ملك بخت نصر تسعمائة وثمان وسبعون سنة ومائتان وستة وأربعون يوما ، ومن ابتداء ملكه إلى أن ظهر على بنى إسرائيل فسباهم إلى بابل إحدى وثلاثون سنة وأربعة وثلاثون يوما، فمن وفاة موسى إلى سبي بخت نصر لبنى إسرائل ألف سنة وتسع سنين واثنان وثلاثون يوما، ومن سبي بخت نصر لبنى إسرائيل إلى ولادة المسيح عليه السلام تسعمائة سنة وثمان سنين وسبعة وثلاثون يوما ، ومن ولادة المسيح إلى هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وأحد وستون يوما، فذلك سبعة آلاف سنة وثلاثمائة وثلاث وعشرون سنة وأحد عشر شهرا وعشرة أيام

وذهب آخرون من أصحاب التواريخ إلى أن من آدم إلى ابتداء ملك بخت نصر أربعة آلاف وثمانمائة سنة وأربعين سنة ومائتين وثمانية وأربعين يوما بالسنين الفارسية التى هى ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع ومن ابتداء ملك بخت نصر الى غلبة الاسكندر لدارا بن دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وتسعة وعشرون يوما ، ومن غلبة الاسكندر إلى قيام أردشير بن بابك خمسمائة سنة وإحدى عشرة سنة ومائتان وستة وستون يوما، وهذه هي مدة ملوك الطوائف عند هؤلاء ومن قيام أردشير إلى ابتداء تاريخ يزدجرد أربعمائة وسبع وثلاثون سنة وثمانية وعشرون يوما . فمن آدم عليه السلام إلى ابتداء ملك يزدجرد ستة آلاف سنة

ومائتان وخمس وعشرون سنة وثلاثمائة وثمانية وثلاثون يوما الباقى إلى تمام سبعة آلاف سنة للعالم سبعمائة سنة وأربع وسبعون سنة وستة وعشرون يوما

وجملة السنين من هبوط آدم عليه السلام من الجنة إلى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم على ما توجبه التوراة التى نقلها ، لأبطليموس الملك إلى اللغة اليونانية ، اثنان وسبعون حبرا من أحبار اليهود بالاسكندرية من أرض مصر ، وأجمعوا على صحتها على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ، فى أخبار ملوك اليونانيين ستة آلاف سنة ومائتان وست عشرة سنة

وبين هذه السنين وما يوجبه حساب التوراة العبرانية تفاوت كثير وكذلك نسخة التوراة التى بأيدى السامرة ، وهم الكوشان والدوستان من اليهود بأرض فلسطين والأردن بينها وبين هاتين أيضا تفاوت بعيد ، وقد ذكر عدة من مستأخرى أصحاب السير والتواريخ ؛ أن من آدم الى نوح ألف سنة ومائتى سنة ، ومن نوح الى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة وثلاثا وأربعين سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمساً وسبعين سنة ؛ ومن موسى إلى داود خمسمائة سنة وتسعاً وسبعين سنة ، ومن وفاة موسى إلى ملك الاسكندر ألف سنة وأربعمائة سنة وسبع سنين، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاثا وخمسين سنة ، ومن عيسى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة

قال المسعودى : وفيما ذكرنا تنازع كثير بين الأسلاف والأخلاف من الأمم ومن عنى بتواريخ الأنبياء والملوك ، قد أتينا على جميع ماقيل فى ذلك فى كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وفى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) وفى كتاب (الاستذكار ، لما جرى فى سالف الأعصار) وغيره ، وإنما نذكر فى هذا المختصر لمعاً وجوامع استذكاراً لما تقدم من كتبنا فلنذكر سنى الأمم الشمسية والقمرية وشهورها وكبسها ونسيئها ، لاتصال

ذلك بما ذكرناه والحاجة الداعية إلى معرفته

ذكر جمل من الكلام

فى سنى الأمم وشهورها وكبسها ونسيئها وما اتصل بذلك

جميع ما تؤرخ به الأمم من السنين شمسية على ذلك عمل سائرهم من السريانيين والفرس واليونانيين والروم والقبط والهند والصين ، إلا العرب والاسرائليين

ومقدار سنتهم الشمسية من الزمان ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ، وعلى التحقيق وجزء من ثلاثمائة جزء من يوم ، ومراعاتهم فى ذلك ابتداء سير الشمس من نقطة الاعتدال الربيعى إلى عودها إليها ، وهم مجمعون على أن شهور سنتهم اثنا عشر شهراً ، وإن كانت عدتها مختلفة ولذلك احتاجوا إلى كبس أيام لتتمة مدة السنة

فشهور اليونانيين والروم التى غاب عليها تسمية السريانيين إياها لموافقتهم إياهم عليها ، أولها تشرين الأول وهو أحد وثلاثون يوما ، تشرين الثانى ثلاثون يوما ، كانون الأول أحد وثلاثون يوما ، وليلة خمس وعشرين منه ليلة الميلاد ، كانون الثانى أحد وثلاثون يوما ، شباط ثمانيـة وعشرون يوما وربع ، يعد ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرون يوما وفى السنة الرابعة تجبر الكسور فيعد تسعة وعشرون يوما ، فتسمى تلك السنة كبيسة بسبب زيادة ذلك اليوم ، أذار أحد وثلاثون يوما ، نيسان ثلاثون يوما ، أيار أحد وثلاثون يوما ، حزيران ثلاثون يوما ، تموز أحد وثلاثون يوما ، آب أحد وثلاثون يوما ، أيلول ثلاثون يوما ، فلذلك ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم

فأما شهور الفرس فأولها فرودين ماه أول يوم منه النوروز معنى ذلك بالفارسية اليوم الجديد ، لأن الجديد فى لغتهم « نو » واليوم « روز » وهو أعظم الأعياد عندهم ، أردبهشت ماه ، خردادماه ، تيرماه ، مردادماه ، شهريرماه ، مهر ماه يوم السادس عشر منه المهرجان وبينه وبين النوروز ستة أشهر و نصف تكون أياما مائة وخمسة وتسعين يوما ، آبان ماه يوم السادس والعشرين منه تدخل الأيام العشرة المعروفة بالفرودجان منها تمام آبان ماه وخمسة كبيسة لا تعد من الشهور تسمى الاندرجاهان ، آذرماه أول يوم منه ركوب الكوسج بالعراق وغيرها من أرض فارس وذلك من رسوم الفرس فى أيام ملوكها ، ديماه ، بهمن ماه ، اسفندارمذماه ،

عدد كل شهر منها ثلاثون يوما وهى هرمز ، بهمن ، أرديهشت ، شهرير ، اسفندارمذ ، خرداد ، مرداد ، ديباذر ، آذر ، آبان ، خور ، ماه ، تير ، جوش ، ديبمهر ، مهر ، أسروش ، رشن ، فروردين ، بهرام ، رام ، باد ، ديبدين ، دين ، أرد ، أشتاد ، أسمان ، زامياد ، مارسفند ، أنيران ، وليس يتكرر كتكرار أيام الجمعة للعرب فتصير جملتها مع الخمسة أيام الغير معدودة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما ،

وكانوا يؤرخون ربع اليوم الذى يجب لتمام السنة إلى مائة وعشرين سنة فيكبسون حينئذ شهرا

وإنما امتنعوا من كبس يوم فى أربع سنين لأمور ذكروها منها اعتقادهم فى أيام شهورهم أنها أسماء ملائكة وكراهيتهم أن يزيدوا فيها ماليس منها وغير ذلك من الوجوه مما تقدم شرحها فيما ذكرنا من كتبنا ، ولما زال ملكهم وفنيت ملتهم ، وذهب من كان يكبس ذلك ربع اليوم من ملوكهم انتقلت أيامهم فدار نورزهم فى مدة مائتين وخمسين سنة إلى أيام المعتضد نحوا من شهرين وتقدم لذلك استفتاح الخراج عن الوقت الذى يحصل فيه غلال الناس

فرده المعتضد في سنة ٢٨٢ للهجرة نحوا من مدة شهرين وقرره على الشهور السريانية لئلا يعود دورانه إذ كانت محفوظة بالكبس لا يتغير أوقاتها فجعله في اليوم الحادي عشر من حزيران ، ونسب إليه فقيل النوروز المعتضدي ، وبقي النوروز الفارسي يدور في سائر الفصول الأربعة فيتقدم في كل مائة وعشرين سنة شهرا ، وإنما كان موقعه في أول الفصل الصيفي ، والمهرجان في أول الفصل الشتوي

فأما القبط فيوافقون الفرس في عدد أيام شهورهم وهي ثلاثون يوما ، أول شهورهم توت أول يوم منه النوروز القبطي بأرض مصر ، بابه ، هتور ، كيهك ، طوبه ، أمشير ، برمهات ، برموده ، بشنس ، بؤونه ، أبيب ، مسرى ؛ وفي آخر مسرى تكبس الخمسة أيام المسماة بالقبطية «ابغمنا» وتعرف باللواحق يعملون ذلك ثلاث سنين متواليات فاذا كانت السنة الرابعة جعلوا الكبيسة ستة أيام لتنجبر الأرباع من اليوم الواجبة لكل سنة فتحصل أيام سنيهم على الحقيقة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم

فأما العرب فانها تراعي رؤية الأهلة فتجعل حساب سنتها عليها وشهورهم شهر ثلاثون يوما ، وشهر تسعة وعشرون يوما ، فيكون ستة أشهر من السنة تامة وستة ناقصة وأيام سنتهم ثلاثمائة واربعة وخمسون يوما بالحساب المطلق وهو الجليل فأما على التحصيل والتدقيق فان عدد هذه الايام للسنة تزيد في كل ثلاثين سنة احد عشر يوما تكون حصة السنة الواحدة من ذلك خمسا وسدس يوم فتكون أيام السنة بالحقيقة ثلاثمائة واربعة وخمسين يوما وخمسا وسدس يوم

والسنة التي ينجبر فيها هذا الكسر تكون شهورها سبعة تامة وخمسة ناقصة وهذا العدد لأيام الشهور هو بالحساب المصحح من اجتماع الشمس والقمر بسيرهما الاوسط فأما برؤية الاهلة فانه يختلف بزيادة ونقصان فيمكن أن تكون شهور متوالية تامة وشهور متوالية ناقصة ، ولا يكاد يتفق في كل وقت أن يكون

أول الحساب بالشهور والرؤية يوما واحدا الا انهما يتساويان على مرور الزمان
وايام العرب التى تعد بها من غروب الشمس وهي الأيام السبعة التى أولها الأحد ابتداؤه من غروب الشمس من يوم السبت وآخره غروبها فى يوم الأحد وكذلك سائر الايام ، وانما جعلوا ابتداء كل يوم بليلته من وقت غروب الشمس لأجل انها تعد أيام الشهر من وقت رؤية الهلال ورؤية الهلال تكون عند غروب الشمس فأما من مميناً من الامم ممن لايراعى فى الشهور رؤية الاهلة فان النهار عندهم قبل الليل وابتداء كل يوم بلياته من وقت طلوع الشمس الى وقت طلوعها من الغد

قال المسعودى : وقد كان العرب فى الجاهلية تنسىء لأجل اختلاف الزمان والمواقيت وما بين السنة الشمسية والقمرية وفيه أنزل « انما النسيء زيادة فى الكفر » وكان المتولون لذلك النسأة من بنى الحارث بن كنانة بن مالك ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، أولهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية وكان يعرف بالقلمس وبه سمى من بعده من النسأة فقيل القلامس وكانوا ينسئون فى كل ثلاث سنين شهرا يسقطونه من السنة ويسمون الشهر الذى يليه باسمه ، ويجعلون يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر الثامن والتاسع والعاشر من ذلك الشهر ، فيكون ذلك دائرا فى سائر شهور السنة موجبا ، وكانوا بذلك مقاربين لغيرهم من الأمم فى مدة زمان سنتهم الشمسية . فلم يزالوا على ذلك الى أن ظهر الاسلام وفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فوجه أبا بكر فى السنة التاسعة من الهجرة على الموسم فحج بالناس وهي آخر حجة حجها المشركون وكان الحج فى تلك السنة اليوم العاشر من ذى القعدة ونزلت آيات من سورة براءة فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع على بن أبى طالب عليه السلام وأمره بقراءتها على الناس بمنى ، وكانت الاشهر التى قال « فسيحوا فى الأرض أربعة

أشهر » عشرين يوما من ذى القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر وعشرة ايام من شهر ربيع الاول ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام بأداء أربع كلمات :

«أن لا يحجن بعدهذا العام* مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنـة الا مسلم ، ومن كانت بينة وبين رسول الله صـلى الله عليه وسـلم مدة فأجله إلى مدته »

فلما كان من قابل حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى الحجة وهي حجة الوداع ، وخطب الناس ، فقال

« ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ذوالقعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان »

هذه حكاية لفظه عليه السلام ، ولو عد عاد هذه الأشهر ، فبدأ بالمحرم ثم رجب وذى القعدة وذى الحجة لـكان ذلك جائزاً ، وإنما ذكرنا هذا لأن فى الناس من يجعلها من سنتين ، والنبي صلى الله عليه وسلم انما قال منها ، فدل على أنها من سنة واحدة

فأما الاسرائليون : فالاشمعث منهم ، وهم الجمهور الاعظم يراعون رؤية الأهلة ، وعدد الأشهر . وحصر أيامها ويسمون ذلك العِبُّور .

ورأيت الأقباط بأرض مصر يسمونه الأفقطى ، ومراعاتهم ذلك لأجل عيد الفصح . ثم تنازعوا بعد ذلك فقال فريق من العنانية ، أصحاب عَنان بن نبادود ، وكان من رؤساء الجوالى بأرض العراق ، والقرائية ، أنهم لا يوقعون الفصح حتى يتـكامل ادراك السنبل ويسمونه أبيب ، ومنهم من يقول بالفصح عند ادراك البعض منه ولا يراعى الـكل

قال المسعودى : وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا تنازع من ذكرنا من الأمم فى السنين الشمسية والقمرية وشهورها . وكيفية كبس الأمم ونسيئها ، والعلة فى ذلك على الشرح والايضاح ، والخلاف بين أبرخس ومتبعيه وابطلميوس القلوذى فى أرصادها ، وطلبهما مقدار سنة الشمس

وما ذهب اليه أبرخس من أن ذلك يعلم بوجهين ، أحدهما مقارنة الشمس للكواكب الثابتة التى عودتها اليها ، فان مدة ذلك من الزمان ثلاثمائة وخمسة وستون يوما ، وأقل من ربع يوم .

وما ذهب اليه ابطلميوس من أن الغرض والغاية فى علم زمان سنة الشمس حركتها وابتداؤها من نقطة الفلك الخارج المائل حتى يعود الى تلك النقطة وأن مدة ذلك من الزمان ثلاثمائة وخمسة وستون يوما ، وربع يوم إلا جزءا من ثلاثمائة جزء من يوم على ماقلنا ، وعليه العمل الأعم فى وقتنا هذا .

ومقدار المدة بين رصد ابرخس ورصد ابطلميوس بمدينة الاسكندرية من بلاد مصر ، وما بين رصد أبطلميوس ورصد المأمون بالشماسية من بلاد دمشق من أرض الشأم فى سنة ٢١٧ للهجرة وأول يوم من فروردين ماه سنة ٢٠١ ليزدجرد وعليه حمل الزيج الممتحن .

وما ذهبت اليه الهند فى مدة أيام الدنيا ، وتنازعهم فى عدتها ، وأن الأصل فى ذلك عدة أيام السندهند تفسير ذلك دهر الدهور ، وهو الكتاب الجامع لعلم الافلاك والنجوم والحساب وغير ذلك من أمر العالم ، وعنه ناضل ابطلميوس وشابهه* بأرصاد ابرخس وارصاده

وكيف عملت الهند كتاب الارجبهز من كتاب السند هند « الارجبهز » جزء من ألف جزء من السند هند ، وكتاب الأركند من كتاب الأرجبهز وأن الله عز وجل بلطيف حكمته وعظيم قدرته خلق الكواكب على قدر

أوجاتها ، وجوزهراتها فى أول دقيقة من الحمل ، ثم سيرها جميعا فتحركت جملة واحدة فى طرفة عين على سيرها المعلوم ، فكانت حركتها أول يوم من الدنيا ، ولا تزال تسبح فى دور الفلك فاذا اجتمعت فى* موضع منه أثرت فى العالم تأثيرا عظيما مذكرا* بدبور واحتراق وغير ذلك ، وكثيرا مالا تجتمع كلها ، وان اجتمعت كلها لم تجتمع معها الأوجات والجوزهرات فلا تزال على ذلك طول أيام السندهند حتى تنتهى بجميع أوجاتها وجوزهراتها الى الموضع الذى فيه خلقت بهيئتها الاولى ، وذلك انقضاء الدنيا عندهم ، فان جميع أيام السندهند مذ أول مادارت الكواكب الى أن تجتمع جميعها من السنين أربعة آلاف ألف ألف وثلاثمائة ألف ألف وعشرون ألف ألف سنة شمسية على مدار الشمس ، السنة منها ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وخمس ساعة وجزء من اربعمائة جزء من ساعة

وما فى بيت الذهب بأعالى ارض الهند ومشارقها ، وهو الذى دخله الاسكندر الملك من حساب ظهور البُد الاول بأرضهم ، وتاريخه أن ذلك اثنا عشر ألف ألف عام مضروبة فى ستة وثلاثين ألف عام على ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب

وتنازع حكماء الأمم من الفلكية وغيرهم فى أوج الشمس وهو أعلى موضع فى فلكها وجوزهرها من تحتها مقابل له ، وكذلك كل كوكب من السبعة وعند كثير منهم فى هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥ للهجرة أنه فى ست درج ونصف من الجوزاء أيضا على ماذكرنا من الدرج فيها ، وعلى مذهب السند هند فى سبع عشرة درجة وخمس وخمسين دقيقة ، وأربع عشرة ثانية من الجوزاء

كذلك ذكر فى زيج محمد بن موسى الخوارزمى ، وزيج حبش بن عبدالله السند هند ، لأن لحبش ثلاثة زيجات المشهور عند الناس زيج الممتحن والثانى

السندهند ، ولم يخالف الخوارزمي فيه الا بدقائق ، والثالث الشاه ، فاذا قيل زيج حبش مطلقاً فانما يراد به الممتحن

والذى حكاه عن ابطلميوس فهو قانون ثاون ، وثاون عن المجسطى أخذ وذكر أصحاب زيج الشاه أنه فى عشرين درجة من الجوزاء ، وذكر أصحاب زيج الممتحن أنه كان فى السنة التى قبس فيها وهي، سنة ٢١٧ ، على ماقدمنا فى هذا الباب فى اثنتين وعشرين درجة وتسع وثلاثين دقيقة من الجوزاء

وذهب ما شاء الله المنجم إلى أن أوج الشمس هو عضادة عدل الله بها الفلك ، وهذا أحد ماعُنت به ، وماذهب إليه الهند وغيرها من أن الأوج يتحرك فى كل مائة سنة درجة واحدة ، فيكون مقامه فى كل برج ثلاثة آلاف سنة وقطعه الفلك فى ستة وثلاثين ألف سنة

وكيفية تنقله ودورانه إذا انتقل عن البروج الشمالية إلى الجنوبية انتقلت العمارة فصار الشمال جنوبا والجنوب شمالا والعامر غامرا والغامر عامرا .

وأنه لا خلاف بين حكماء الهند والكلدانيين والمصريين واليونانيين والروم وغيرهم ، وبين منجمى عصرنا وفلكية وقتنا أنه فى برج الجوزاء ، وإنما التنازع بينهم فى ثباته وتنقله على ما ذكرنا

ولثابت بن قرة الصابىء الحرانى رسالة فى نصرة رأى أبرخس على أن لا أوج الشمس حركة مخالفا لقول ابطلميوس ، وقد امتحن هذه الرسالة عدة من أهل الهندسة فوجدوا الأوج فى أربع وعشرين درجة ودقائق كثيرة تكون من أول الحمل أربعاً وستين درجة ودقائق كثيرة .

وهذا خلاف لما ذكر أصحاب رصد الممتحن ؛ لأنهم أجمعوا ــ إلا محمد بن جابر البتانى الحرانى ــ على أن بعد الأوج من رأس الحمل اثنتان وثمانون درجة وتسع وأربعون دقيقة

وذكرنا ماذهب إليه هؤلاء من أن السبب فى كسوف القمر أن ضوءه إنما هو شىء يقبله من الشمس ؛ فمتى تهيأ أن يكون ظل الأرض فيما بين الشمس والقمر فستره أو ستر بعضه انكسف أو انكسف بعضه على قدر مايستر منه

وأن السبب فى كسوف الشمس أن القمر يستر الشمس عنا ولذلك صار كسوف القمر إنما يعرض فى وقت مقابلته للشمس ، وكسوف الشمس إنما يعرض فى وقت الاجتماع ، وأن أقل مايكون بين الكسوفين الشمسية والقمرية جميعا ستة أشهر قمرية وذلك على الأمر الأوسط ، وأنه قدّ يمكن أن يكون بين كسوفين شمسيتين أو قمريتين خمسة أشهر ، وذلك عند اتفاق شهور عظمى . ويمكن أن يكون بين كسوفين ستة أشهر ، وذلك عند اتفاق شهور صغرى . وأنه لايمكن أن تنكسف الشمس فى شهر واحد مرتين فى موضع واحد ولا فى موضعين مختلفين من الأقاليم الشمالية أبداً ، وقد يمكن ذلك فى موضعين مختلفين عن خط الاستواء أحدهما فى الأقاليم الشمالية والآخر فى الناحية الجنوبية

وما ذهبوا إليه من أنه إذا كان الصيف فى ناحية الشمال كان الشتاء فى ناحية الجنوب ؛ وإذا كان الصيف فى ناحية الجنوب كان الشتاء فى ناحية الشمال، ولأجل ذلك صار نيل مصر زائدا فى الشهور الصيفية لترادف الشتاء والأنداء بسائر أرض الأحابش من النوبة والزغاوة والزنج الى جبل القمر الذى وراء خط الاستواء ومبدأ منبع عيون النيل منه ؛ ومصب السيول إليه على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار والأنهار الكبار .

وكذلك الشتاء بأرض الهند سبيله سبيل شتاء أرض الأحابش واليمن على ماشاهدناه بأرض انلار الكبيرة من أرض الهند وغيرها مما ذكرنا من البلاد وذلك فى سنتى ٣٠٣ و ٣٠٤ ويسمى هناك اليسارة .

والعلة فى ذلك عند من ذكرنا كون الشمس وتنقلها فى البروج من الشمال

الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال اذا قربت من موضع كان الصيف، واذا بعدت عنه كان الشتاء، وأنه اذا كان فى مكان نهار كان فى ضده ليل، واذا كان فى موضع ليل كان فى ضده نهار، وأن نصف الارض ابدا نهار ونصفها أبدا ليل ، والشمس حيث كانت من جميع نواحى الارض الاربع فانها انما تضىء على نصف الارض سواء ربع أمامها وربع خلفها وربع عن يمينها وربع عن شمالها ، وذلك تمام نصف الارض والنصف الآخر ستره أن تضىء فيه كثافة الأرض وتدويرها فيكون فى ذلك النصف الذى لاتضىء فيه الليل لأن الليل ظل الارض اذا ستر بعضها عن بعض ضوء الشمس ، فحيثما كانت الشمس فهناك النهار ، وحيث لا ترى فهناك الليل .

وماذهبوا إليه من أن أقواما يشتون مرتين ويصيفون مرتين فى سنة واحدة ، وهم أهل خط الاستواء الذى يقسم مجرى الشمس بنصفين يأخذ من الشرق حتى يعود الى الشرق

والمدن التى على هذا الخط فزان وأُزَّين وعدن والشحر ، وغير ذلك من البلاد .

وأن الشمس اذا صارت الى أول برج الحمل كان الحر عندهم مفرطا جدا ، وإذا صارت الى السرطان زالت عن سمت رءوسهم أربعاً وعشرين درجة التى هى الميل فشتوا ، ثم تعود الشمس اليهم اذا صارت الى أول الميزان فيصيفون ثانية ويشتد الحر عليهم ، فاذا هى زالت الى ناحية الربع الجنوبى وصارت الى أول الجدى شتوا ثانية ، وأنهم على هذا الترتيب يصيفون مرتين ويشتون مرتين، غير أن شتاءهم أبدا قريب من صيفهم

وأنه قد يكون فى بعض المواضع مقدار شهر من الصيف نهار كله ، لا ليل فيه . وشهر من الشتاء ليل ، لا نهار فيه . وتكون العشرة أشهر الباقية من السنة

كل يوم وليلة أربعاً وعشرين ساعة . وهى المواضع التى يرتفع فيها القطب عن الآفاق سبعة وستين جزء وربعاً ، فهناك يكون مدار ما بين النصف من الجوزاء الى النصف من السرطان ظاهرا فوق الارض أبدا ، وما بين النصف من القوس إلى نصف الجدى غائباً أبدا

وما قالوه فى المواضع التى يطول نهارها ، ويقصر ليلها حتى يكون الساعةَ والساعتين والثلاثَ وذلك فى أقاصى بلاد الروم ، وبلاد البرغر ، وبلاد خوارزم، مما يلى البحر الخزرى

وما قالوه فى الساعات المعتدلة وهى التى تكون كل ساعة منها بمقدار ما يدور الفلك خمس عشرة درجة . والساعات الزمانية وهى المعوجة التى تكون كل واحدة منها مقدار نصف سدس النهار ، ونصف سدس الليل

وما ذهبوا إليه من تأثيرات الكواكب السبعة من النيرين والخمسة ، وخاصتها فى الأديان والبقاع والحيوان والنبات وغير ذلك .

وفيما خالف بين لغات الناس وألوانهم فى المعمور الأرض ، والعلة فى مطر الاقليم الأول فى القيظ دون سائر البلاد .

وما قالوه فى العلة التى صار لها كثير من المواضع لا تمطر كفسطاط مصر وغيرها إلا اليسير ، وأن السبب فى ذلك : أن جزء بلاد مصر من جهة شمالها عادم الجبال الشوامخ ، وأكثر ما يسيل اليه من جهة بحر الحبشة ، يحجز بينه وبين مصر جبال البُجة كالمقطم وما يليه ، فيمنع ذلك البخار فيسيل إلى جهة الشام والعراق ، وليس فى سمت مصر من جهة الجنوب بحر ، فما يسيل الى سمتها من البخار أقل مما يسيل من جهة بحر الحبشة الى الشأم والعراق .

والنيل يعين حركة الهواء من الجنوب الى الشمال بجريته ، فينقاد سيلان تلك الأبخرة الى الشمال فى بلاد كلها حارة ؛ لقلة العرض ومجاورة البحار ، أما بحر

الحبشة فمن جهة شرقها ، وأما بحر الاسكندرية وهو بحر الروم فمن جهة شمالها ، فيحمى جوها فلا يغلظ البخار السائل إليه ولا يجتمع حتى يخالط بحر الاسكندرية ويمتزج به ، ويجوزان معاً جهة الشمال من بلاد أروفى ، وإذا صارا الى الموضع الذى يعرض لهما فيه الانحصار ببرد الجو وما يحيط به من الجبال سالت تلك الأبخرة هنالك ، فصارت أمطارا فى تلك المواضع الشمالية ، فلهذه العلة عدم أهل مصر المطر .

ولأن النيل بزيادته يفيض على بلاد مصر ، فاذا نقص تراد الى قعره فقبلت تلك الأرض حسياً كثيراً ، لكثرة إقامة الماء عليها ، فيكثر مايرتفع من أرضها فى كل يوم من البخار بحر الشمس ، فاذا جاء الليل يبرد حرها بالاضافة الى قدر ما كن عليه عند شروق الشمس ، فاستحال البخار ماء ، فسال بالليل سيلانا ضعيفاً لعدمه التكاثف والانحصار ، فصار طلا عائداً الى الأرض ، ولعلل غير ذلك ذكروها

ويجوز ن يكون ذلك لعلل استأثر الله عز وجل بعلمها ، ولم يظهر أحداً من خلقه عليها ، لما هو عز وجل أعلم به من عمارة البلاد ، وصلاح العباد

قال أبو الحسن على بن الحسين المسعودى : ولما ذكرنا شرح طويل والكلام فيه كثير ، ومن ضمن الاختصار ، لم يجز له الاكثار .

وإنما نذكر فى هذا الكتاب طرفاً من كل باب ليستدل الناظر فيه بما رسمناه على المراد مما تركنا ، قانعين بالتعريض والاشارة من التطويل فى العبارة

فاذ ذكرنا جامع التأريخ من آدم الى نبينا صلى الله عليه وسلم ، وسنى الأمم وشهورها ، وبيعها وكنائسها ، وما اتصل بذلك فلنذكر الآن التأريخ من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مبعثه وهجرته ووفاته ، ومن كان بعده من الخلفاء والملوك الى هذا الوقت .

ذكر التأريخ من مولد رسول الله

صلى الله عليه وسلم . ومبعثه . وهجرته . ومغازيه . وسراياه . وسواربه . وكتابه . ووفاته . وتأريخ الخلفاء والملوك بعده . وأيامهم. وكتابهم. ووزرائهم. وحجابهم . وقضاتهم . ونقوش خواتيمهم . وما كان من الحوادث العظيمة الديانية والملوكية فى أيامهم . وحصر تواريخهم الى سنة ٣٤٥ فى خلافة المطيع

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا تواتر النذارات ، وماظهر فى العالم من الآيات المؤذنة بمولد نبينا صلى الله عليه وسلم ونبوته ، وما أيد الله به عند مبعثه من المعجزات والدلائل والعلامات ، مثل إنبائه بالكائنات* قبل كونها ، وإطعامه الخلق الكثير من الزاد القليل ، وهطل الغمام ، ونطق الذراع ، وتحويله الماء المالح عذباً ، وإروائه الخلق الكثير من الماء اليسير ، وغير ذلك .

وما أتى به من القرآن المعجز الذى عجز الخلق أن يأتوا بمثله مع تحديه إياهم وتقريعهم بالعجز عنه .

فأغنى ذلك عن إعادة شيء منه فى هذا الكتاب لشرطنا فيه على أنفسنا الاختصارَ والايجاز ، ونحن بادئون بحصر التاريخ من مولده صلى الله عليه وسلم

كان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد

وإنما لم نتجاوز* بنسبه صلى الله عليه وسلم معداً لنهيه عن ذلك بقوله « كذب النسابون » وإذ كان التنازع بين معد واسماعيل بن ابراهيم يكثر ويختلف ، فى

العدد والأسماء

والعمل الموروث* الذى يقطع عليه ولا ينازع فيه : اتصال نسبه الى معد بن عدنان وقد استقصينا شرح ذلك ، وما قيل فيه من الوجوه فى كتاب (الاستذكار ، لما جرى فى سالف الأعصار) وأتينا فيما سلف من هذا الكتاب على ما اشتهر واستفاض من اتصال معد باسماعيل بن ابراهيم، وما بين ابراهيم وآدم من الآباء ، على ما ذكره أهل الكتاب وأهل النسب

ويكنى أبا القاسم ، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب — عام الفيل : لثمان خلون من شهر ربيع الأول وقيل لعشر ، وهو اليوم الثامن من ديماه سنة ١٣١٧ من بدء ملك بخت نصر . واليوم العشرون من نيسان سنة ٨٨٢ للاسكندر بن فيلبس الملك ، وسنة ٣٩ من ملك أنو شروان خسرو بن قباذ بن فيروز ، وذلك بعد قدوم أصحاب الفيل مكة بخمسة وستين يوما ، وقيل أقل من ذلك . وكان قدومهم مكة يوم الأحد لخمس ليال خلون من المحرم .

وتوفى أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو عليه الصلاة والسلام حمل . وقيل بل مات بعد مولده بشهر ، وقيل بل فى السنة الثانية من مولده ، وقيل بعد ثمانية وعشرين شهرا من مولده ، وأنه كان خرج فى تجارة إلى الشام وتوفى بالمدينة وله خمس وعشرون سنة

ودُفع عليه الصلاة والسلام الى حليمة بنت أبى ذؤيب: وهو عبد الله بن الحارث ابن شِجْنَة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر ابن هوازن لترضعه فأرضعته بابن لها عبد الله والشيماء وأنيسة بنى الحارث بن عبد العزى بن رِفاعة بن ملان بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر

والشيماءُ التى كان النبي صلى الله عليه وسلم عضها على كتفها ، وهى تحمله فى حال صباه ، فلما هزمت هوازن بحنين ، واحتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

على أموالهم وذراريهم سارت اليه الشيماء ، فاستعطفته وذكرته وأرته أثر العضة فعرفها عليه الصلاة والسلام

وكان ذلك أحد أسباب رد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر بنى هاشم وبنى عبد المطلب* بن هاشم بن* عبد مناف ما صار إليهم من ذلك السبي ، ورد أصحابه ماصار إليهم منه حين رأوا ذلك منه عليه الصلاة والسلام .

وكان مقامه صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم أربع سنين ، فلما كان فى السنة الخامسة ردته حليمة الى أمه آمنة ، فلما كان فى السنة السابعة من مولده أخرجته أمه إلى أخوال جده عبد المطلب بن هاشم من بنى عدى بن النجار بالمدينة يزورهم ، وأم عبد المطلب سلمى ابنة زيد بن عمرو بن لبيد بن حرام ابن خداش بن جندب بن عدى بن النجار ، فتوفيت أمه عليه الصلاة والسلام بالأبواء ، وقدمت به أم أيمن وهى أم أسامة بن زيد بن حارثة إلى مكة

وفى السنة الثامنة من مولده توفى جده عبد المطلب ، فضمه أبو طالب إليه فكان فى حجره حتى بلغ ثلاث عشرة سنة ، فخرج معه فى تجارة إلى الشام ، فنظر إليه بَحِيرا الراهب ، فبشر بنبوته ، وأخبر بعلاماته

وحضر صلى الله عليه وسلم حرب الفِجار ، وحِلفَ الفضول ، على ماقدمنا فيما سلف هذا الكتاب وله عشرون سنة

ولما كمل خمساً وعشرين سنة خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ، إلى الشأم مع غلامها ميسرة ، فنظر نسطور الراهب الى إظلال الغمامة إياه ، وظهور الآيات فيه فبشر بنبوته ، ولما عاد الغلام أخبر خديجة بذلك ، فأرسلت اليه فى تزويجها فتزوجها

فلما كمل خمساً وثلاثين سنة شهد بنيانَ الكعبة ، وتراضت به قريش فى وضع الحجر الأسود ؛ حين كثر من قبائلهم التنازع فى ذلك ، فوضعه رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى موضعه

فلما بلغ أربعين سنة بعثه الله عز وجل الى الناس كافة يوم الاثنين لعشر خلون من شهر ربيع الأول ، وهو اليوم الثالث والعشرون من آبان ماه سنة ١٣٥٧ من ملك بخت نصر ، واليوم الثامن من شباط سنة ٩٢١ للاسكندر الملك ، وله صلى الله عليه وسلم يومئذ أربعون سنة

وتنوزع فى أول من آمن به من الذكور ، بعد إجماعهم على أن أول من آمن به من الأناث خديجة . فقال فريق منهم أول ذكر آمن به على بن أبي طالب ـ

هذا قول أهل البيت وشيعتهم ، وروى ذلك عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وجابر بن عبد الله الأنصارى ، وزيد بن أرقم فى آخرين

وتنوزع فى سنه يوم أسلم فقال فرقة كانت سنه يومئذ خمس عشرة سنة ؛ وقال آخرون ثلاث عشرة سنة ، وقيل إحدى عشرة سنة ، وقيل تسع ، وقيل ثمان ، وقيل سبع ، وقيل ست ، وقيل خمس

وهذا قول من قصد الى إزالة فضائله ، ودفع مناقبه ليجعل إسلامه إسلام طفل صغير ، وصبي غرير ، لايفرق بين الفضل والنقصان ، ولا يميز بين الشك واليقين ، ولا يعرف حقاً فيطلبه ، ولا باطلا فيجتنبه

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ، عند ذكرنا خلافته ووفاته جملا مما قيل فى ذلك ، وإن كنا قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفسراً مشروحاً وأتينا على قول كل فريق من هؤلاء ، وما احتج به لمذهبه ؛ وصحح به قوله ، والكلام بين متكلمي العثمانية والزيدية من معتزلة البغداديين القائلين بامامة المفضول ، وغيرهم من البترية ، وفرق الزيدية

والقطعية بالامامة الاثنا عشرية منهم الذين أصلهم فى حصر العدد ماذكره سليم بن قيس الهلالى فى كتابه ، الذى رواه عنه أبان بن أبي عياش أن النبي صلى

الله عليه وسلم قال لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام « أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق » ولم يرو هذا الخبر غير سليم بن قيس

وأن إمامهم المنتظر ظهوره فى وقتنا هذا المؤرخ به كتابنا : محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين

وأصحاب النسق منهم القائلون بأن الله عز وجل لا يخلى كل عصر من إمام قائم لله بحق ظاهر أم باطن . ولم يقطعوا على عدد محصور ، ولا وقت معين مفهوم . وأن ذاك نص من الله ورسوله على اسم كل امام وعينه ، الى أن يفنى الله عز وجل الأرض ومن عليها .

وإنما سموا القطعية لقطعهم على وفاة موسى بن جعفر وتركهم الوقوف عليه. وغيرهم من فرق الشيعة وسائر من قال باختيار الامام وأن ذلك الى الأمة أو الى بعضها - من المعتزلة والمرجئة وفرق الخوارج من الازارقة والاباضية والصفرية والنجدات وسائر فرق الخوارج الى هذه الأصناف يرجعون وعنهم يتفرقون والنابتة والحشوية وغيرهم من فقهاء الأمصار وقال آخرون : إن أول من آمن به عليه الصلاة والسلام من الرجال أبو بكر الصديق عليه السلام ، روى ذلك عن عمرو بن عبسة ، وجبير بن نفير ، وابراهيم النخعى فى آخرين

وقال آخرون : إن أول من آمن به زيد بن حارثة الكلبي مولاه ؛ روى ذلك عن الزهرى ، وعروة بن الزبير ، وسليمان بن يسار فى آخرين

وقال آخرون : أولهم إسلاما خباب بن الأرت من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وقال آخرون بلال بن حمامة

وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة وتوفى عمه أبو طالب وله بضع وثمانون سنة، وزوجته خديجة بنت خويلد ولها خمس

وستون سنة ، فى السنة العاشرة من مبعثه بينهما ثلاثة أيام وقيل أكثر من ذلك وذلك بعد إبطال الصحيفة وخروج بنى هاشم بن عبد المطلب* من الحصار فى الشعب بسنة وستة أشهر

وكان مدة مقامهم فى الحصار ثلاث سنين ، وقيل سنتين ونصفاً ، وقيل سنتين على ما فى ذلك من التنازع

وفى هذه السنة وهى سنة خمسين من مولده كان خروجه الى الطائف ؛ وفى سنة إحدى وخمسين كان المسرى على ما فى ذلك من التنازع بين فرق الأمة فى كيفيته

ثم هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة فدخلها يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وله ثلاث وخمسون سنة ؛ وذلك فى سنة أربع وثلاثين من ملك كسرى أبرويز

وأمر علياً رضى الله عنه بالتخلف بعده ليؤدى عنه ودائع كانت للناس عنده ، فتخلف بعد خروجه ثلاثة أيام ؛ الى أن أدى ما كان عنده من الودائع ، ثم لحق به

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه قبل هجرته بالهجرة الى المدينة ؛ فخرجوا أرسالا ، فكان أولهم اليها قدوماً أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش الأسدى ، وعمر بن الخطاب ، وعياش بن أبى ربيعة

وكان أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة لحمزة بن عبد المطلب فى شهر رمضان لسبعة أشهر من قدومه اياها ؛ فى ثلاثين راكباً من المهاجرين ، الى العيص من بلاد جهينة يعترض عيراً لقريش جاءت من الشام تريد مكة ، فلقى أباجهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وهو فى ثلاثمائة رجل من أهل مكة ، فتحاجزوا من غير قتال ؛ وفى ذلك يقول حمزة :

بأمر رسول الله أول خافق عليه لواء لم يكن لاح من قبلى

ثم سرية عبيدة بن الحارث الى رابغ ، وهى على عشرة أميال من الجحفة لمن أراد من المدينة قُدَيداً ، وذلك فى شوال لثمانية أشهر من قدومه المدينة ، فلقى أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على الماء المعروف بأحياء . وكان أبو سفيان فى مائتين ، وعبيدة فى ستين راكباً من المهاجرين . وكان بينهم رمى من غير سل السيوف وكان أول من رمى بسهم فى الاسلام سعد بن أبى وقاص مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فى هذه السرية ، وفى ذلك يقول سعد :

ألا هلَ أتى رسول الله أنى حميت صحابتى بصدور نبلى

فما يعتد رام فى معد بسهم يارسول الله قبلى

وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة ابنة أبى بكر فى شوال ، وهى بنت سنين ، وقيل دون ذلك ، وكان تزوجها بمكة وهى ابنة سبع وقيل ست

ثم سرية سعد بن أبى وقاص فى ذى القعدة على تسعة أشهر من مهاجرته فى عشرين رجلا الى الخرار ، وهو من الجحفة قريب من خُم ، يعترض عيراً لقريش فوافى الموضع وقد سبقه العير .

وفى هذه السنة ولد عبدالله بن الزبير بن العوام ، وكان أول مولود ولد فى دار الهجرة للمهاجرين ، والنعمان بن بشير الأنصار ، وهو أيضا أول مولود ولد للانصار بعد الهجرة .

وفيها كانت وفاة أبى أمامة أسعد بن زرارة الخزرجى من بنى غنم بن مالك ابن النجار فى شوال وفيها كان إسلام عبد الله بن سلام .

ذكر السنة الثانية من الهجرة

وتعرف « بسنة الأمر » لأنه أمر فيها بالقتال

ثم غزوة غزاها* رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفر فى المهاجرين خاصة ، حتى بلغ ودّان والأبواء وبينهما ثمانية أميال ؛ يعترض عيرَ قريش . فرجع ولم يلق كيداً ، فكانت غيبته خمس عشرة ليلة ، واستخلف على المدينة سعد بن عُبادة ابنَ دُليم الأنصارى ثم الخزرجى ؛ وفى هذا الشهر تزوج أمير المؤمنين على بن أبى طالب بفاطمة رضى الله عنهما

ثم غزوته صلى الله عليه وسلم بواط فى شهر ربيع الاول فى مائتين ، يعترض عيراً لقريش وكانت ألفين وخمسمائة بعير ، فيها مائة رجل من قريش منهم أمية ابن خلف الجمحي ، ففاتته العير ؛ ورجع ولم يلق كيداً

وبواط جبل من جبال جهينة ، من ناحية ذى خُشُب من طريق الشام ، وبين بواط والمدينة ثمانية برد ؛ وقيل أقل من ذلك ، واستخلف على المدينة سعد ابن معاذ

ثم غزوته صلى الله عليه وسلم فى هذا الشهر أيضاً ، فى طلب كُرْز بن جابر الفهرى ؛ وكان أغار على سرح المدينة من ناحية العقيق ؛ فبلغ الى سَفَوان ، وهى من بدر ففاته كرز بالسرح ؛ فرجع واستخلف على المدينة مولاه زيد بن حارثة ابن شراحيل الكلبي ثم الكنانى — كنانة ين عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفَيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة — وفى الناس من يسمى هذه الغزاة بدراً * الأولى

ثم غزوته صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى من هذه السنة — وقيل جمادى

الآخرة* ـ ذا العشيرة ، يعترض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام ففاتته ، وهى العير التى كان القتال ببدر بسببها فى رجعتها

وذو العشيرة بناحية ينبع ، وبين المدينة وينبع تسعة برد ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى .

وقيل إن خروجه فى طلب كرز بعد غزوته ذا العشيرة ، والأشهر ما ذكرناه ، وولد النعمان بن بشير الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج ، وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة

ثم سرية عبد الله بن جحش من بنى دودان بن أسد بن خزيمة ، فى رجب فى أحد عشر رجلا ، وقيل ثمانية إلى نخلة ـ وهو الموضع المعروف فى هذا الوقت ببستان بن عامر ، على جادة العراق ـ فلقوا عير قريش ؛ فقتلوا ابن الحضرمى ، وأسروا منهم نفراً ، واستاقوا العير ، وقسم عبد الله بن جحش الغنيمة ، وأخرج منها الخمس ، قبل أن ينزل القرآن بذلك ، فعزله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء الإذن من الله فأنفذه ، وكان أولَ فىء قسمه

وفى هذه الغزاة فيما ذكر سمي عبد الله بن جحش أميرَ المؤمنين ، وهو أول من سمى بذلك ، وقالت قريش استحل محمد القتل فى الشهر الحرام يعنون رجب ، وندم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك لأنه قال لهم « ما أمرتكم بقتال فى الأشهر الحرم » فأنزل الله عز وجل فى ذلك « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه — الآية »

وفرض صوم شهر رمضان فى شعبان من هذه السنة ، وصرفت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فى صلاة الظهر من يوم الثلاثاء للنصف من شعبان فاستدار النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو راكع فى الركعة الثانية ، ودارت الصفوف خلفه فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ، وقيل إن ذلك بعد افتراض صوم

شهر رمضان بثلاثة عشر يوما .

وفيها أرى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصارى ، من بنى زيد مناة بن الحارث بن الخزرج الأذان فى النوم ، وورد الوحى بذلك فعمل به

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً* العظمى ، وهى بدر القتال ، وبين بدر والمدينة ثمانية برد ، وميلان

وكان خروجه لثلاث خلون من شهر رمضان فى ثلاثمائة وأحد عشر رجلا من المهاجرين والأنصار ، عدة المهاجرين أربعة وسبعون رجلا ، وباقيهم من الأنصار . وقيل ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، وقيل وأربعة عشر رجلا .

الخبر المستفيض أنه كان فى ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، فوقع التنازع فيما زاد على الثلاثمائة والعشرة ، وهو البضع

وكانت قريش تسعمائة وخمسين مقاتلا منهم ستمائة دارع ، معهم من الخيل مائة فرس ، وكانت الوقعة يوم الجمعة صبيحة . لتسعة عشر يوما من شهر رمضان كذلك روى عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عبد الله بن مسعود ، وخارجة ابن زيد الأنصارى ثم الخزرجى عن أبيه زيد

وقد روى علقمة بن زيد عن ابن مسعود غير هذا ، وهو أنها كانت صبيحة اليوم السابع عشر من شهر رمضان ، كذلك روى عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد أيضا ، وكذلك روى عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، فيما ذكر أبو عبد الرحمن السلمى ، وإلى هذا القول ذهب محمد بن عمر الواقدى صاحب المغازى والسير .

فقتل من قريش سبعون رجلا ، وأسر سبعون رجلا ، كذلك ذكر احمد ابن منصور الرمادى عن عاصم بن على عن عكرمة بن عمار قال :

حدثنا أبو زميل قال حدثنى عبد الله بن العباس قال حدثنى عمر بن الخطاب

قال: لما كان يوم بدر التقينا ، فهزم الله المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلا واسر سبعون رجلا ، وقيل ان عدة من قتل يوم بدر من قريش وحلفائهم سبعة وأربعون رجلا والأسرى تسعة وأربعون رجلا ، وقيل إن عـدة القتلى منهم يومئذ خمسة وأربعون رجلا ، والأسرى مثل ذلك رجالا* واستشهد من المسلمين أربعـة عشر رجلا

قال المسعودى : وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أفاء الله عليه لـكل رجل سهما وللفرس سهمين وضرب لثمانية نفر بأسهمهم لم يشهدوا القتال ، وهم :

عثمان بن عفان ، تخلف عن بدر لمرض* رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له بسهمه . فقال يا رسول الله وأجرى ، قال وأجرك

ومنهم طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، يجتمع مع أبى بكر الصديق عليه السلام فى عمرو بن كعب بن سعد

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح* بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب ، يجتمع مع عمر بن الخطاب فى نفيل بن عبد العزى . وكان رسول الله صلى الله عليـه وسلم بعثهما لما خرج من المدينة يتحسسان أخبار العير ، فعادا بعد انقضاء الحرب ، وقيل انهما كانا بالشأم فى تجارة لهما فقدما بعد رجوع رسول الله صلى الله عليـه وسلم من بدر فضرب لهما بسهميهما ، فقالا يارسول الله وأجرنا ، قال وأجركما على الله - والأول أشهر وعليه العمل

والحارث بن الصمة من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة ابن الخزرج - وخوات بن جبير بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس - والحارث بن حاطب وعاصم بن عدى الانصاريان - وأبو لبابة بشير

ابن عبد المنذر الأنصارى ثم الأوسى . وكان استخلفه على المدينة

وماذكرنا من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم للفرس سهمين ولفارسه سهماً باتفاق من سائر فقهاء الأمصار وغيرهم ، إلا أبا حنيفة النعمان بن ثابت ، فانه قال يسهم للفرس سهما ولفارسه سهماً وخالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن فى ذلك .

واعتل أصحاب أبى حنيفة لصحة قوله بأحاديث رووها عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وأبى موسى الأشعرى، وغيرهم ؛ وإنما ذكرنا ذلك الخلاف للخلاف الواقع بينهم فى الخبر .

وكانت غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن عاد الى المدينة تسعة عشر يوما ودخلها لثمان بقين من شهر رمضان ؛ وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم الضرير ، وهو عمرو بن قيس من بنى عامر بن لؤى بن غالب .

وكانت وفاة أبى لهب عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فى اليوم الذى ورد فيه خبر وقعة بدر

ثم سرية عمير بن عدى بن خرشة الأوسى ثم الخطمى إلى عصماء ابنة مروان من بنى أمية بن بدر ، وكانت تؤذى المسلمين وتحرض عليهم أعداءهم فقتلها عمير، وفى هذه السنة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باخراج زكاة الفطر

ثم سرية سالم بن عمير الانصارى إلى أبى عفك شيخ من بنى عمرو بن عوف ، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله فى شوال من هذه السنة .

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنصف من شوال إلى بنى قينقاع من من اليهود وكانوا أربعمائة فحصرهم إلى هلال ذى القعدة ، فنزلوا على حكمه فاستوهبهم منه عبد الله بن أبى بن سلول ـ وكانوا حلفاء للخزرج ـ فأجلاهم إلى

أذرعات من أرض الشأم ، وغنم أموالهم وأخذ الخمس ، وهو أول خمس خمسة ، وفرق* الأربعة أخماس على أصحابه . وقيل إن فعله ذلك كان ببدر . وكان استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر الخزرجى

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروفة بغزوة السويق ، خرج فى ذى الحجة فى طلب أبى سفيان صخر بن حرب ، وكان أقبل فى مائتى راكب من أهل مكة ليبر نذره أن لا يمس النساء ، ولا الطيب حتى يثأر بأهل بدر ، فصار إلى العُرَيض ، فقتل رجلا من الأنصار ، وحرق أبياتاً هنالك . فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى طلبه جعل وأصحابه يلقون جرب السويق تخففاً ، فسميت غزوة السويق

وكان استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر أيضا ، وفى هذا الشهر بنى على بفاطمة عليهما السلام

قال المسعودى : وقد ذكرنا التنازع فى سنها عند ذكر وفاتها فى خلافة أبى بكر فيما يرد من هذا الكتاب

وضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أضحى رآه المسلمون ، وأمر بذلك ، وخرج إلى المصلى ، وذبح به شاتين بيده وقيل شاة

وفى هذه السنة كانت الوقعة بذى قار بين بكر بن وائل — وعليهم حنظلة ابن سيار من ولد جذيمة بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار ، وقيل إنه من ولد كعب بن سعد بن ضبيعة بن عجل — وبين الجيش الذى بعثه إليهم الملك خسرو أبرويز عليهم الهامَرْز ، وذلك لما امتنع هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل من تسليم ما كان النعمان

ابن المنذر اللخمى ملك الحيرة أودعه إياه من أهله وماله وسلاحه قبل قتل كسرى إياه فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهزمت الفرس ، ومن كان معها من العرب ، من تغلب وعليها بشر بن سوادة التغلبي ، وطيء وعليها إياس بن قبيصة الطائى ، وضبة وتميم وعليهما عطارد بن حاجب بن زرارة ، والنمر وعليها أوس بن الخزرج النمرى ، وبهراء وتنوخ وغيرهم من العرب وقتل الهامرز .

وقيل إن ذلك كان قبل الهجرة ، وإن أناسا من عبد القيس وحنيفة وغيرهم من بكر بن وائل جاءوا من اليمامة وبلاد البحرين الموسمَ يريدون المضى إلى بكر لانجادها ، فوقف عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يعرض نفسه على قبائل العرب ومعه أبو بكر فدعاهم إلى الايمان بالله

وجرى بين أبى بكر ودَغْفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيبان النسابة ماجرى حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن البلاء موكل بالمنطق »

فوعدوا النبي صلى الله عليه وسلم إن نصرهم الله على الأعاجم آمنوا به وصدقوا بنبوته ، فدعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر

فلما بلغه ظهورهم على الأعاجم قال « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نصروا »

وهذا يوم تفخر به بكر بن وائل على سائر العرب وفوضل به فى مناقبها وذكره من تقدم من الشعراء وتأخر فى مدح بكر ، وذكر أيامها المذكورة ووقائعها المشهورة

ولقد أحسن أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى تلطفه لذلك فى مديح أبادلف القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعى ابن عبد العزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب

ابن على بن بكر بن وائل ببائيته التى أولها

على مثلها من أرْبُعٍ* وملاعب

فقال

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها على الناس أو ما وطدت من مناقب

فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه المترجم بالديباج — أوفياء العرب فعد السموأل بن عادياء الغسانى ، والحارث بن ظالم المرى ، وعمير بن سلمى الحنفى . ولم يذكر هانئا وهو أعظم العرب وفاء ، وأعزهم جواراً ، وأمنعهم جاراً ، لأنه عرض نفسه ، وقومه للحتوف ، ونعمهم للزوال ، وحرمهم للسبى ، ولم يخفر أمانته ، ولا ضيع وديعته

ذكر السنة الثالثة من الهجرة

وتعرف « بسنة التمحيص »

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنصف من المحرم فى مائتين إلى الماء المعروف بقَرْقَرَة الكُدْر ، ناحية معدن بنى سليم ، مما يلى جادة العراق إلى مكة وبين المعدن والمدينة ثمانية برد يريد سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، وغطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، فانجفلوا وغنم من أموالهم ، ورجع ولم يلق كيداً ، وكان استخلف على المدينة ابن أم مكتوم

ثم سرية محمد بن مسلمة الأنصارى من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس فى أربعة نفر من الأنصار ، إلى كعب بن الأشرف اليهودى . وكان رجلا من طىء ثم من بنى نبهان بن عمرو بن الغوث بن طىء ،

وأمه من بني النضير من اليهود ، وكان يشبب بنساء المسلمين . ويحرض على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويرثى أهل القليب ، فقتلوه فى حصنه للنصف من شهر ربيع الأول

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة بقَران* . وهو معدن بنى سليم بناحية الفُرع من الحجاز ، فصار إليه وقد تقدم إليهم خبره فتفرقوا ، فرجع ولم يلق كيداً ، وكانت غيبته عشرة أيام ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الشهر فى أربعمائة وخمسين إلى نجد ، يريد غطفان فبلغ الموضع المعروف بذى أمَر* وراء بطن نخل فانجفلوا من بين يديه ، فرجع ولم يلق كيداً .

وكانت غيبته عشرة أيام ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان

ثم سرية مولاه زيد بن حارثة الكلبى مستهل جمادى الآخرة إلى الموضع المعروف بالقَرَدَة ، من أرض نجد بين الربذة والغمر وذات عرق من جادة العراق يعترض عيراً لقريش تريد الشأم ، فظفر بها ، وبلغ الخمس عشرين ألفاً ، وهذا أول بعث خرج فيه زيد أميرا

وفى شعبان من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة ابنة عمر بن الخطاب ، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وكان بدريا ولم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى سهم غيره

وللنصف من شهر رمضان كان مولد الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام ، وفيه تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة المعروفة بأم المساكين

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أُحداً خرج إليها فى نحو من ألف رجل ، فانخذل عنه عبد الله بن أُبى بن سلول فى نحو من ثلث الناس — وكان أشار على على رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك الخروج إليهم والتمسك بالمدينة . وقال عصانى ، ولم يقبل رأيى — وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نحو من سبعمائة

وكانت قريش وكنانة بن خزيمة وأحلافها ثلاثة آلاف ، فيهم سبعمائة دارع ، والخيل مائتا فرس ، ومعهم من النساء خمس عشرة امرأة يحرضنهم فيهن هند ابنة عتبة ، وعلى الناس أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فالتقوا يوم السبت لسبع خلون من شوال

فاستشهد من المسلمين سبعون رجلا ، وقتل خمسة وستون رجلا أربعة منهم من المهاجرين . أحدهم حمزة بن عبد المطلب ، والباقون من الأنصار . وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا . وعاد إلى المدينة ، وكان قد استخلف عليها ابن أم مكتوم

ثم خرج من الغد وهو ثانى يوم أحد فى طلب أبى سفيان وأصحابه حتى انتهى إلى الموضع المعروف بحمراء الأسد ، وهى على عشرة أميال من المدينة على طريق العقيق متياسرة عن ذى الحليفة ففاتته* قريش . فأقام ثلاثا ، ثم عاد وفى الناس من يعد هذه غزاة .

ذكر السنة الرابعة

من الهجرة وتعرف « بسنة الترفيه »

ثم سرية أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى فى المحرم إلى قطن وهو جبل بناحية فَيْد من آخر بلاد نجد

ثم سرية عبد الله بن أنيس الجهنى، جهينة بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلُم ابن الحاف بن قضاعة إلى سفيان بن خالد الهذلى فى المحرم أيضا فقتله . وقيل إن قتله إياه كان فى السنة الخامسة من الهجرة

ثم بعث المنذر بن عمرو الأنصارى فى صفر فى سبعين رجلا من الأنصار إلى أهل نجد ليقرئوهم القرآن ويعلموهم الدين . فلما انتهوا إلى الموضع المعروف ببئر معونة ، على أربع مراحل من المدينة بين أرض بنى سليم وأرض بنى كلاب ، أغار عليهم عامر بن الطفيل الكلابى فقتلهم . وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ثم الأوسى فى صفر فى تسعة نفر من أصحابه مع رهط من القارة . وهى من الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . وعضل وهى من القارة . وكانوا قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم . فسألوه أن يبعث معهم من يفقههم فى الدين فبعثهم . فلما صاروا بالموضع المعروف بالرجيع ، وذلك على سبعة أميال من الموضع المعروف بالهدأة ، الهدأة على سبعة أميال من عسفان غدر بهم ، فقتلت لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر منهم سبعة نفر ، وأسر اثنان خبيب بن عدى الأنصارى من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وزيد

ابن الدَّثِنة فذهب بهما إلى مكة : فقتلا هنالك

ثم سرية عمرو بن أمية الضمرى وسلمة بن أسلم بن حريش إلى أبى سفيان بمكة ليغتالاه فنذر بهما فعاد ، وقيل إن ذلك فى السنة الخامسة من الهجرة

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول بنى النضير من اليهود ، وقيل إنهم وقريظة من ولد هارون بن عمران ، وقيل إنهم من جذام وإنما رغبوا عن دين العمالقة وعبادة الأصنام فاتبعوا شريعة موسى ، وانتقلوا من الشأم إلى الحجاز

وكانت منازل النضير بناحية الفرض وماوالاها ، ومقبرة بنى خطمة ، وكانوا موادعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم هموا بالغدر به فنذر بهم فنبذ إليهم، فأقاموا على الحرب فسار إليهم فحصرهم خمسة عشر يوما ، ثم أجلاهم إلى فدك وخيبر، وقبض مالهم من الحلقة والكراع فخرجوا يريدون خيبر، وهم يضربون بالدفوف ويزمرون بالمزامير ، وعلى النساء المصبغات والمعصفرات وحلى الذهب مظهرين بذلك تجلداً ، وكان فيهم ـ فيما أُخبرنا به عن عمر بن شبة النميرى ـ عروة الصعاليك بن الورد العبسى ، وكان حليفا فى بنى عمرو بن عوف ، وكان شاعراً مجيداً ، وهو القائل فى كلمة له طويلة :

دعينى للغنى أسعى فأنى رأيت الناس شرهم الفقير

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم

قال المسعودى : وفى هذا الشهر فيما ذكر حرمت الخمر على ما فى ذلك من التنازع فى سبب تحريمها . وفى شعبان من هذه السنة كان مولد الحسين بن على بن أبى طالب ، وفى شوال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم سلمة هند بنت أبى أمية المخزومي ، وفى هذا الشهر فيما ذكر رجم يهودى ويهودية كانا قد زنيا

ثم غزوته صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى ألف وخمسمائة والخيل عشرة بدراً ، لموعد أبى سفيان صخر بن حرب حين أراد الانصراف من أحد فأقام بها ثمانية أيام وتسمى « بدر الثالثة » وخرج أبو سفيان فى قريش من مكة إلى عسفان فى ألفين والخيل خمسون ، ثم لم يقف ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وكان استخلف عليها عبدَ الله بن رواحة الأنصارى ، وكانت غيبته ستة عشر يوما

ذكر السنة الخامسة

من الهجرة وتعرف « بسنة الأحزاب »

ثم غزوته صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من المحرم فى ثمانمائة إلى الموضع المعروف بذات الرقاع ، وهو جبل قريب من النخيل مما يلى السعد والشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمر وبيض وسود — وقيل إنها انما سميت غزوة ذات الرقاع لكثرة الرقاع فى الرايات ، فأجفلت العرب من بين يديه ، ولحقوا برءوس الجبال وبطون الأودية

قال المسعودى : وفى هذه الغزاة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف لقرب العدو منهم ، وإشرافهم عليه على ما فى ذلك من تنازع فى وصفها وكيفيتها بين فقهاء الأمصار وغيرهم ، من السلف .

وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها عثمان بن عفان ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة

ثم غزوته صلى الله عليه وسلم دومة الجندل ، وهى أول غزواته للروم ، وبين

دومة الجندل وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، وقيل ثلاث عشرة

وكان صاحبها — أُكيدر بن عبد الملك الكندى — يدين بالنصرانية ، وهو فى طاعة هرقل ملك الروم ، وكان يعترض سفر المدينة وتجارهم ، فبلغ أكيدر مسيره فهرب ، وتفرق أهل دومة الجندل وصار إليها فلم يجد بها أحدا ، وأقام أياما وعاد إلى المدينة ، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم

وفى هذه السنة وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى

ثم غزوته صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من شعبان، بنى المصطلق بن سعد بن عمرو — وهو خزاعة ومنه تفرقت بطونهم — ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ، وإنما سموا خزاعة بانخزاعهم من جملة الأزد إلى بطن مر عند مسيرهم من مأرب ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

ولما هبطنا مر تخزعت خزاعة منا فى حلول كراكر

وكانوا على ماء لهم يعرف بالمُرَيْسيع بطريق الفُرع ، والفرع على ثمانية برد من المدينة فناجزهم فانهزموا ، فقتل وأسر وسبى الذرارى والأموال ، فكان فى السبى جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار رئيس بنى المصطلق، وكانت صارت لبعض الأنصار فكاتبها ، فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها، فعتق الناس بقية السبى ببركتها ، وعاد إلى المدينة ، وكان قد استخلف عليها زيد بن حارثة مولاه . وكانت غيبته ثمانية عشر يوماً .

وفى هذه الغزاة فقد عقد عائشه ؛ وقال فيها أهل الافك ماقالوا وهم : مسطح ابن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، وهو ابن خالة أبى بكر ، وكان فى عياله — وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن

عمرو بن مالك بن النجار ـ وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ـ وعبد الله بن أبى بن سلول ، وهو الذى تولى كبره منهم ، وحمنة ابنة جحش ابن رئاب .

والذى ذكروه صفوان بن المعطل السلمي ، وكان صاحب الساقة فى تلك الغزاة ، فلما أنزلت براءتها جلدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة ، إلا عبد الله بن أبى بن سلول فانه لم يجلده ، وفى ذلك يقول عبد الله بن رواحة ، وقيل كعب بن مالك

لقد ذاق حسانُ الذى هو أهله وحمنة إذ قالوا هجيراً و مِسْطح
تعاطوا برجم الغيب زوجَ نبيهم وسخطةذى العرش الكريم فأبرحوا

وفيها نزلت آية التيمم على مافى ذلك من التنازع بين الأسلاف والأخلاف فى كيفية التيمم

ثم غزوته صلى الله عليه وسلم الخندق ، وهي غزوة الأحزاب ؛ سارت إليه قريش وغطفان وسليم وأسد وأشجع وقريظة والنضير وغيرهم من اليهود ،فكان عدة الجميع أربعة وعشرين ألفا ،منهاقريش وأتباعها أربعة آلاف ،معهم ثلاثمائة فرس ، وألف وأربعمائة بعير قائدهم أبو سفيان صخر بن حرب ، والمسلمون نحو من ثلاثة آلاف ، وذلك فى شوال ، وقيل فى ذى القعدة

فأشار سلمان الفارسى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، فخندق وأقاموا محاصرين للمدينة يتناوشون

ثم نصر الله رسوله، وهزم الأحزاب، وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم

وقد تنوزع فى مدة إقامتهم على الخندق؛ فنهم من قال شهر ، ومنهم من قال خمسة عشر يوماً ، وقيل غير ذلك

ثم غزوته صلى الله عليه وسلم قريظة من اليهود لمظاهرتهم قريشاً عليه ، سار إليهم عند منصرفه من الخندق ، وذلك لسبع بقين من ذى القعدة ، وكانوا على بعض يوم من المدينة ، فحصرهم خمسة عشر يوما وقيل أكثر من ذلك ، ثم نزلوا على حكم سيد الأوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد ابن عبد الأشهل فحكم بقتل مقاتلهم وسبي ذراريهم ، وكان سعد رُمى يوم الخندق بسهم فقطع أكحله فكان لمآبه ، فقتل من قريظة سبعمائة وخمسين رجلا صبراً .

وعاد إلى المدينة ، وكان استخلف عليها أبا رُهم الغفارى كلثوم بن الحصين ، وتوفى سعد بن معاذ بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

وفى هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنة جحش بن رئاب الأسدية ؛ أسد بن خزيمة بن مدركة بن اليـاس بن مضر ، وهى ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب

ثم سرية أبى عبيدة بن الجراح الفهرى فهر قريش ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة فى ذى الحجة إلى سيف البحر

ذكر السنة السادسة

من الهجرة ، وتعرف « بسنة الاستئناس »

ثم سرية محمد بن مَسلمة الأنصارى فى المحرم إلى القُرطاء من بنى أبى بكر ابن كلاب بناحية ضَرِيّة ، بموضع يقال له البُكَرات ، وضرية على سبعة أميال من المدينة

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى لِحْيان من هذيل ، وكانوا بالقرب من عسفان خرج إليهم لهلال ربيع الأول ثائراً بمن قتلوا من أصحابه بالرجيع فاعتصموا برءوس الجبال

وفيها بعث فيما قيل عمر بن الخطاب سرية إلى القارة ، فاعتصموا بالجبال أيضا ، وبعث هلال بن الحارث المزنى إلى بنى مالك بن فهر فهربوا منه ، وبعث بشر ابن سويد الجهنى إلى بنى الحارث بن كنانة فاعتصموا بغيضة فأضرمها عليهم عليهم فاحترقوا ، فأنكر النبى صلى الله عليه وسلم ذلك

ورجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم ، وكانت غيبته أربع عشرة ليلة

ثم غزوته صلى الله عليه وسلم الموضع المعروف بذى قَرَدَ من طريق خيبر وهو على ليلتين من المدينة ، وكان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، أغار على لقاحه وهى بالغابة ، وهى على بريد من المدينة أو أكثر .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لأربع خلون من شهر ربيع الأول فاستنقذ بعضها وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم ، وكانت غيبته خمس ليال

ثم سرية سعد بن عبادة الخزرجى إلى الموضع المعروف بالغميم

ثم سرية أبى عبيدة بن الجراح إلى جبلى أجأ وسلمى

ثم سرية عكاشة بن محصن الأسدى الغمر غمر مرزوق قال المسعودى . والغمر على ليلتين من فيد ، طريق الكوفة وكان لبنى أسد

ثم سرية محمد بن مسلمة الأنصارى فى شهر ربيع الاول إلى ذى القصة . وبين ذى القصة والمدينة عشرون ميلا على طريق الربذة من جادة العراق إلى بنى ثعلبة ، وأناس من تغلب ، وكان فى عشرة نفر فقتلوا وهم نيام وأفلت محمد جريحاً

ثم سرية أبى عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة أيضا فى شهر ربيع الآخر

ثم سرية زيد بن حارثة إلى بنى سليم بالجموم ، والجموم من بطن نخل عن يسارها ، وبطن نخل على أربعة برد من المدينة

ثم سرية زيد بن حارثة أيضا فى جمادى الأولى إلى العيص ، وهى طريق ذى المروة عن يمينها على ليلة منهاما يلى البحر ، وهى على أربع مراحل من المدينة

ثم سرية زيد بنى حارثة أيضا فى جمادى الآخرة إلى بنى ثعلبة بالطرف ، والطرف ماء قرب من المَراضِ دون النُّخَيل ، وهو على ستة وثلاثين ميلا من المدينة على طريق العراق .

ثم سرية زيد بن حارثة أيضا فى جمادى الآخرة أيضا ، إلى جذام بحِسْمى وحسمى وراء وادى القرى مما يلى بلاد فلسطين من أرض الشأم .

ثم سرية زيد بن حارثة أيضا فى رجب إلى وادى القرى لاجتماع فزارة هنالك ، فقامت بالحرب أم قِرفة ، فانصرف زيد راجعا .

ثم سرية عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ابن كلاب فى شعبان إلى دومة الجندل .

ثم سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى بنى سعد بفدك ، وبين فدك وبين المدينة نحو من خمس ليال .

ثم سرية زيد بن حارثة فى شهر رمضان إلى أم قِرْفة ، وهى فاطمة ابنة ربيعة ابن زيد الفزارية ، وكانت بنواحي وادى القرى على سبع ليال من المدينة، فهزم فزارة وقتل أم قِرفة .

ثم سرية عبد الله بن عتيك فى هذا الشهر إلى أبى رافع سلام بن أبى الحُقَيق النضرى بخيبر فقتله

ثم سرية عبد الله بن رواحة الأنصارى من بنى كعب بن الحارث بن الخزرج إلى أُسير بن رزام اليهودى بخيبر فقتله

ثم سرية كرز بن جابر الفهرى فى شوال إلى العرنيين الذين ارتدوا عن الاسلام وقتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستاقوا الابل. وذلك بالموضع المعروف بذى الجَدْر بناحية قباء قريب من عين على ستة أميال من المدينة ، فأتى بهم فسملت أعينهم ، وقطعت أيديهم وأرجلهم على ما فى هذا الخبر من التنازع بين فقهاء الأمصار فى معناه، وفى آية المحاربة وأحكام المحاربين

وحدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكشى عن أبى النعمان عارم بن الفضل السدوسى وسليمان بن حرب بن بَجيل عن حماد بن زيد .

وحدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى قال حدثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس بن مالك الأنصارى أن قوماً من عكل أو عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة . فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاح ، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا رعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من أول النهار فأرسل فى طلبهم ، فما ارتفع النهار حتى أُتى بهم ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسملت أعينهم، وألقوا بالحَرّة ، فيستسقون فلا يسقون حتى ماتوا .

وقد روى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم إنما سمل أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاة ، فجعل السمل قصاصاً ، كذلك ذكر يزيد بن زريع عن سليمان التيمى عن انس بن مالك .

قال المسعودى : والعرينون من ولد عرينة بن نذير بن قَسْر بن عَبْقر بن بجيلة ، وبجيلة امرأة سمي ولدها بها وهم بنو أنمار بن أَراش بن عمرو بن الغوث أخى الأزد بن الغوث

وعند نساب ربيعة ومضر ابنى نزار ، بجيلة من ولد أنمار بن نزار بن معد ، وفى كلب عرينة أخرى ، وهى عرينة بن ثور بن كلب بن وبرة

والعكليون ولد عكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية ، خرج للعمرة فى ذى القعدة فى ألف وستمائة رجل ، وساق معه سبعين بدنة ، فصده المشركون عن الدخول إلى مكة ، فأقام بالحديبية . وهى من مكة على تسعة أميال مما يلى طرف الحرم

وفيها كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت ، وذلك لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى أهل مكة يعلمهم أنه لم يأت محارباً ، وإنما جاء معتمراً ، فاحتبسوا عثمان ، واستفاضت الأخبار بقتله ، فوقعت البيعة حينئذ.

وخرج إليه سهيل بن عمرو بن عبد شمس من بنى عامر بن لؤى بن غالب فصالحه على موادعة عشر سنين على أن ينصرف فى تلك السنة ، ويأتى فى العام المقبل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام ، فنحر وحلق بالحديبية ، وجعلها عمرة

وانصرف إلى المدينة ، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم ، وفى منصرفه عن الحديبية قال لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بغدير خم ، « من كنت مولاه فعلى مولاه » وذلك فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة .

وغدير خم بقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجحفة ، وولد على رضى

الله عنه وشيعته يعظمون هذا اليوم

وفى هذه السنة أجدب الناس ، فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان ، وفيها أسلم المغيرة بن شعبة

وفيها انكشف شهر براز صاحب ابرويز بن هرمز عن الروم ، وظهرت الروم على الفرس ، وفيهم نزلت « الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون»

ذكر السنة السابعة

من الهجرة ، وتعرف « بسنة الاستغلاب »

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم خيبر ، وهى على ثمانية برد من المدينة فى ألف وأربعمائة راجل ، والخيل مئتا فرس ، فحاربه بعض أهل الحصون ، فافتتحها عنوة ، وبعضهم جنح إلى الصلح فأجلاهم ثم سألوه أن يقر الأرض فى أيديهم على أن يعتملوها ولهم شطر الثمرة فأجابهم إلى ذلك ؛ فكان يبعث عبدالله ابن رواحة الأنصارى فى كل سنة ، فيخرص عليهم ، فلما قتل بمؤتة وجه مكانه جبار بن صخر ، فكانوا على ذلك إلى أيام عمر بن الخطاب ، فأخرجهم من الحجاز لأنه بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى مات فيه « لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب » على مافى هـذا الخبر من التنازع بين فقهاء الأمصار فى المساقاة

واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبى حصن القَمُوص صفية بنت حيى بن أخطب من النضير ، وكانت عند كنانة بن أبى الحقيق فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل عتقها صداقها

كذلك ذكر عبد العزيز بن صهيب ، وثابت البنانى ، وشعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك على مافى ذلك من التنازع فى معنى هـذا الخبر ، وهل ذلك خاصا للنبي صلى الله عليه وسلم ، أم لأمته التأسى به فيه

وفى هذه الغزاة قدم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومن معه ، من أرض الحبشة ، ومعهم أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب ، وكان النجاشى ملك الحبشة زوّجها من النبي صلى الله عليه وسلم وأدى عنه المهر ، وكانت عند عبد الله بن جحش بن رئاب من بنى غنم بن دودان أبن سدبن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر ، وكان هاجر إلى أرض الحبشة وهى معه فتنصر، ففارقته .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدوم جعفر « ما أدرى بأيهما أنا أُبشر، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر »

وفى هذه الغزاة سم النبي صلى الله عليه وسلم فى ذراع شاة أهدتها له زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مِشْكم اليهودى ؛ وكانت سألت : أى عضومن الشاة أحب الى رسول اللهصلى الله عليه وسلم؟ فقيل لها الذراع ، فأكثرت فيها السم ، وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى اللهعليه وسلم تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البرَاء ابن معرور الأنصارى من بنى سلمة من الخزرج قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال « إن هذا العظم ليخبرنى انه مسموم » ودعا بها فاعترفت ، فقال « ماحملكِ على ذلك ؟ » قالت بلغتَ من قومى مالم يخف عليك ، فقلت إن كان نبيا فسيُخبر ، وإن كان ملكا استرحت منه وقومى ، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومات بشر من أكلته التى أكل فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه ودخلت عليه أم بشر ابن البراء تعوده ، فقال « ياأم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع ابنك بخيبر »

وكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات شهيداً ، مع ماأكرمه الله به من النبوة ـ كذلك ذكر سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى

قال المسعودى : وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب غريب الحديث أنه قال صلى الله عليه وسلم « مازالت أكلة خيبر تعادّنى فى كل عام فهذا أوانُ قطعت أبهرى »

قال أبو عبيد مفسراً لذلك : تعادّنى من العِداد وهو الشىء الذى يأتيك لوقت معلوم مثل الحمى الربع والسم الذى يقتل لوقت فانه يعادّ صاحبه لأيام حتى يأتى وقته الذى يقتل فيه ، وأصله من العدد ، والأبهر عرق مستبطِنُ الصلب ، والقلب متصل به ، فاذا انقطع لم يكن معه حياة .

ولما سمع أهل فدك بما نال أهل خيبر ، ومن صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، ومساقاته إياهم بعثوا إليه يسألونه أن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل

فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب .

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر الى وادى القرى ، فحصرهم أياما حتى افتتحها عنوة

وكان أهل تيماء أعداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورؤساؤهم آل السموأل ابن عادياء بن حيّا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقياء بن

عامر ، والسموأل أحد أوفياء العرب ، وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق الفرد ، وقد ذكره أعشى بنى قيس بن ثعلبة فى مديحه لشريح بن السموأل فقال :

بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار

فلما بلغهم مانزل بأهل وادى القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أداء الجزية ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان استخلف عليها سِباع بن عُرْفُطَة الأنصارى

واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم فى المحرم ، ونقش عليه محمد رسول الله ، وكاتب الملوك فى شهر ربيع الأول ونفذت كتبه ورسله اليهم يدعوهم الى الاسلام ، وافتتح كتبه اليهم « بسم الله الرحمن الرحيم » وكان صلى الله عليه وسلم أولا يكتب كما تكتب قريش « باسمك اللهم » حتى نزل عليه « اركبوا فيها باسم الله مجريها » فكتب بذلك الى أن نزل عليه « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى » فكتب « بسم الله الرحمن » حتى نزل عليه « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » فكتب بذلك

وقد أتينا على السبب فى كتبة قريش « باسمك اللهم » فى أخبار أمية بن أبى الصلت الثقفى من الأخبار المسعوديات المنسوبة الينا .

فبعث عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى أبرويز بن هرمز ملك فارس ، وهو يومئذ بالمدائن من ارض العراق ، فمزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب الى باذام عامله على اليمن أن يشخصه اليه فبعث اليه اسوارين فى عدة ، وهما فيروز بن الديلمى وخَرْخُسْرَو ، وقيل بابويه ، وقال تأتونى به ، فقدما المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرهما ان شيرويه بن ابرويز ملكهم قد قتل أباه فى تلك الليلة ، فرجعا الى باذام فأخبراه ، فكان الامر كما ذكر صلى الله عليه وسلم

فاسلما وأسلم باذام

والأبناء بصنعاء ، وهم الذين ساروا الى اليمن مع خرزاد بن نرسى بن جاماسب أخي قباذ بن فيروز الملك .

وكان أنو شروان سمى مرتبته وهرز حين أنفذه مع سيف بن ذى يزن الحميرى منجداً له على الحبشة حين غلبت على اليمن ، فقتلوا* مسروق بن أبرهة الأشرم آخر ملوك الحبشة باليمن وأقاموا بها .

وكان جميع من ملك اليمن من الحبشة أربعة أولهم أرياط ، وقيل أبرهة الاشرم ثم أبرهة وهو السائر إلى البيت الحرام بالفيل المذكور فى القرآن ، ثم يكسوم ابنه ، ثم مسروق ابنه أيضا ،

ومدة ما ملكوا من السنين نيف وسبعون سنة ، وكان قطعهم البحر من ساحل الحبشة الى ساحل اليمن من الموضع المعروف بالمندب وهما جبلان ، وهذا الموضع أضيق أعبار هذا البحر ، وإنما عرضه نحو من ميل ويتصل به من ساحل اليمن ساحل المخا وهى متصلة بغلافقة ساحل زبيد من أعمال ابن زياد فى هذا الوقت

ومن الناس من يسمى وَهْرِزَ الديلمى لأنه ولى مرزبة الديلم والجيل لا أنه كان ديلميا .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دِحية بن خليفة الكلبي وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرىء القيس بن الخزج والخزج المعظم وهو زيد مناة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، الى هرقل ملك الروم ، وعمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشي اصحمة بن بحر* ملك الحبشة ، والعلاء بن الحضرمى الى المنذر ابن ساوَى أحد* بنى عبد القيس صاحب البحرين ، وسليط بن عمرو العامرى الى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة ، وشجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن

أبي شمر الغسانى عامل هرقل ملك الروم على دمشق وأعمالها ، وكان ينزل الجولان ومرج الصفّر، وحاطب بن أبى بلتعة اللخمى وقيل العبسى حليف بنى أسد بن عبد العزى الى المقوقس المقرقب* النونى* بالنون عظيم القبط ببلاد الاسكندرية ومصر ، و النون هو قبيل من القبط .

قال المسعودي : وقد أتينا على أخبار هؤلاء الرسل مع من أرسلوا إليه ورسل من كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك ووفودهم إلى سائر الملوك والأمم إلى هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥ فى خلافة المطيع فى كتاب (فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف) وقيل ان بعثة الرسل الى هؤلاء الملوك كان فى السنة السادسة من الهجرة قبل فتحه خيبر .

ثم سرية عمر بن الخطاب فى شعبان إلى الموضع المعروف بتُرَبة وتربة ناحية العَبْلاء ، على أربع ليال من مكة وقيل خمس ، طريق صنعاء ونجران اليمن

ثم سرية أبى بكر فى هذا الشهر الى بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، بناحية ضرية ، ثم سرية بشير بن سعد الأنصارى ، ثم الخزرجى فى هذا الشهر أيضا الى بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بفدك ، فأصيب أصحابه وارتث فى القتلى .

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى فى شهر رمضان الى المَيْفعة وراء بطن نخل الى ناحية النقرة مما يلى نجدا على ثمانية برد من المدينة ، وفيها قتل أسامة ابن زيد بن حارثة الرجل الذى قال لا إله الا الله فلامه النبى صلى الله عليه وسلم على قتله فقال إنما قالها احتجارا فقال « هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟» فأنزل الله عز وجل فى ذلك « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا »

ثم سرية بشير بن سعد الأنصارى فى شوال إلى يُمْن وجُبَار وهما موضعان نحو الجِناب والجناب يعارض خيبر ووادى القرى

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة يوم الاثنين لست ليال خلون من ذى القعدة لعمرة القضاء التى كان المشركون صدوه عنها بالحديبية فخرج المشركون عن مكة ودخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بها وأصحابه ثلاثا ثم خرج عنها وعاد الى المدينة وكن استخلف عليها سباع بن عرفطة ، وفيها تزوج ميمونة الهلالية خالة عبد الله بن العباس على ما فى هذا الخبر من التنازع بين فقهاء الامصار وغيرهم ممن تقدم: أنكحها وهو محل أم محرم؟ وهى ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزَم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن جرش بن حمير وهى العجوز الجرشية أكرم الناس أصهاراً كن لها ثمانى بنات ميمونة ولبابة الكبرى ولبابة الصغرى وعصماء وعزة بنات الحارث بن حزن وسلمى وأسماء وسلامة بنات عميس بن معد بن الحارث بن تيم ابن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن أفتل

وهم جماعة خثعم بن أنمار على ما فى ذلك من التنازع فى نسب انمار ومن ألحقه من نساب النزارية بنزار بن معد بن عدنان ومن ألحقه من نساب القحطانية بأراش بن عمرو بن غوث بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان .

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة على ماوصفنا، وتزوج حمزة بن عبد المطلب سلمى فولدت له أمة الله وقيل أمامة ، وتزوج العباس بن عبد المطلب لبابة الكبرى وتكنى أم الفضل فولدت له الفضل لا عقب له وعبد الله أبا الخلفاء

من بنى العباس وعبيد الله ومعبدا لهما عقب وقثم وعبد الرحمن لا عقب لهما وأم حبيب. ولم يكن اخوة لأم وأب أشرف منهم ولا ابعد قبورا، مات الفضل بالشأم فى طاعون عمواس وعبد الرحمن ومعبد بافريقية وقثم بسمرقند وعبد الله بالطائف وعبيد الله بالمدينة. وتزوج جعفر بن أبى طالب أسماء فولدت له عبد الله وعونا ومحمدا ثم تزوجها أبو بكر فولدت له محمدا ثم تزوجها على بن أبى طالب فولدت له يحيى وعونا لاعقب لهما، وتزوج الوليد بن المغيرة المخزومى لبابة الصغرى فولدت له خالد بن الوليد وباقى البنات عند أزواج شتى ليس لهم من السابقة فى الدين والشرف فى النسب ما لهؤلاء .

ثم سرية ابن أبى العوجاء السلمى فى ذى الحجة الى بنى سليم : فأصيب أصحابه ونجا مكلوما

ثم سرية عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى فى ذى الحجة الى الغابة فقتل رفاعة ابن زيد الجشمى .

ثم سرية محيصة بن مسعود الى ناحية فدك .

ثم سرية عبد الله بن أبى حدرد الى إضم فى ذى الحجة أيضا، وكان فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة فقتل محلم عامر بن الأضبط الاشجعى لشىء كان بينهما فى الجاهلية وقيل بل قتله بعد أن حياه بتحية الاسلام فقيل إن فيه نزل « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا، تبتغون عرض الحياة الدنيا »

ذكر السنة الثامنة من الهجرة

وتسمى « سنة الفتح »

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى فى صفر إلى بنى الملوح بكديد بين عسفان وقُدَيد .

ثم سرية أيضا فى صفر إلى مُصاب أصحاب يُسَير بفدك، وفى هذا الشهر قدم عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص ابن كعب بن لؤى بن غالب، وخالدُ بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى مهاجرَين .

ثم سرية شجاع بن وهب الأسدى فى شهر ربيع الأول الى بنى عامر بالسى من ناحية رُكبة ، مما تلى تربة وركبة وراء معدن بنى سليم من المدينة على خمس ليال .

ثم سرية كعب بن عمير الغفارى فى هذا الشهر إلى ذات أطلاح، وهى وراء وادى القرى بين تبوك وأذرِعات من بلاد دمشق من أرض الشام فقتل أصحابه جميعا وتحامل الى المدينة جريحا .

ثم سرية زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة الانصارى من بنى الحارث بن الخزرج فى جمادى الأولى لغزو الروم الى مؤتة من ناحية البلقاء من أعمال دمشق من الشأم لقتل شرحبيل بن عمرو الغسانى الحارث بن عمير الأزدى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صاحب بصرى، ولم يقتل للنبى صلى الله عليه وسلم رسول غيره وكانوا فى نحو من ثلاثة آلاف فلقيهم جموع الروم فى مائة ألف أنفذهم هرقل لقتالهم وهو يومئذ مقيم بأنطاكية وعلى الروم تيادوقس البطريق ، وعلى متنصرة العرب من غسان وقضاعة وغيرهم شرحبيل بن عمرو

الغساني ، فقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب بعد أن عرقب فرسه ، وهو أول فرس عرقبت فى الاسلام وجرح نيفا وتسعين جراحة كلها فى مقادمه ، وعبد الله ابن رواحة ورجع خالد بن الوليد بالناس .

ثم سرية عمرو بن العاص فى جمادى الآخرة الى ذات السلاسل وراء وادى القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام، فلقيه جموع الروم ومتنصرة العرب فاستمد النبيّ صلى الله عليه وسلم فأمده بسرية فيها أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم ؛ وكان لعمرو فى هذه السرية أفعال أنكرت عليه منها صلاته بالناس جُنُبا ، ومنعه إيقاد النار مع حاجتهم اليها لشدة القر وكثرة الجراح وغير ذلك ، وبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مافعل فأجازه لما ذكر فيه من المصلحة للجيش .

ثم سرية أبى عبيدة بن الجراح فى رجب الى أرض جهينة بناحية البحر بينها وبين المدينة خمس ليال .

ثم سرية أبى قتادة النعمان بن ربعى الأنصارى ثم الخزرجى فى شعبان الى خَضِرة أرض محارب بنجد .

ثم سرية أبى قتادة أيضا فى هذا الشهر الى بطن إضم بين ذى خُشُب وذى المروة بينها وبين المدينة ثلاثة برد

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وهى غزوة الفتح سار اليها لثلاث ليال خلون من شهر رمضان فى عشرة آلاف من المسلمين فدخلها ؛ وكان استخلف على المدينة أبا رُهم الغفارى .

قال المسعودى : وتنوزع فى دخوله أصلحا كان أم عنوة فقال أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى من الأوزاع من حمير فى آخرين من أهل الشأم وأهل العراق وغيرهم من أهل الظاهر كأبى سليمان داود بن على الأصبهانى وغيره

فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة فخلى بين المهاجرين وارضهم ودورهم بمكة ولم يجعلها فيئاً واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «ألا إن الله حبس الفيل عن مكة وسلط عليهم رسوله والمؤمنين ألا انها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى» وبقوله «أترون أوباش قريش أنى لقيتموهم فاحصدوهم حصدا» وأمره بقتل ابن خطل وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ومقيس بن حبابة* وغيرهم ؛ وغير ذلك من الحجاج فقال أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى وموافقته : لم يدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة وانما دخلها صلحا ، وقد تقدم لهم أمان بقوله من دخل داره فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ودليل قول الله عز وجل :

« وهو الذى كف أيديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم » .

وقد ورى ان هذه الآية نزلت فى غزوة الحديبية كذلك حدثنا ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى عن بشر بن معاذ عن يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة

وذهب أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى من ذى اصبح بن مالك من حمير وغيره من أهل المدينة إلى مثل ذلك فانهم لما أومنوا على انفسهم كانت اموالهم تبعا لهم ، وقال آخرون منهم ابو عبيد القاسم بن سلام افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومن على أهلها فردها عليهم ولم يقسمها ولا جعلها فيئاً وغير ذلك من الحجاج ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عدة ، منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى وكان أخا عثمان بن عفان لأمه وأحد من كتب الوحى فارتد مشركا ولحق بمكة ، فلما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله أخفاه عثمان ثم أتى به النبى صلى الله عليه وسلم سائلا فيه فصمت النبى صلى الله عليه وسلم طويلا ،

ثم قال «نعم» فلما انصرف به عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حضره من أصحابه أما والله لقد صمت ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه» فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت يارسول الله؟ فقال «إن النبي لا يقتل بالاشارة» ومنهم عبدالله بن خطل من بنى تيم بن غالب بن فهر بن مالك، وقيل إن اسمه هلال بن خطل، وابن خطل هو عبد الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مصدقا وكان معه رجل من الانصار وغلام له فقتل الغلام لخلاف كان منه عليه وارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر بقتلهما معه، ومقيس بن حبابة* من بنى كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان قتل رجلا من الانصار قتل أخاه خطأ وكان رجع إلى مكة مرتدا؛ وعكرمة ابن أبي جهل المخزومى؛ والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصى وكان ممن يؤذيه بمكة فقتله على بن أبي طالب عليه السلام؛ وسارة مولاة كانت لبنى عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة أيضا

وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا حول مكة وكان أولها سرية خالد بن الوليد فى شهر رمضان الى نخلة اليمانية لهدم العزى فهدمها.

ثم سرية عمرو بن العاص فى شهر رمضان الى سُواع بُرهاط فهدمه.

ثم سرية سعد بن زيد الأشهلى من الأوس فى هذا الشهر إلى مناة بالمشلل فهدمه.

ثم سرية خالد بن سعيد بن العاص الى عرنة.

ثم سرية هشام بن العاص الى يلملم.

ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسى فى شوال الى ذى الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي فهدمه.

ثم سرية خالد بن الوليد الى بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة وكانوا بأسفل مكة على ليلة منها نحو يلملم ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم داعيا ، ولم يأمره بالقتال فقتلهم بالغميصاء ، فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هوزان وهى غزوة حنين

قال المسعودى : وحنين واد الى جانب ذى المجاز بينه وبين مكة ثلاث ليال ، وكان خروجه صلى الله عليه وسلم فى اثنى عشر ألفا من أهل مكة والخيل مائتا فرس وقيل أكثر من ذلك

وطلب صلى الله عليه وسلم من صفوان بن أمية عارية أدراعا كانت عنده وصفوان يومئذ مشرك قد استأجل النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه شهرين فقال أغصباً يا محمد ؟ فقال « بل عارية مضمونة حتى نؤديها اليك » فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح على ما فى هذا الخبر من اختلاف الألفاظ واضطراب الأسانيد وتنازع الناس فى العارية مضمنة هى كما قال الشافعى وغيره اشترط ذلك المعير أم لم يشترط ، وهو قول يعزى الى ابن عباس وأبى هريرة وغيرهما أم غير مضمنة كما قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت وصاحباه وسفيان الثورى وأهل الظاهر ، ويعزى ذلك الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وعبد الله بن مسعود أم تكون مضمنة* اذا اشترط ضمانها كما قال قتادة وغيره ، أو كما قال مالك ما كان من ذلك ظاهرا مثل الرقيق وغيره من الحيوان أو الربع فلم يعمد* ذلك لم يكن ضامنا ، وما كان من العروض والحلى وغير ذلك فهو ضامن إلا أن يصيبه أمر من أمر الله تعالى يعذر به أو يقوم له بينة فلا يضمن وغير ذلك من الاقاويل مع اتفاق الجميع على أن المستعير لا يملك بالعارية واتفاقهم على أن له الشيء المستعار فيما أذن له مالكه أن يستعمله فيه ؛ واتفاقهم على أن المستعير إذا أتلف الشيء المستعار أن

عليه ضمانه فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوزان بأوطاس عليهم مالك بن عوف النصرى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ودريد بن الصمة الجشمى جشم بن بكر ابن هوزان وكان أحد فرسان العرب وشجعانهم وهو يومئذ شيخ كبير ضرير ، قيل قد جاوز المائتى سنة ليس فيه الا التيمن برأيه وكان من حضر ذلك اليوم من هوزان نصر وجشم ابناء معاوية بن بكر بن هوزان وسعد بن بكر بن هوزان ونفر من بنى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان

ولم يحضرها أحد من بنى نمير ولد عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوزان، ولا من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ولا من ولد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهم عقيل والحريش وقشير وجعدة وعبد الله وحبيب بنو كعب فهزمهم الله وغنم رسوله أموالهم وذراريهم ، وقتل دريد بن الصمة يومئذ فى نحو من مائة وخمسين رجلا من هوزان ، وهرب مالك بن عوف .

ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب تبوك مما يلى دمشق من أرض الشأم، وبين تبوك والمدينة تسعون فرسخا ، وذلك مسيرة اثنتى عشرة ليلة وكان معه فى هذه الغزاة ثلاثون ألفا ، الخيل عشرة آلاف ، والابل اثنا عشر ألف بعير ، ويسمى جيش العسرة لأنهم أمروا بالخروج لما طابت الثمار واشتد الحر وطاب لهم الظلال ، وشق عليهم الخروج لبعد المسافة ، وعسرة من الماء ، وعسرة من النفقة والظهر ، وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم الاغنياء على النفقة والحملان ، فصار إلى تبوك ، فأقام بها بضع عشرة ليلة ، وقيل عشرين ، يصلى ركعتين ركعتين ، وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها على بن أبى طالب وقد ذهب قوم إلى أنه استخلف عليها أبا رهم الغفارى وعلى أهله على بن أبى طالب، وقيل بل استخلف عليها بن أم مكتوم ، وقيل محمد بن مسلمة ، وقيل سباع

ابن عرفطة ، وتخلف عبد الله بن أُبَى معسكراً فى الموضع المعروف بالجرف فى قطعة من الجيش ، وفى هذه الغزاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب لما خلفه بالمدينة ولم يخلفه قبلها ، وقد رأى كراهية على لذلك « أفلا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبى بعدى » والاشهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف عليا على المدينة ، ليكون مع من ذكرنا من المتخلفين ، وقد ذكرنا السبب الذى له ومن أجله خلفه ، وسبب تخلف عبد الله ابن أبى فيما ذكرنا فى كتاب (الاستذكار ، لما جرى فى سالف الاعصار) الذى كتابنا هذا تال له ، وفيها كانت قصة الثلاثة الذين خلفوا ، فأنزل الله عز وجل « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » وهم من الانصار ، كعب بن مالك الخزرجى ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية الأوسيان

وقد أتينا على ما كان بينه وبين هرقل ، ملك الروم من المراسلات فى هذه الغزاة فى حال مقامه صلى الله عليه وسلم بتبوك ، وهرقل يومئذ بحمص ، وقيل بدمشق فيما سلف من كتبنا

وبعث من هناك خالد بن الوليد المخزومى إلى أكيدر بن عبد الملك الكندى صاحب دومة الجندل ، فأخذه أسيرا وفتح الله عليه دومة ، وجاءه وهو بتبوك أسقف أيلة يحنة بن روبة فصالحه على أن على كل حالم بها دينارا فى السنة ، وقدم عليه أهل أذرح فسألوه الصلح على الجزية فقبلها وكتب لهم كتابا ، وفى هذه الغزاة نهى عن إخصاء الخيل ، وغزوة تبوك آخر غزواته صلى الله عليه وسلم

وفى انصرافه من هذه الغزاة هم عدة من المنافقين باغتياله صلى الله عليه وسلم ليلا وإلقائه فى الثنية ، وهم المعروفون بأصحاب العقبة ، فحال الله بينهم وبين ما أرادوا بنبيه و ظهره عليهم ، وقد أتينا على شرح خبرهم وأسمائهم فى كتاب

(الاستذكار) عند ذكرنا هذه الغزاة ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدم مسجد الضرار وإحراقه ؛ وكان فى بنى سالم بن عوف من الأوس ، وفيه أنزل الله عزوجل « الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » .

وتوفيت أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان ، وفى ذى القعدة من هـذه السنة كانت وفاة عبد الله بن أبى بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن الحبلى ، وهو سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج بن حارثة ، وأم أبيه سلول امرأة من خزاعة بها تعرف ، وكان أحد المنافقين ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا ، والتاج ينظم له ليملك

وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السنة فرائض الصدقات وأوجب فى الغلات مما سقى سيحا أو سقته السماء العشر ، وما سقى بالنواضح نصف العشر ، على ما فى ذلك من التنازع بين فقهاء الأمصار فى الوسق والحصر وغير ذلك .

ثم وجه عليه الصلاة والسلام أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى ذى الحجة ليحج بالناس ونزلت عليه سورة براءة ، فبعث بسبع آيات من صدرها مع على بن أبى طالب ، وأمره أن يقوم بها على الناس بمنى إذا اجتمعوا ، وقال « أذن فى الناس أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم تنادى ، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم ، ثم لاعهد لمشرك ولا ذمة وحمل علياً على ناقة العضباء ، على مافى هذا الخبر من التنازع والتأول بين فرق أهـل الصلاة من أصحـاب النص من الشيعة ، وأصحاب الاختيار من المعتزلة والخوارج والمرجئة وفقهاء الأمصار وغيرهم من الحشوية والنابتة ، فحج المسلمون وحج المشركون على منازلهم من الشرك ، وقام على بمنى على ماأمره

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تمض سنة حتى دخلت العرب فى الاسلام ، وكانوا أكثر من مائة ألف وتمايزوا بالشرك بينهم ، والمقام عليه .

ذكر السنة العاشرة من الهجرة

وهى سنة « حجة الوداع »

ثم سرية أسامة بن زيد إلى يُبْـنَى وأزْدُودَ من أرض فلسطين من بلاد الشأم .

ثم سرية خالد بن الوليد فى شهر ربيع الأول إلى بنى عبـد المدان من بنى الحارث بن كعب ؛ من ولد عريب بن زيد بن كهلان بنجران اليمن ، وفى هذا الشهر توفى إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من مولده إلى وفاته سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام

وكسفت الشمس يومئذ . فقال قوم إنما كسفت لموته ، فصلى رسول الله صـلى الله عليه وسلم صلاة الـكسوف . ثم قل « أيها الناس « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عزوجل لايكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الله »

ثم سرية على بن أبى طالب عليه السلام فى شهر رمضان إلى اليمن ، وكتب معه رسول الله صلى الله عليه وسـلم كتابا يدعوهم إلى الاسلام ، فجمعوا له فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم ودعاهم الى الاسلام ، فأسلمت همدان كلها فى يوم واحد

واسم همدان أوْسَلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ثم تتابعت اليمن على الاسلام ، وقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودهم ، فكتب لهم كتبا باقرارهم على ماأسلموا

عليه من أموالهم وأرضهم، ووجه إليهم عماله لتعريفهم شرائع الاسلام، وقبض صدقاتهم، وجزيةِ من أقام على دين النصرانية والمجوسية واليهودية منهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال البحرين، وهو ثمانون ألف درهم، وجه به العلاء بن عبد الله بن ضماد الحضرمى، وكان حليفا لبنى أمية وهو أول مال حمل إلى المدينة ففرقه علي الناس، وقدمت وفود العرب عليه من كل وجه من معد واليمن، وكانت تتربص باسلامها

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودانت له قريش، انقادت له العرب الى الاسلام

وقدم وفد بنى حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل من اليمامة فيمن قدم من الوفود، وفيهم مسيلمة الكذاب بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن عدى بن حنيفة، ويكنى أبا ثمامة، وبنو حنيفة يسترونه بالثياب فلما رجعوا أظهر مسيلمة أمره بادعائه النبوة .

وصار اليه فى هذه السنة السيد والعاقب وافدا أهل نجران يسألانه الصلح، فصالحهما عن أهل نجران على ألفى حلة فى السنة وغير ذلك .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجا لخمس بقين من ذى القعدة، وقد ساق معه الهدى ستين بدنة، وقيل أكثر من ذلك وأقل، فلما صار بالموضع المعروف بسَرِف، أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدى، ودخل مكة وقدم على بن أبى طالب من نجران اليمن مهلا بالحج، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بأى شيء أهللت؟ قال قلت : حين أحرمت اللهم إنى أهل بما أهل به عبدك ورسولك، فقال له هل معك من هدى؟ قال : لا، فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغا من الحج .

ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما وحج بالناس وأراهم مناسكهم وعرفهم سنن حجهم ، وأعلمهم أن دماءهم وأموالهم عليهم حرام ، وأن كل دم موضوع، فسميت حجة الوداع لأنه ودعهم ولم يحج بعدها، وتسمى أيضا حجة البلاغ لأنه حين ودعهم خطبهم فقال فى خطبته « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»

وهذا القول بين ماضى الزمان ومستقبله مثبت لبطلان النسىء على ماقدمنا مفصلا فيما سلف من كتابنا هذا . ثم قال «اللهم هل بلغت ؟ فقالوا نعم فقال اللهم اشهد» واحج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه كلهن معه وابنته فاطمة ، وقيل إنه أفرد الحج ، وقيل أقرن ، وقيل انه كسا البيت فى حجته الحبرات

ذكر السنة الحادية عشرة من الهجرة

وهى « سنة الوفاة »

فيها كان توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى جيفر وعباد ابنى الجُلَنْدَى بن مسعود الأزديين صاحبي عمان يدعوهما الى الأسلام فأسلما ، وفى هذه السنة قوى أمر الأسود العنسى الكذاب المتنبى باليمن وهو عبهلة بن كعب بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج وهو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان بدء أمره بالموضع المعروف بكهف خبان وكان يدعى ذا الحمار، لحمار كان معه قد راضه وعلمه يقول له اسجد فيسجد ويقول له اجث فيجثو ، وغير ذلك من أمور كان يدعيها ومخاريق كان يأتى بها يجتذب بها قلوب متبعيه

وقتل باذان* رئيس الأبناء الذين شخصوا مع وهرز الى اليمن ، وكانوا أسلموا وتزوج امرأته ، فوثب عليه فيروز بن الديلمى من الأبناء ، وعاضده فى ذلك داذويه ، وقيس بن مكشوح المرادى .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كاتبهم فقتلوه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتله ، وقيل إن رأسه حمل الى المدينة ، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنوزع هل كان مقتله فى حياته أم بعد وفاته ؟

ثم وثب قيس بن مكشوح المرادى على داذويه فقتله متقربا بذلك الى قوم ذى الحمار من عنس ، وقال فى ذلك .

قد علم الأحياء من مذحج* ما قتل الاسودَ إلا أنا
طلبت ثأرا كان لى عنده بقِتلة الاسود مستمكنا

فى كلمة له طويلة أولها :

ألمم بسلمى قبل أن تظعنا إن بنا من حبها ديدنا

ثم ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فى صفر إلى بلاد البلقاء وأذرِعات ومؤتة من أرض دمشق من الشأم ثائرا بأبيه ، ولأسامة يومئذ ثمانى عشرة سنة .

وكان فى بعثه عمر بن الخطاب والزبير وأبو عبيدة بن الجراح ، وتنوزع فى أبى بكر ، أكان فى هذا البعث أم لا ؟ فأقاموا يتجهزون إلى أن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول فى علته جهزوا جيش أسامة .

قال المسعودى : وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم التى غزاها بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، ومن الناس من يذهب الى أنها ثمان وعشرون ، فالذين ذهبوا الى أنها سبع وعشرون ، جعلوا منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادى القرى غزوة واحدة ، والذين رووا أنها ثمان وعشرون جعلوا

غزاة خيبر مفردة ، ووادى القرى غزوة أخرى ، قاتل منها فى تسع ، أولها بدر وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف هذا قول محمد بن اسحاق فى آخرين ، ووافق الواقدى ابنَ اسحاق فى أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل فى هذه التسع غزوات* وذكر أنه قاتل فى غزاة وادى القرى ، وفى يوم الغابة فقتاله فى التسع اتفاق .

وزاد الواقدى ماذكرنا وإنما حكينا تنازع هذين لأنهما قدوة فى جملة المغازى والسير وإليهما يرجع فى ذلك .

وكانت سراياه وسواربه وبعوثه على ما رتبنا فى هذا الكتاب ثلاثا وسبعين وتنازع مصنفوا الكتب فى التواريخ والسير فى ذلك ، فذهب قوم منهم إلى أن سراياه وسواربه ست وستون . وقال آخرون نيف وخمسون .

وقال محمد بن اسحاق فى عدة من أصحاب السير والمغازى ، بل ذلك خمس وثلاثون .

وقال محمد بن عمر الواقدى فى آخرين من أصحاب المغازى والسير انما كانت السرايا والسوارب ثمانيا* وأربعين .

قال المسعودى : وأرى أن السبب الذى أوجب هذا التنازع المتفاوت فى اعداد هذه السرايا ؛ أن منهم من يعتد بسرايا لايعتد بها آخرون ، وذلك أنه كانت سرايا فى جملة مغاز ؛ فأفردها بعضهم واعتد بها ، وبعض جعلها فى جملة تلك المغازى ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد وجه فى كثير من غزواته سرايا الى مايلى البلاد التى حلها بعد هزيمة المشركين بخيبر فى الطلب على ماقدمنا ، ووجه بعد فتح مكة سرايا لهدم الأصنام التى حول مكة ، فوقع التنازع لأجل ذلك ؛ فجمعنا فى كتابنا هذا جميع ذلك ولم نأل جهدا فى حصره وترتيبه ، ولم نخله من ذكر خلاف أصحاب السيَر فى ذلك ليكون أعم لفائدته وأجزل لعائدته ،

على أنا لم نجد أحدا حصل ذلك تحصيلنا ، ولا رتبه ترتيبنا ، فمن أراد علم ذلك فليتصفح كتب من عنى بهذا* الشأن من الأسلاف والأخلاف يقف على حقيقة ما قلنا وفضيلة ما أتينا ، ففهم ذلك بعد الكفاية يسير ، ومطلبه قبل الكفاية عسير . وقد ذكرنا ذلك على الشرح والايضاح ، وما فيه من التنازع فى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) وفى كتاب (الاستذكار ، لما جرى فى سوالف* الاعصار) الذى كتابنا هذا تال له ومبنى عليه ، وإنما حذفنا من كتابنا هذا الأسانيد ليخف تحمله ، ويقرب متناوله .

قال المسعودى : وقد ذكر عدة من ذوى المعرفة بسياسة الحروب وتدبير العساكر والجيوش ومقاديرها وسماتها ، أن السرايا ما بين الثلاث نفر* الى الخمسمائة ، وهى التى تخرج بالليل ، فأما التى تخرج بالنهار فتسمى السوارب ، وذلك قوله عز وجل « ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » وما زاد على الخمسمائة الى دون الثمانمائة فهى المناسر ، وما بلغ الثمانمائة فهو جيش ، وهو أقل الجيوش وما زاد على الثمانمائة الى دون الألف فهو الخشخاش* ، وما بلغ الألف فهو الجيش الأزلم* ، وما بلغ الأربعة آلاف ، فهو الجيش الجحفل ، وما بلغ اثنى عشر ألفا ، فهو الجيش الجرار ، واذا افترقت السرايا والسوارب بعد خروجها ، فما كان دون الأربعين ، فهى الجرائد ، وما كان من الأربعين الى دون الثلاثمائة فهى المقانب ، وما كان من الثلاثمائة الى دون الخمسمائة فهى الجمرات ، وكانوا يسمون الأربعين رجلا إذا وجهوا العصبة ، ويقولون خير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن يؤتى اثنا عشر ألفا من قلة .

وقد رأى قوم أن المقنب مثل المنسر ، وأن كل واحد منهما ما بين الثلاثين رجلا الى الاربعين ، واستشهدوا على تقاربهما بقول الشاعر :

وإذا تواكلت المقانب لم يزل ... بالثغر منا منسر وعظيم

وأن الكتيبة ماجمع فلم ينتشر ، وأن الحضيرة النفر الذين يغزى بهم العشرة فمن دونهم ، والنفيضة جماعة يغزى بهم وليسوا بجيش كثير * ، وان الأرعن الجيش الكبير * الذى له مثل رعن الجبل ، والخميس الجيش العظيم ، والجرار الذى لا يسير إلا زحفا لكثرته ، والجرار أكثر مايكون من الجيوش العظمى . ويقول الناس فيما ذكرنا كلاما كثيراً ، وقد ذكرنا من ذلك أفضل ماقيل فيه وأوجزه .

وتنوزع فى أى يوم من شهر ربيع الأول كانت وفاته عليه الصلاة والسلام بعد إجماعهم على أن وفاته يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول ، فقال الأكثرون كانت وفاته لاثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر .

وقال آخرون بل ذلك لليلتين خلتا منه ، وقال آخرون لتسع خلون منه وكان ذلك اليوم السادس عشر من شهر اسفندار ماه من شهور الفرس ، سنة ١٣٨٠ ابخت نصر ، وهو اليوم الثالث من حزيران سنة ٩٤٣ للاسكندر بن فيلبس الملك ، وسنة ١٠٠ من ملك كسرى أنوشروان بن قباذ ، وكانت شكاته أربعة عشر يوما وقيل دون ذلك

وكان الذين تولوا غسله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتنوزع فيما كفن به رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن ابيه على بن الحسين قال لما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وقيل سحوليين وبرد حبرة أدرج فيها إدراجا .

قال المسعودى : والثياب الصحارية مضافة إلى صحار وهى قصبة عمان والسحولية ثياب بيض من قطن تعمل بموضع من اليمن يعرف بسحولا . والى

هذه الرواية يذهب أهل البيت وشيعتهم وبذلك كفن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام غير أنه عمم بعمامة لأجل الضربة ، فصارت عندهم سنة مأثورة معمولا* بها .

وليس تعد العمامة والمئزر من الكفن المفروض والكفن المفروض عندهم ثوب واحد إذا لم يوجد غيره وثلاثة وخمسة لمن وجد سعة ، وروى بعضهم مازاد على خمسة فبدعة* يشق أحد هذه الاثواب فى وسطه ويقمص به من غير خياطة فيسمى القميص لذلك وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وعنها فى رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وحكي عن ابراهيم قال كفن النبي صلى الله عليه وسلم فى حلة يمانية وقميص ثم صلى عليه الناس أفواجا بغير إمام ودفن من الغد يوم الثلاثاء فى حجرة عائشة وقيل ليلة الأربعاء وقيل إنه دفن بعد وفاته بثلاثة أيام ، وكان الذين نزلوا قبره على بن ابى طالب والفضل وقثم ابنا العباس وشقران ممن سمينا .

كتاب* من حضر من الكتاب

وكان خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يكتب بين يديه فى سائر مايعرض من أموره، والمغيرة بن شعبة الثقفى، والحصين ابن نمير يكتبان أيضا فيما يعرض من حوائجه ، وعبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهرى ، والعلاء بن عقبة يكتبان بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات ، والزبير بن العوام ، وجهيم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات ، وحذيفة بن اليمان يكتب خرص الحجاز ، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي دوس

ابن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله ابن مالك بن نصر بن الأزد وكان حليفا لبنى أسد يكتب مغانم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليها من قبله وزيد بن ثابت الأنصارى ثم الخزرجي من بنى غنم بن مالك بن النجار يكتب إلى الملوك ويجيب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يترجم للنبي صلى الله عليه وسلم بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن ، وكان حنظلة بن الربيع بن صيفى* الأسيدى التميمي يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فى هذه الأمور إذا غاب من سمينا من سائر الكتاب ينوب عنهم فى سائر ماينفرد به كل واحد منهم، وكان يدعى حنظلة الكاتب، وكانت وفاته فى خلافة عمر بن الخطاب بعد أن فتح الله على المسلمين البلاد وتفرقوا فيها فصار إلى الرها من بلاد ديار مضر فمات هناك فرثته امرأة* من قومه فقالت

يا عجب الدهر لمحزونة   تبكى على ذى شيبة شاحب
إن تسأليني الدهر ما شفني   أخبرك قيلا ليس بالكاذب
إن سواد الرأس أودى به   حزني* على حنظلة الكاتب

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبى سرح من بنى عامر بن لؤى بن غالب ثم لحق بالمشركين بمكة مرتدا ، وكتب له شرحبيل به حسنة الطابخى من خندف حليف قريش، ويقال بل هو كندى ، وكان أبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمى ربما كتبا بين يديه، وكتب له معاوية قبل وفاته بأشهر، وإنما ذكرنا من أسماء كتابه صلى الله عليه وسلم من ثبت على كتابته واتصلت أيامه فيها وطالت مدته وصحت الرواية على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتبا ويضاف إلى جملة كتابه

ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

وبويع أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم عند مرة بن كعب ، وهما فى العدد * واحد بين كل واحد منهما وبين مرة ستة آباء ، وكان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة فلما أسلم سماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه عتيق قيل لجماله وقيل لعتقه من النار ، ويقال إن ذلك كان اسمه فى الجاهلية وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فى سقيفة بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج — فى اليوم الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة ، وقد كانت الأنصار نصبت للبيعة سعد بن عبادة بن دليم الأنصارى ثم الخزرجى فكانت بينه وبين من حضر من المهاجرين فى السقيفة منازعة طويلة وخطوب عظيمة ، وعلى والعباس وغيرهم من المهاجرين مشتغلون بتجهيز النبى صلى الله عليه وسلم ودفنه ، وكان ذلك أول خلاف حدث فى الاسلام بعد مضى النبى صلى الله عليه وسلم ، وارتد أكثر العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن كافر ومانع للزكاة والصدقة ، وكان أعظمهم شوكة وأخوفهم أمرا مسيلمة الكذاب الحنفى باليمامة ؛ وطليحة بن خويلد الأسدى ثم الفقعسى فى أسد بن خزيمة ؛ وقد عاضده عيينة بن حصن الفزارى فى غطفان ؛ فوجه أبو بكر اليهم وإلى جميع من ارتد من ضاحية مضر خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى فلقى طليحة فهزمه وفض جموعه وأسر عيينة وذلك فى سنة ١١ وسار إلى البطاح وأثخن فى أرض تميم وقتل مالك بن نويرة اليربوعى وسار إلى اليمامة فقاتله بنو حنيفة قتالا شديداً إلى أن قتل مسيلمة وصالحه بقيتهم ، وذلك فى سنة

١٢ واستشهد باليمامة من المسلمين ألف ومئتا رجل منهم من قريش ثلاثة وعشرون رجلا ، فيهم زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ومن الأنصار سبعون وقيل دون ذلك ، ولم يزل خالد يطأ فرقة فرقة ممن ارتد حتى رجعوا عن ردتهم وكانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية اليربوعية يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيدمناة بن تميم قد تنبت وتبعها نفر كثير منهم الزبرقان ابن بدر، وعطارد بن حاجب بن زرارة ،وشبث بن ربعى وكان مؤذنها، وعمرو ابن الاهتم التميميون، وسارت إلى مسيلمة إلى اليمامة فتزوجها وأقامت عنده ثلاثا وفى ذلك يقول الطرماح بن حكيم الطائى

لعمرى لقد سارت سجاح بقومها   فلما أتت عز اليمامة حلت
فدارسها البكرى حتى استزلها   فأضحت عروساً فيهم قد تجلت
فتلك نبى الحنظليين أصبحت   مضمخة فى خدرها قد تظلت

وقال عطارد بن حاجب بن زرارة :

أمست نبيتنا أنثى نطيف بها   وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

ويريد بالانبياء الاسود العنسى وطليحة بن خويلد ومسيلمة

وجهز أبو بكر الجيوش لغزو الروم بالشأم ، وأمر الأمراء، وهم يزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة ، وكتب الى خالد بن الوليد ، وكان سائرا الى ناحية العراق فى الانضمام اليهم ، فسار معهم فافتتحوا من الشأم بصرى وحوران والبثنية والبلقاء من أعمال دمشق ، ولقيتهم الروم بأجنادين ثم بمرج الصفر ، فهزموا وقتلوا قتلا ذريعاً . وسار المسلمون إلى دمشق ، فنزلوا عليها .

وتوفى أبو بكر وهم محاصروها ، وكانت وفاته بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣ للهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقيل

أكثر من ذلك ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم فى حجرة عائشة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وقيل وعشرين يوما ، وكان طوالا آدم نحيفا خفيف العارضين غائر العينين مشرف الجبهة ناتىء الوجنتين ، يغير شيبه بالحناء والكتم .

وكان كتابه عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم ، ونقش خاتمه « نعم القادر الله » وقاضيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحاجبه شديد مولاه

وكان له من البنين ثلاثة عبد الله المقدم ذكره فى سنة ٨ فى حصار النبي صلى الله عليه وسلم الطائف ، وقد انقرض ولده ، وكان آخرهم اسماعيل بن عبد الله ابن أبى بكر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر وله صحبة والعدد فى ولده منهم الطلحيون بنو طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر أكثرهم بادية منازلهم جادة* والصفينة بقفا من الأيم من جادة العراق حذاء المسلح وأقيعية والغمرة لهم إلى هذا الوقت لهم عدد وقوة ، محمد بن أبى بكر العقب له من القاسم بن محمد ،وكان أحد فقهاء المدينة ومن خيار التابعين ، وعقبه قليل من ولده محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، ومن البنات ثلاث منهن عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسماء أم عبد الله بن الزبير ، ولم يل الخلافة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا أحد أبوه حي إلا أبو بكر ، وكان أبوه أبو قحافة فى الوقت الذى توفى فيه أبو بكر مقيما بمكة ، فلما نعى إليه قال : رزء جليل وورثه السدس وتوفى بعده بسبعة أشهر ، وقيل بستة مكفوفا وله سبع وتسعون سنة .

وكان إسلامه يوم فتح مكة ، وكانت وفاته ووفاة هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أم معاوية بن أبى سفيان فى يوم واحد ، وتوفيت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة

١١ ، وقيل إنها توفيت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر وقيل بستة ، وقيل بسبعين يوما وغير ذلك من الأقاويل .

ثم تنوزع فى سنها ، فقال فريق منهم توفيت ولها ثلاث وثلاثون سنة ، وقال آخرون بل ثلاثون ، وقال آخرون بل تسع وعشرون سنة ، وهذا قول أكثر البيت وشيعتهم وقيل دون ذلك ، وتولى غسلها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ودفنها ليلا بالبقيع وقيل غيره ؛ ولم يؤذن بها أبو بكر وكانت مهاجرة له منذ طالبته بإرثها من أبيها صلى الله عليه وسلم من فدك وغيرها وما كان بينهما من النزاع فى ذلك الى أن ماتت ولم يبايع على عليه السلام أبا بكر رضى الله عنه إلى أن توفيت ؛ وتنوزع فى كيفية بيعته إياه ، وقد أتينا على ما قيل فى ذلك فى كتاب (الاستذكار لما جرى فى سالف الأعصار)

ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وبويع عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ويكنى أباحفص وأمه حنتمة ابنة هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فى الوقت الذى كانت فيه وفاة أبى بكر ففتح الله على يديه أكثر البلاد فجند الأجناد ومصر الأمصار ودون الدواوين وفرض العطاء وكتب التاريخ وسن صلاة التراويح فى شهر رمضان، وقتل بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل أقل من ذلك والأول اشهر ، قتله أبو لؤلؤة الفارسى عبد المغيرة بن شعبة ودفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فى حجرة عائشة ، وقد تنوزع فى كيفية قبورهم وصفاتها فروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لما توفى أبو بكر

دفن إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بين كتفى رسول الله ثم توفى عمر فدفن الى جانب أبى بكر رأسه بين كتفى أبى بكر

وذكر القاسم بن محمد بن أبى بكر قال دخلت على عائشة فقلت يا أمه اكشفى لى عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فكشفت لى عن قبور ثلاثة ليست بالمشرفة ولا هى باللاطئة بالأرض مسطوحة ببطحاء العرصة الحمراء ، قال فرأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم مقدما ، ورأيت أبا بكر رأسه عند رجلى النبي صلى الله عليه وسلم من خلفه ، ورأيت عمر رأسه عند رجلى أبى بكر .

وذكر أبو عبد الله جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن أبيه رضى الله عنهما قال رفعت* القبور من الأرض قدر شبر مربعة مدكنة .

وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية عشر يوما وكان آدم مشرفا على الناس من طوله كأنه راكب أعسر يسرا كث اللحية ، وكان كاتبه زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الارقم ، ونقش خاتمه « كفى بالموت واعظاً ياعمر » وقيل « آمنت بالذى خلقنى » وحاجبه يرفى مولاه : وقاضيه أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية ابن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة، وهو ثور بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ، وقيل إن أول من قضى لعمر بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلى ، وقيل إنه قضى بالمدينة فى أيامه ، وبعد ذلك السائب بن يزيد بن أخت النمر الكندى .

وكان لعمر من البنين تسعة ، عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وزيد الاكبر وعبيد الله المقتول بصفين وعاصم وزيد الاصغر وعبد الرحمن الأصغر وعياض

وعبد الله الأصغر، المعقبون منهم أربعة عبد الله الأكبر وعاصم وعبيد الله وعبد الرحمن الأصغر ، ومن البنات أربع منهن حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان عمر شاور الناس فى التأريخ لأمور حدثت فى أيامه، لم يعرف لها وقت تؤرخ به، فكثر منهم القول، وطال الخطب فى تواريخ الأعاجم وغيرها ، فأشار عليه على بن أبى طالب أن يؤرخ بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتركه أرضَ الشرك، فجعلوا التأريخ من المحرم ، وذلك قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بشهرين واثنى عشر يوما لانهم أحبوا أن يبتدئوا بالتاريخ من أول السنة ، وكان ذلك فى سنة ١٧ أو ١٨ يتنازع الناس فى ذلك .

قال المسعودى : وقد روى الزهرى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا أمر بالتأريخ ، وهذا خبر مجتنب* من حيث الآحاد، ومرسل من عند من لا يرى قبول المراسيل ، وما حكيناه أولا هو المتفق عليه إذ كان ليس فى هذا الخبر وقت معلوم أرخ به ولا نقل كيفية ذلك .

وجعل عمر الأمر بعده شورى فى ستة نفر على وعثمان وطلحة ، وكان غائبا، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص، وجعل معهم ابنه عبد الله ابن عمر مشيرا ومؤامرا وحاكما، وليس له من الأمر شيء وأمهلهم ثلاثة أيام ، وأمر أن يصلى بالناس فيها أبو يحيى صهيب الروم مولى عبد الله بن جدعان التيمى، وكان يقول إنه من النمر بن قاسط ، وإنه صهيب بن سنان، ووكل بهم أبا طلحة زيد بن سهل الأنصارى ، ثم الخزرجى من بنى عدى بن عمرو بن مالك بن النجار وهو زوج أم سليم أم أنس بن مالك فى خمسين رجلا من الأنصار ، وأمره باستحثاثهم وأن لا تمضى الثلاثة أيام إلا وقد أبرموا أمرهم ، وأجمعوا على رجل منهم ، وقال إن اجتمع خمسة وخالف واحد فاقتلوه ، وكذلك إن خالف اثنان

واجتمع أربعة نفر، فان افترقوا فرقتين فكونوا فى الفرقة التى فيها عبدالرحمن بن عوف ، وإن أبت الفرقة الأخرى الدخول فيا اجتمع عليه المسلمون فاقتلوهم ، فعرض عليهم عبد الرحمن أن يخرج أحدهم نفسه ويختار من الباقين واحدا ، فأحجموا عن ذلك . فأخرج نفسه من الأمر على أن يختار أحدهم مكثوا ثلاثة أيام يتراضون ، ثم بايع عبدالرحمن لعثمان ، وكان صهره واستوسق الأمر له بعد خطب طويل، ومنازعة كانت بينهم ، وفى ذلك يقول الفرزدق :

صلى صهيب ثلاثا ثم أرسلها إلى ابن عفان ملكا غير مقسور

ذكر خلافة عثمان بن عفان

وبويع عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ويكنى أبا عبد الله ، وأبا عمرو ، وأمه أروى ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف يوم الجمعة غرة المحرم سنة ٢٤ وقتل بالمدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة ٣٥ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وثمانين وذهب قوم من أهل السير والآثار إلى أن قتله كان يوم الأضحى ، واستشهدوا على ذلك بقول الفرزدق .

عثمان إذ قتلوه وانتهكوا دمه صبيحة ليلة النحر

وبقول أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى وكان عثمانيا

تعاقد الذابحوا عثمان ضاحية فأى ذبح حرام ويحهم ذبحوا

ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم يخشوا على مطمح الكفر الذى طمحوا

وبقول حسان بن ثابت الأنصارى .

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

ودفن بموضع من المدينة يعرف بحش كوكب بضم الحاء ، يضاف إلى رجل

من الأنصار يعرف بكوكب والحش هو البستان فكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوما ، وكان مربوعا حسن الوجه أسمر وافر اللحية يصفرها مشدود الاسنان بالذهب، وكان كاتبه مروان بن الحكم ، وحاجبه حمران مولاه ، وقاضيه زيد بن ثابت الأنصارى ، وقد كتب له وقيل إنه قضى بالمدينة فى أيام عمر السائب بن يزيد ابن أخت النمر الكندى ، وقيل إنه كان على شرطه والأول أثبت

قال المسعودى : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن أحمد ابن الجنيد قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا مسعر عن محارب بن دثار قال لما استخلف أبو بكر قال له عمر بن الخطاب أنا أكفيك القضاء ، فمكث عمر سنة لا يختلف اليه أحد

قال وكيع فأما* أيام عمر فان الصغانى حدثنى عن عفان عن عبد الواحد ابن زياد عن حجاج عن نافع أن عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له أجراً ، وقال يونس عن الزهرى ما اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا ولا أبو بكر ولا عمر ، وقال محمد بن يحيى أبو غسان لم أسمع أحداً من أهل العلم يذكر أن عثمان استقضى أحداً حتى مات

وكان نقش خاتمه « آمنت بالله مخلصا » وقيل « آمنت بالله العظيم » وقيل « لتصبرن أو لتندمن » ولم يزل خاتم النبي صلى الله عليه وسلم باقيا إلى أيامه فسقط من يده فنقش له على هيئته ، فكان خاتم الخلافة متداولا ولكل واحد ممن طرأ بعد خاتم مفرد ينقش عليه ما أحب على ما نحن ذاكروه الى خلافة المطيع فيما يرد من هذا الكتاب .

وقد روى عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق، فكان فى يده ويد أبي بكر ويد عمر ويد عثمان، حتى وقع فى

بئر أريس .

وكان له من البنين تسعة عبد الله الأكبر توفى وله من العمر ست سنين أمه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقدمنا وعبد الله الأصغر وعمرو وعمر وخالد وأبان والوليد وسعيد وعبد الملك، المعقبون منهم خمسة عمرو وكان أكبر ولده، والذين اعقبوا من ولده محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان الملقب بالديباج لحسنه ، أمه فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب وعمر وأبان والوليد وسعيد ، ومن البنات ثمان

وفى السنة التاسعة من خلافته وهي سنة ٣٢ توفى العباس بن عبد المطلب وله ثمان وثمانون سنة ، وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث سنين ، وفيها مات عبد الرحمن بن عوف الزهرى وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وعبد الله بن مسعود ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وله بضع وستون سنة

وفى سنة ٣١ كانت وفاة أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف وقد استوفى سن العباس ثمانيا* وثمانين سنة .

ذكر خلافة على بن أبى طالب

وبويع على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويكنى أبا الحسن وأمه فاطمة ابنة أسد بن هاشم بن عبد مناف فى اليوم الذى قتل فيه عثمان

قال المسعودى : وكان بين بيعته الى وقعة الجمل بالبصرة خمسة أشهر واحد وعشرون يوما، وقتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفا من الأزد أربعة آلاف وقيل دون ذلك، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم من سائر الناس، وقتل من أصحاب

على رضى الله عنه نحو ألف ، وقيل دون ذلك أو أكثر .

وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ ، وبين وقعة الجمل والتقائه مع معاوية للقتال بصفين سبعة اشهر وثلاثة عشر يوما

وكان أول يوم وقعت الحرب بينهم بصفين يوم الاربعاء غرة صفر سنة ٣٧ وتنوزع فى عدة من كان مع على عليه السلام فمكثر ومقلل والمتفق عليه من تنازعهم أنه كان فى تسعين ألفا وكان معاوية فى مائة ألف وعشرين ألفا ، وقيل دون ذلك وأكثر منه ، وقتل بصفين سبعون ألفا من اصحاب على رضى الله عنه منهم خمسة وعشرون ألفا ، منهم خمسة وعشرون بدريا من الصحابة .

منهم عمار بن ياسر العنسى ، عنس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان حليفا لبنى مخزوم ، وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفا وقيل فى عدة من قتل بينهما دون ذلك وأكثر .

وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام والوقائع بينهم تسعون وقيعة وبين وقعة صفين والتقاء الحكمين أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص بدومة الجندل فى شهر رمضان سنة ٣٨ سنة وخمسة أشهر وأربعة وعشرون يوما ، وبين والتقائهما ، وخروج على إلى الخوارج بالنهروان وقتله إياهم سنة وشهران .

وكانت الخوارج أربعة آلاف عليهم عبد الله بن وهب بن الراسبى ، راسب ابن ميدعان بن مالك بن نصر بن الازد ، وليس براسب بن الخزرج بن جدة بن جرم بن ربان بالراء بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، ولا راسب فى العرب من معد وقحطان غير هذين فتفرقوا عند نزول على رضى الله عنهم بأزائهم ودعائه إياهم وبقى عبد الله بن وهب فى ألف وثمانمائة وقيل ألف وخمسمائة ، وقيل ألف ومائتين فقتلوا إلا نفرا قليلا ، وقيل إن السبب فى تفرق من تفرق عنه أن

الخوارج تنادوا عند إحاطة أصحاب على عليه السلام بهم واسراعهم فيهم «ياإخوتنا اسرعوا بنا الروحة الى الجنة» فقال عبد الله بن وهب : فلعلها الى النار فقال من فارقه مرائيا : نقاتل مع رجل شاك . ففارقوه ، وبين خروجه الى الخوارج وقتل عبد الرحمن بن ملجم اليحصبي* وعداده فى مراد اياه سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وكثير من الخوارج لا يتولى ابن ملجم لقتله اياه غيلة ، وبين ذلك وبين أول الهجرة تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وعشرون يوما .

واستشهد بالكوفة فى اول العشر الأواخر من شهر رمضان سنة ٤٠ وتنوزع فى مقدار عمره فذهب قوم الى أنه استشهد وله ثمان وستون سنة .

هذا قول من يذهب إلى أنه أسلم وله خمس عشرة سنة ، وقال آخرون استشهد وله ست وستون سنة ، هذا قول من يذهب إلى أنه أسلم وله ثلاث عشرة سنة . وقال آخرون استشهد وله ثلاث وستون سنة ، هذا قول من يرى أنه أسلم وله عشر سنين .

وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب عند ذكرنا مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهجرته التنازع فى أول من أسلم ، وقول من قال إنه أسلم وله دون ذلك الى خمس سنين ، وهؤلاء يذهبون إلى أنه استشهد وله ثمان وخمسون سنة .

وهذا أقل ماقيل فى مقدار عمره وبينا أغراضهم فى ذلك وقصدهم لازالة فضائله ودفع مناقبه ، وتنوزع فى موضع قبره ، فنهم من قال دفن بالغرى وهو الموضع المشهور فى هذا الوقت على اميال من الكوفة ، ومنهم من قال دفن فى مسجد الكوفة ، ومنهم من قال بل فى رحبة القصر بها ، ومنهم من قال بل حمل الى المدينة فدفن بها مع فاطمة، وغير ذلك من الأقاويل مما قد أتينا على ذكره.

وقد ذكرنا مقاتل آل ابى طالب وأنسابهم ومواضع قبورهم ومصارعهم فى كتابنا (فى اخبار الزمان ، ومن اباده الحدثان ، من الأمم الماضية والاجيال الخالية،

والممالك الدائرة) وفى رسالة البيان من اسماء الأئمة وما قالته الامامية فى ذلك ومقادير أعمارهم وكيفية اعدادهم .

وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام ، وكان أسمر عظيم البطن ، أصلع أبيض الرأس واللحية ، أدعج عظيم العينين ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، تملأ لحيته صدره لايغير شيبه

وكان كاتبه عبيد* الله بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقش خاتمه «الملك لله» وقاضيه شريح وحاجبه قنبر مولاه ، وكان له من البنين أحد عشر ، الحسن والحسين أمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن الحنفية ، وأمه خولة ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد* بن ثعلبة بن يربوع ابن ثعلبة بن الدؤل* بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، وعمر* أمه أم حبيب الصهباء بنت ربيعة بن بجير بن العبد بن علقمة بن الحارث بن عتبة ابن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل ، والعباس أمه أم البنين ابنة حزام* بن خالد بن ربيعة بن الوحيد وهو عامر بن كعب ابن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وعبد الله وجعفر وعثمان ومحمد الاصغر ويكنى أبا بكر ، وعبيد الله ويحيى ، والمعقبون منهم خمسة ، الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس ، ومن البنات ست عشرة ، منهن زينب وأم كلثوم وأمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فالعقب للحسن بن على بن أبى طالب من زيد والحسن ، والعقب لزيد من الحسن بن زيد ، والعقب للحسن بن الحسن من جعفر وداود وعبد الله والحسن ومحمد وابراهيم والعقب للحسين بن على بن أبى طالب من على الاصغر ابن الحسين ، والعقب لعلى بن الحسين من محمد وعبد الله وعمر وزيد والحسين بن على ، والعقب لمحمد بن الحنفية من جعفر وعلى وعون وابراهيم ، والعقب لجعفر

ابن محمد من عبـد الله ولعـلى بن محمد من عون ولعون بن محمد من محمد ولابراهيم بن محمد من محمد

فأما أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وهو أكبر ولده فقد ظن قوم أن له عقبا ولم يعقب ، والعقب لعمر بن على بن أبي طالب من محمد بن عمر ، والعقب لمحمد بن عمر من عمر وعبد الله وعبيد الله وجعفر ، والعقب للعباس بن على بن أبي طالب عليه السلام من عبيد الله بن العباس ، والعقب لعبيد الله من الحسن بن عبيد الله

وكان العقب لأبي طالب بن عبد المطلب من ثلاثة عقيل وجعفر وعلى لأن طالبا الذى به كان يكنى لاعقب له وبين كل واحدمن الاخوة عشرسنين أكبرهم طالب ثم يليه عقيل ثم يلى عقيلا جعفر ويلى جعفراً على ، وكان له من البنات اثنتان أم هانىء وجمانة .

قال المسعودى : فاذ قد بينا ولد أمير المؤمنين على وعقبه فلنذكر ولد جعفر وعقيل والمعقبين منهم ولد جعفر بن أبي طالب عبد الله وعون ومحمد المقتول بصفين التقى وعبيد الله بن عمر بن الخطاب فقتل كل واحدمنهما صاحبه

وإلى هذا ذهب نساب آل أبي طالب وان كانت ربيعة تنكر ذلك ، وتذكر أن بكر بن وائل قتلت عبيد الله بن عمر المعقب منهم عبد الله . وبه كان يكنى وقيل بأبي الفضل والأول أشهر ، والعقب لعبد الله من على واسحق ومعاوية واسماعيل .

وولد عقيل بن أبي طالب يزيد وبه كان يكنى ومحـمداً وسعيداً وجعفراً الأكبر ، وأبا سعيد الأحول ، ومسلم بن عقيل ، وعبد الله الاكبر ، وعبدالله الأصغر ، وجعفراً الأصغر ، وحمزة وعيسى وعثمان وعلياً الأصغر ، المعقب منهم محمد والعقب لمحمد من عبد الله بن محمد .

وما ذكرنا من أنساب آل ابى طالب ، فمن كتاب أنسابهم الذى حدثنا به طاهر بن يحيى بن حسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن أبى طالب عن أبيه ، ومما أخذناه من ذوى المعرفة منهم بأنسابهم .

وما ذكرنا من عقب أبى بكر وعمر وعثمان فمن كتاب أنساب قريش للزبير ابن بكار : وما حدثنا به ابو بكر عبد الله بن محمد المعرى القاضى بمكة ، وابو الحسن احمد بن سعيد الدمشقى الأموى ، وابو الحسين الطوسى وحرمى وغيرهم بمدينة السلام ، ومما أخذناه عن ذوى الدراية منهم بأنسابهم .

ذكر خلافة الحسن بن على عليه السلام

وبويع الحسن بن على بن أبى طالب ، ويكنى أبامحمد وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم — بعد وفاة أبيه بيومين ، وذلك لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٤٠ ، ثم صالح معاوية فى شهر ربيع الاول سنة ٤١ ، وقد رأى قوم أن ذلك كان فى جمادى الآخرة او الاولى من هذه السنة ، والأول أشهر وأصح عندنا من مدة أيامه .

وكانت خلافته إلى أن صالحه ستة أشهر وثلاثة أيام ؛ وهو أول خليفة خلع نفسه وسلم الامر إلى غيره .

وتوفى بالمدينة مسموما فيما ذكر فى شهر ربيع الأول سنة ٤٩ ، وله ست واربعون سنة ، ودفن ببقيع الغرقد مع أمه فاطمة عليها السلام .

وهناك الى هذا الوقت رخامة مكتوب عليها « الحمد لله مبيد الأمم ومحيى الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيدة نساء العالمين والحسن بن على بن أبى طالب ، وعلى بن الحسين بن على ، ومحمد بن على ، وجعفر بن محمد ، رضوان الله عليهم أجمعين » .

وكان الحسن أحد المشبهين برسول صلى الله عليه وسلم على ما ذكرنا من صفته ومن أشبهه فى كتاب (الاستذكار) .

وكان كاتبه عبيد الله بن أبى رافع ، وقاضيه شريح ، وحاجبه سالم مولاه . وقيل قنبر .

ذكر أيام معاوية بن أبى سفيان

وبويع معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، وأمه هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - فى شهر ربيع الأول سنة ٤١ .

وتوفى بدمشق فى رجب سنة ٦٠ وله ثمانون سنة ، ودفن بدمشق فى الموضع المعروف بباب الصغير . وقبره مشهور فى تلك المقبرة ، وقيل بل فى الدار المعروفة بدمشق بالخضراء ، الى هذا الوقت فى قبلة المسجد الجامع ، وفيها الشرطة والحبوس . وكان بها ينزل ومن ولى الامر بعده من بنى أمية ممن سكن بدمشق وان الذى فى مقبرة باب الصغير قبره قبر معاوية بن يزيد بن معاوية .

وكانت أيامه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وأياما ، وكان طويلا مسمنا أبيض كبير العجيزة ، قصير الهامة ، جهم الوجه ، جاحظ العينين ، عريض الصدر ، وافر اللحية ، يخضب بالحناء والكتم .

وكان داهية ذا مكر ، وذا رأى وحزم فى امر دنياه ، اذا رأى الفرصة لم يبق ولم يتوقف* واذا خاف الامر دارى عنه ، وإذا خصم فى مقال ناضل عنه . وقطع الكلام على مناظره .

وكتب له عبيد بن أوس الغسانى ، وسرجون بن منصور الرومى . وعبد الملك ابن مروان فيما قيل ، وعبد الرحمن بن دراج وسليمان بن سعيد مولى خشن* .

وكان نقش خاتمه «لاقوة الا بالله» وعلى قضائه فضالة بن عبيدالأنصارى وحاجبه صفوان مولاه ، وقيل يزيد مولاه .

ومات عمرو بن العاص بن وائل السهمي بفسطاط مصر يوم الفطر سنة ٤٣ وهو وال لمعاوية عليها ، وله تسع وثمانون سنة . وقيل له تسعون سنة .

وانما ذكرنا وفاته لأن كثيرا ممن لا علم له يقول انه توفى بعد معاوية وتوفى اكثرازواج النبي صلى الله عليه وسلم فى ايامه ، منهن اخته ام حبيبة رملة بنت أبي سفيان فى سنة ٤٤ . وحفصة بنت عمر بن الخطاب ٤٥ . وصفية بنت حيي ابن أخطب فى سنة ٥٠ . وجويرية ابنة الحارث المصطلقية فى سنة ٥٦ ، وعائشة ابنة ابى بكر فى سنة ٥٨ . وأم سلمة فى سنة ٥٩ .

ذكر ايام يزيد بن معاوية

وبويع يزيد بن معاوية ، ويكنى أبا خالد — وامه ميسون ابنة بحدل الكلبية من بنى حارثة بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب فى رجب سنة ٦٠

وامتنع من بيعته الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وعبد اللهبن الزبير حين اخذهما عامل المدينة بذلك ، وخرجا الى مكة فأقام ابن الزبير بها ، وشخص الحسين يريد العراق ، حين تواترت عليه كتبهم ، وترادفت رسلهم ببيعته ، والسمع والطاعة له ، فلما قرب من الكوفة وقد قدم اليها ابن عمه مسلم ابن عقيل خذله اهل العراق، ولم يفوا له بما كاتبوه به ، ووافقوه عليه وانفضوا عن مسلم وأسلموه الى عبيد الله بن زياد فقتله . وسير الجيوش الى الحسين مع عمر بن سعد بن ابى وقاص ، فقتل يوم الجمعة لعشر ليال خلون من المحرم سنة ٦١ ، وقيل ان قتله كان يوم الاثنين والاول اشهر وعليه الاكثر .

ودفن بكربلاء من ارض العراق وله سبع وخمسون سنة، وقتل معه من ولد أبيه ستة وهم العباس وجعفر وعثمان ومحمد الاصغر وعبد الله وأبو بكر ومن ولده ثلاثة على الاكبر وعبد الله صبي وأبو بكر بنو الحسين بن على ، ومن ولد الحسن بن على عبد الله والقاسم ، ومن ولد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عون ومحمد ومن ولد عقيل بن طالب خمسة مسلم وجعفر وعبد الرحمن وعبد الله بنو عقيل ومحمد بن ابى سعيد بن عقيل .

وامتنع ابن الزبير من بيعة يزيد ، وكان يسميه السكير الخمير . وأخرج عامله عن مكة وكتب الى اهل المدينة ينتقصه ، ويذكر فسوقه ، ويدعوهم الى معاضدته على حربه ، واخراج عامله عنهم . واخرج اهل المدينة عامله ومروان بن الحكم وولده وغيرهم من بنى امية ، وسيروهم الى الشام فبعث اليهم يزيد مسلم ابن عقبة المرى فى اربعة آلاف ، ومعه زفر بن الحارث الكلابى . وحبيش بن دلجة القينى ، والحصين بن نمير الكندى ، وعبد الله بن مسعدة الفزارى ، وغيرهم من رؤساء الاجناد . وخرج يزيد مشيعاً لهم وموصيا . فقال لمسلم بن عقبة فيما وصاه به : ان حدث بك حدث فالامر الى الحصين بن نمير ، واذا قدمت إلى المدينة فمن عاقك عن دخولها او نصب لك حربا فالسيفَ السيفَ ولا تبقى عليهم وانتهبها عليهم ثلاثا واجهز* على جراحهم . واقتل مدبرهم . وان لم يعرضوا لك، فامض الى مكة فقاتل ابن الزبير . فأرجو ان يظفرك الله به . وانشأ يزيد يقول والرايات تمر ، وقد علا على نشر من الارض ، واحاطت به الخيول :

أبلغ أبا بكر إذ الامر انبرى وانحطت الرايات من وادى القرى

أجمع سكران من القوم ترى أم جمع يقظان نفى عنه الكرى

وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب ، وسار* مسلم الى المدينة وقد احتفر أهلها خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان حفره يوم الاحزاب

وشكوا المدينة بالحيطان ، وقال شاعرهم مخاطبا ليزيد

إن بالخندق المكال بالجـ ـد لضربا يبدى عن النشوات

لست منا وليس خالك منا يامضيع الصلوات للشهوات

فاذا ما قتلتنا فتنصر واشرب الخمر واترك الجمعات

فالتقوا بالحرة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٦٣ وكان على قريش وحلفائهم ومواليهم عبد الله بن مطيع العدوى ابن عم عمر بن الخطاب ، وعلى الانصار وسائر الناس عبدالله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر الانصارى ثم الاوسى ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل عبد الله بن حنظلة فى عدة من المهاجرين والانصار وأبنائهم ومواليهم وحلفائهم وغيرهم من ذلك من قريش والانصار نحو من سبعمائة رجل ومن سائر الناس من الرجال والنساء والصبيان نحو من عشرة آلاف فيما ذكر محمد بن عمر الواقدى صاحب المغازى والسير ، وقيل دون ذلك وأكثر

ودخل مسلم المدينة فأنتهبها ثلاثة أيام وبايع من بقى من أهلها على أنهم قن ليزيد والقن العبد الذى ملك أبواه ، وعبد مملكة الذى ملك فى نفسه وليس أبواه مملوكين غير على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، لأنه لم يدخل فيما دخل فيه أهل المدينة وعلى بن عبد الله بن العباس ، فان من كان فى الجيش من أخواله من كندة منعوه .

فكان ذلك من أعظم الاحداث فى الاسلام وأجلها وأفظعها رزء بعد قتل الحسين بن على بن أبى طالب .

وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق مما يلى قارا والقطيفة طريق حمص فى البر لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٦٤ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

وكانت أيامه ثلاث سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما ، وكان آدم شديد الأدمة ، عظيم الهامة ، بوجهه أثر جدرى بين ، يبادر بلذته ، ويجاهر

بمعصيته ، ويستحسن خطأه ، ويهون الامور على نفسه فى دينه إذا صحت له دنياه .

وكتب له عبيد بن أوس الغسانى ، وزمل بن عمرو العذرى ، وسرجون ابن منصور .

وكان نقش خاتمه « ربنا الله » وقاضيه أبو إدريس الخولانى ، وحاجبه خالد مولاه ، وقيل صفوان .

ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية

وبويع معاوية بن يزيد بن معاوية ويكنى أبا عبد الرحمن ، وإنما كنى أبا ليلى تقريعاً له لعجزه عن القيام بالامر ، وكانت العرب تتمل ذلك بالعاجز من الرجال وفيه قال الشاعر :

إنى أرى فتنة تغلى مراجلها والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

وقيل بل الشعر قديم ، تمثل به الشاعر فى أيامه

وأمه أم خالد ابنة أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة — فى اليوم الذى هلك فيه أبوه يزيد

وتوفى بدمشق فى شهر ربيع الاول سنة ٦٤ ، ودفن بها .

وكانت أيامه أربعين يوما ، وقيل اقل من ذلك ، واكثر ، وكان ربعة من الرجال نحيفا يعتريه صفار .

وكتب له زمل بن عمرو العذرى ، وسليمان بن سعيد الخشنى ، وسرجون النصرانى ، وكان نقش خاتمه « بالله ثقة معاوية » وقاضيه ابو إدريس الخولانى ، وحاجبه صفوان مولاه ،

ذكر أيام مروان بن الحكم

وبويع مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ويكنى أبا عبد الملك وأبا الحكم وأمه آمنة ابنة علقمة بن صفوان بن أمية فى رجب سنة ٦٤ بعد تنازع طويل كان بين شيعة بنى أمية ، ومن يهوى هواهم فى عقد الامر له ، أو لخالد بن يزيد بن معاوية ، وذلك أن الامر اضطرب بعد معاوية بن يزيد بن معاوية .

وبايع الضحاك بن قيس الفهرى وهو أمير دمشق يومئذ عبد الله بن الزبير وكذلك النعمان بن بشير الانصارى بمصر ، وزفر بن الحارث الكلابى بقنسرين وناتل بن قيس الجذامى بفلسطين ، ودعى له على سائر منابر الحجاز ومصر والشأم والجزيرة والعراق وخراسان وسائر أمصار الاسلام إلا طبرية من بلاد الأردن ، فان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي من بنى حارثة بن جناب ، وكان بها، امتنع من الدعاء لابن الزبير والدخول فى طاعته وأراد عقد الأمر لخالد ابن يزيد ، وكان ابن أختهم ، واجتمع بنو أمية وشيعتهم، ومن يميل إليهم من رؤساء الشأم، فتشاوروا فى عقد الامر لخالد بن يزيد ، وأبى آخرون إلا أن يعقدوا لمروان ، إذ كان خالد صبياً لا يقاوم ابن الزبير ومروان شيخ مجرب بقية بنى أمية فى وقته ، وكان تشاورهم بالجابية بين دمشق وطبرية فأجمعوا على عقد الامر له فبويع له بالخلافة ، وجعل الامر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية ، ولعمرو بن سعيد الاشدق بعده .

وخرج الضحاك عن مدينة دمشق فيمن معه من الزبيرية ، واستمد من بالشأم على طاعة ابن الزبير فأمدوه بالجيوش والمال والسلاح ، فصار فى ثلاثين ألفا من قيس بن عيلان ، وغيرهم من مضر وأكثرهم فرسان ، وكان مروان

فى ثلاثة عشرة ألفا من اليمن من كلب وسواهم ، وأكثرها رجالة ، وفى ذلك اليوم يقول مروان :

لما رأيت الناس مالوا جنبا　　والملك لايؤخذ إلا غصبا

أعددت غسان لهم وكلبا　　والسكسكيين رجالا غلبا

وطيئا يأبون* إلا ضربا　　والقين تمشى فى الحديد نكبا

ومن تنوخ مشمخراً صعباً　　بالأعوجيات يثبن وثبا

وإن دنت قيس فقل لا قربا

فالتقوا بمرج راهط ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل الضحاك فى جمع كثير من القيسية ، وانهزم الباقون ، وقيل إنهم أقاموا بالمرج عشرين يوما يقتتلون فى كل يوم ، والحرب بينهم سجال . وان مروان كادهم ، ودعاهم إلى الموادعة والصلح ، فلما اطمأنوا الى ذلك شد عليهم وهم غارون على غير عدة ولا أهبة ، فكان ذلك سبب هزيمتهم ، فكانت هذه الوقعة سبب رد ملك بنى أمية ، وقد كان زال عنهم الى بنى أسد بن عبد العزى . ولذلك رأى قوم أن مروان أول من أخذ الخلافة بالسيف ، وهذه الوقعة من الوقائع المشهورة والايام المذكورة ، واليمانية تفتخر بها على النزارية ، وقد أكثرت شعراؤها الافتخار بذلك ، قال عمرو بن مخلاة الحمار الكلبي :

شفى النفس قتلى لم توسد خدودها　　تلم بها طلس الذئاب وسودها

بأيدى كماة فى الحروب مساعر　　على ضامرات ما تجف لبودها

أبحنا حمى الحيين قيس براهط　　وولت شذاذا واستبيح شريدها

وقال أيضا :

رددنا لمروان الخلافة بعد ما　　جرى للزبيريين كل بريد

فالا يكن منا الخليفة نفسه　　فما نالها إلا ونحن شهود

وقال زفر بن الحارث الكلابى يعتذر من فراره ذلك اليوم :

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... لمروان صدعا بيننا* متنائيا

أتذهب كلب لم تنلها رماحنا ... وتترك قتلى راهط هى ماهيا

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أرينى سلاحى لا أبالك إننى ... أرى الحرب لاتزداد إلا تماديا

فلم تر* منى نبوة قبل هذه ... فرارى وتركى صاحبى ورائيا

ونجاك شدات الأغر كأنما ... يرى الأكم من أجبال سلمى صحاريا

فلما أمنت القوم وامتدت الضحى ... بسنجار أذريت الدموع الذواريا*

فرد عليه جواس بن القعطل الكلبى فقال :

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... على زُفر داء من الداء باقياً

مقيما ثوى بين الضلوع محله ... وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا

دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى ... سيوف جناب والطوال المذاكيا

عليها كأسد الغاب فتيان نجدة ... إذا ما انتضوا عند النزال العواليا

وفى ذلك يقول الفرزدق :

وقد جعلت للحين* فى المرج والقنا ... لمروان أيام عظام الملاحم

رأيت بنى مروان جلت سيوفهم ... عشى كان فى الابصار تحت العمائم

ولو رام قيس غيرهم يوم راهط ... للاقى المنايا بالسيوف الصوارم

ولكن قيسا روغمت* يوم راهط ... بطود أبى العاص الشديد الدعائم

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعى مخاطبا لعبد الملك :

أبوك حمى أمية حين زالت ... دعائمها وأصحر للضراب

وكان الملك قد وهيت قواه ... فرد الملك منها فى النصاب

وقال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم :

أرى أحاديث أهل المرج قد بلغت أقصى الفرات وأهل الفيض والنيل
أموالهم حرة فى الأرض تلقطها فرسان كلب على الجرد المذاليل

ثم سار مروان بعقب ذلك الى مصر ، وهم فى طاعة ابن الزبير ، وكانت له معهم حروب عظيمة قتل فيها خلق كثير من الفريقين الى أن استوسقوا على طاعته ، وأخرجوا عبد الرحمن بن جحدم الفهرى عامل ابن الزبير عنهم .

واستخلف مروان عليها ابنه عبد العزيز وذلك فى سنة ٦٥ وعاد إلى دمشق ، وسرح عبيد الله بن زياد فى جيوش كثيفة للغلبة على الجزيرة والعراق ، وولاه كل بلد يغلب عليه ، فسار فى نحو من ثمانين ألفا ، فلما صار ببلاد الجزيرة بلغه مسير سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجبة وغيرهما فى نحو من أربعة آلاف يطلبون بدم الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ، وكانوا يسمون جيش التوابين حتى صاروا الى عين الوردة ، وهى رأس العين فسرح اليهم عبيد الله ابن الحصين بن نمير وغيرهم من رؤساء الشأم ، فالتقوا بها فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة وأكثر ذلك الجيش ، وتحمل من بقى فى أول الليل راجعين الى الكوفة . وذلك فى هذه السنة وهى سنة ٦٥

وكانت وفاة مروان بن الحكم بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان من هذه السنة ودفن بها ، وله إحدى وستون سنة .

وكانت ولايته تسعة أشهر وأياما ، وكان طوالا أصهب ازرق بعيد الغور يركب الامور بغير رهبة ويمضى التدبير على غير روية

وكتب له ابو الزعيزعة مولاه ، وابن سرجون النصرانى ، وسليمان بن سعيد الخشنى ، وعبيد بن أوس الغسانى

وكان نقش خاتمه « العزة لله » وقيل « آمنت بالله » وقيل « آمنت بالله العزيز الحكيم » وقيل « آمنت بالعزيز الحكيم » وقاضيه ابو إدريس الخولانى

وحاجبه أبو سهيل الاسود مولاه ، وقيل ابو المنهال مولاه .

ذكر ايام عبدالملك بن مروان

وبويع عبد الملك بن مروان ويكنى أباالوليد وأمهعائشة ابنة معاوية بن المغيرة ابن أبى العاص بن أمية فى رجب سنة ٦٥ والحجاز والعراق وفارس وخراسان وما يلى ذلك من البلاد بيد ابن الزبير ، وغلب المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى على الكوفة ، وأظهر الدعاء الى ابن الحنفية ، وتجرد لقتلة الحسين فأباد منهم خلقا كثيراً .

وسار* عبيد الله بن زياد الى الموصل ، وسير المختار إبراهيم بن الأشتر مالك ابن الحارث النخعى للقائه فى اثنى عشر الفا ، فالتقوا بالزاب من ارض الموصل ، فاقتتلوا اقتالا شديدا .

فقتل عبيد الله بن زياد ، والحصين بن نمير السكونى ، وشرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى فى خلق عظيم من اهل الشأم ، وذلك يوم عاشوراء سنة ٦٧ وفى قتل عبيد الله يقول ابن مفرغ الحميرى :

إن الذى عاش ختارا بذمته ومات عبداقتيلَ الله بالزاب

ولم يزل المختار مقيما بالكوفة الى أن سار اليه مصعب بن الزبير فى أهل البصرة ومعه المهلب بن أبى صفرة الأزدى ، ثم العتيكى وغيره من الرؤساء ، فهزمه وحصره فى قصر الامارة بالكوفة ، الى ان خرج مستميتا فى نفر من أصحابه ، فجالد حتى قتل . وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة ، وهى سنة ٦٧ ، ونزل من بقى من أصحاب المختار وهم نحو من ستة آلاف على حكم مصعب فقتلهم جميعا ، وكانوا يسمون الخشبية

قال المسعودى : وسار عبد الملك الى العراق ، فالتقى مع مصعب بن الزبير

بمسكن من ارض العراق ، فقتل مصعب فى جمادى الاولى سنة ٧٢ . وفى ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات ، وكان من شيعة آل الزبير :

إن الرزية يوم مسـ ـكن والمصيبة والفجيعة
بابن الحوارى الذى لم يعده يوم الوقيعة
غدرت به مضر العرا ق وأمكنت منه ربيعة

ووجه بالحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ، واسم ثقيف قسى ابن منبه بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر فى عساكره الى عبيد الله بن الزبير بن العوام ، فحصره بمكة ثم بالمسجد الحرام ، وقتل به يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٧٣ وله ثلاث وسبعون سنة ، وأمر به الحجاج فصلب ، وأمه أسماء ابنة أبى بكر ذات النطاقين أخت عائشة لأمها ، وأبيها وهى يومئذ باقية قد بلغت من السن مائة سنة لم يقع لها سن ولا ابيض لها شعر ولا أنكر لها عقل ، غير أنها ذاهبة البصر ، وكانت مدة أيامه وفتنته مذ مات معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان إلى أن قتل ثمان سنين وتسعة أشهر .

ومما كان فى ايام عبد الملك بن مروان من الحوادث العظيمة والأنباء الجليلة فى الملك خلع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معدى كرب الكندى فى سنة ٨١ ، وكان الحجاج وجهه فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى جيش الطواويس الى سجستان لغزو رتبيل ملك زابلستان ، ففتح كثيرا من بلادهم ، وكتب اليه الحجاج يستعجزه ويغلظ له ؛ فدعا من معه من رؤساء اهل العراق إلى خلع الحجاج ، فأجابوه الى ذلك ؛ لبغضهم الحجاج ، وخوفهم سطوته ، فخلعوه .

وسار عبد الرحمن راجعا لاخراج الحجاج من العراق، ومسألة عبد الملك إبدالهم به ، فلما عظمت جموعه ولحق به كثير من اهل العراق ورؤسائهم وقرائهم ونساكهم عند قربه منها خلع عبد الملك ، وذلك باصطخر فارس وخلعه الناس جميعا وسمى نفسه « ناصر المؤمنين » وذكر له أنه القحطانى الذى ينتظره اليمانية وأنه يعيد الملك فيها ، فقيل له إن القحطانى على ثلاثة أحرف ، فقال اسمى عبد وأما الرحمن فليس من اسمى ، وسار الحجاج للقائه حتى لقيه دون تستر من كور الأهواز بسبعة فراسخ ، فهزم أصحاب الحجاج ، وقتل منهم نحو من ثمانية آلاف . وسار الحجاج الى البصرة ، فنزل الزاوية وسار ابن الأشعث حتى نزل الخريبة ، وذلك فى سنة ٨٣ . فأقاموا يقتتلون نحوا من شهرين ، ثم خرج ابن الاشعث الى الكوفة ليلا ليتغلب عليها فى نفر يسير وأصبح أصحابه ، فبايعوا عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فلقيهم الحجاج فهزمهم ، ولحقوا بابن الأشعث ؛ فخرج ابن الأشعث من الكوفة حتى نزل دير الجماجم ، وسار الحجاج حتى نزل ديرقرة ، وكان كتب الى عبدالملك يستمده فأمده بابنه عبدالله بن عبدالملك وأخيه محمد بن مروان ، فاقتتلوا بدير الجماجم نحوا من اربعة أشهر ، فكانت الوقائع بينهم فيما قيل نحوا من ثمانين وقعة ؛ وابن الاشعث فى نحو من ثمانين الفا ، وقيل اكثر من ذلك . والحجاج فى دون جمعه ولم يكن بعد وقائع صفين أعظم من هذه الحروب ولا أهول من هذه الزحوف ، ثم انهزم ابن الاشعث وأهل العراق ، وقتل منهم جمع كثير ، وسار ابن الأشعث إلى البصرة ، وتبعه الحجاج فخرج عنها ، فكان التقاؤهم بمسكن من أرض العراق ، فهزم اهل العراق وقتلوا قتلا ذريعا ، ومضى ابن الاشعث فيمن تبعه حتى صار إلى سجستان ، وكاتب رتبيل وصار اليه فوجه الحجاج بجيش كثيف الى سجستان . وكتب الى رتبيل بتسليم ابن الاشعث فيمن تبعه ، ورغبه

إن فعل ذلك فى مال جزيل ورفع الاتاوة عنه ويخوفه إن أبى ذلك بقصده وتسرية الجيوش اليه ، فغدر به رتبيل وسلمه إلى صاحب الحجاج فسار به يريده فألقى ابن الاشعث نفسه من فوق قصر من قصور الرخّج فمات ، فأخذ رأسه وصير به إلى الحجاج ، وذلك فى سنة ٨٤ . فوجه به الحجاج إلى عبد الملك فوجه به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر وفى ذلك يقول الشاعر :

يابعد مصرع جثة من رأسها رأس بمصر وجثة بالرخّج

قتلوه بغياً ثم قالوا بايعوا وجرى البريد برأس أروع أبلج

وتوفى عبد الملك بدمشق لعشر خلون من شوال سنة ٨٦ ، ودفن بها وله اثنتان وستون سنة، وقيل أكثر من ذلك ، فكانت أيامه إحدى وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام ، وكان أسمر مربوعا ، طويل اللحية ، يباشر الأمور بنفسه ، متيقظا فى سلطانه ، حازما فى رأيه ، لايكل الأمور فى أعدائه وأهل حربه الى غيره حتى يباشرها بنفسه ، يركب الخطأ فى كثير من أموره فتغره السلامة *

وكتب له قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، وابو الزعيزعة ، وعمرو بن الحارث مولى بنى عامر بن لؤى ، وسرجون بن منصور الرومى

وكان نقش خاتمه « آمنت به مخلصا » وعلى قضائه أبو إدريس الخولانى ، وعبد الله بن قيس بن عبدمناف وحاجبه يوسف مولاه ، وقد حجبه أبو الزعيزعة

وفى أيامه كانت وفاة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بالطائف ذاهب البصر سنة ٦٨ ، وله إحدى وسبعون سنة ، وكان مولده قبل الهجرة بثلاث سنين ، وصلى عليه محمد بن الحنفية أبو القاسم محمد بن على بن أبى طالب ، وتوفى محمد بن الحنفية بالمدينة فى المحرم سنة ٨١ وله خمس وستون سنة ، وصلى عليه أبان بن عثمان ، وهو يومئذ والى المدينة لعبد الملك ، وللكيسانية من الشيعة فيه خطوب كثيرة طويلة ودعاوى كثيرة .

ذكر ايام الوليد بن عبد الملك

وبويع الوليد بن عبدالملك بن مروان ، ويكنى أبا العباس وأمه ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث العبسي بدمشق فى اليوم الذى توفى فيه عبد الملك ، وتوفى بها للنصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦ ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ودفن بها . وكانت مدته تسع سنين وثمانية أشهر وخمسة ايام ، وكان طويلا أسمر أفطس به أثر جدرى ، بمقدم لحيته شيب لم يغيره ، وكان لحانة ، شديد السطوة لا يتوقف عند الغضب، ولا ينظر فى عاقبة، ولا يكلم عند سطوته، تهون عليه الدماء

وكتب له عبدالله بن هلال الثقفي، وصالح بن عبد الرحمن مولى بنى مرة بن عبيد ، والقعقاع بن خليد العبسى ، وسليمان بن سعد الخشنى ، وكان نقش خاتمه « ياوليد إنك ميت » وقاضية أبو بكر محمد بن حزم ، وحاجبه يزيد مولاه .

قال المسعودى : وكانت وفاة الحجاج بن يوسف بن أبى عقيل عامله وعامل أبيه على العراق بواسط العراق فى شهر رمضان سنة ٩٥ قبل وفاة الوليد بتسعة أشهر . و دنت ولايته العراق عشرين سنة . وترك فى بيت المال مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف درهم ، وتولى العراق وخراجها مائة ألف ألف درهم ،فلم يزل بعنته وسوء سياسته حتى صار خراجها خمسة وعشرين ألف ألف درهم ، ونظرت هند ابنة أسماء بن خارجة الفزارى الى الحجاج مسجى ، وكانت امرأته فطلقها فقالت :

ألا يا أيها الجسد المسجى ‏ ‏ ‏ لقد قرت بمصرعك العيون
وكنت قرين شيطان رجيم ‏ ‏ ‏ فلما مت ملك القرين

وكان عدة من قتله الحجاج صبرا سوى من قتل فى زحوفه وحروبه مائة ألف وعشرين ألفا، منهم سعيد بن جبير صاحب عبدالله بن العباس ، ويكنى أبا عبدالله

مولى لبنى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وكان أسود قتله فى سنة ٩٤ لخروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ، وكميل بن زياد النخعى من بنى صهبان صاحب على بن أبى طالب ، وتوفى وفى محبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة ، وكان حبسه حائرا لاشىء فيه يكنهم فيه من حر ولا برد ، ويسقون الماء مشوبا بالرماد .

ذكر ايام سليمان بن عبد الملك

وبويع سليمان بن عبد الملك بن مروان ويكنى أبا أيوب فى اليوم الذى توفى فيه أخوه الوليد ، وأمه ولادة أم أخيه الوليد وهلك وهو معسكر بمرج دابق من أعمال قنسرين ، ممداً لأخيه مسلمة ، وهو على حصار القسطنطينية يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة ٩٩ وله تسع وثلاثون سنة ، وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال ، وكان طويلا أبيض ، جميلا قضيفا ، جعد الشعر لم يشب ، فصيح اللسان ، كثير الأدب ، لين الجانب : شديد العجب بشبابه وجماله ، أكولا ، نهما ، نكاحا ، لا يعجل إلى سفك الدماء ، ولا يستنكف عن مشورة النصحاء ، فيه حسد شديد

وكتب له عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص ، وسليمان بن نعيم الحميرى ، وابن بطريق النصرانى .

وكان نقش خاتمه «آمنت بالله» وعلى قضائه محمد بن حزم وحاجبه أبو عبيدة مولاه وقيل مسلم مولاه .

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله

وبويع عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ويكنى أبا حفص وأمه أم عاصم ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب فى اليوم الذى توفى فيه سليمان ، فوجه الى مسلمة فأقفله عن حصار القسطنطينية ، وقد ذكرنا مدة ما أقام عليها محاصرا لها فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار ملوك الروم بعد ظهور الاسلام فى ملك تيدوس المعروف بالأرمنى

وتوفى عمر بدير سمعان من أعمال حمص مما يلى قنسرين مسموما فيما قيل من قبل أهله يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة ١٠١ وله تسع وثلاثون سنة

وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وكان أسمر ، حسن الوجه ، نحيف الجسم ، حسن اللحية ، غائر العينين ، بوجهه أثر من نفح دابة رمحته فى صباه قد وخطه الشيب ، ومات ولم يخضب .

وكان فاضلا يؤثر الدين على الدنيا ، ويعمل عمل من يخاف يومه ويرجو غده ويقر بتذنبه لما يجرى أهله عليه

وكان كاتبه ليث بن أبى رقية ونقش خاتمه «لكل عمل ثواب» وقيل «عمر يؤمن بالله مخلصا» وعلى قضائه عبدالله بن سعد الأيلى ، وحاجبه مزاحم مولاه ، وقيل حسين .

ذكر أيام يزيد بن عبد الملك

وبويع يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ويكنى أبا خالد ، وأمه عاتكة ابنة يزيد بن معاوية فى اليوم الذى توفى فيه عمر ، وتوفى بأرض البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شعبان سنة ١٠٥ ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، فكانت أيامه أربع سنين وشهرا .

وكان طويلا جسيما أبيض مدور الوجه لم يشب ، فتى الشباب شديد الفخر ظاهر الكبر ، يحب اللهو ، ويستعمل الحجاب ، لا يعرف صوابا فيأتيه ، ولا خطأ فيدعه وكتب له أسامة بن زيد السليحي وزيد بن عبد الله وكان نقش خاتمه « قنى الحساب » وحاجبه سعيد مولاه ، وقيل خالد .

وكان فى أيامه من الكوائن العظيمة فى الملك خلع يزيد بن المهلب بن أبى صفرة إياه ، واسم أبى صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندى بن عمرو بن عدى بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد ، واسمه دراء بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

وكان يزيد فى سجن عمر بن عبد العزيز يطالبه بالاموال التى كان يزيد كتب بها الى سليمان بن عبد الملك ، أنها صارت إليه عند فتحه جرجان وطبرستان ، فلما مات عمر وذلك فى رجب سنة ١٠١ ، هرب يزيد من السجن وصار الى البصرة ، وعليها عدى بن أرطاة الفزارى ، وكان قد سجن عدة إخوة ليزيد حين بلغه مسيره اليه فسامه يزيد تخليتهم فأبى ، واجتمع الى يزيد جمع عظيم وبذل الاموال فكثر تبعه ، وسار الى عدى فقبض عليه وسجنه وغلب على البصرة والأهواز وفارس وكرمان ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، فندب يزيد للقائه أخاه مسلمة بن

عبد الملك، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك فى جيوش كثيفة ،وخرج يزيد بن المهلب عن البصرة فى جموع كثيفة عظيمة ، فالتقوا بالعقر من أرض بابل فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل يزيد وعدة من إخوته فى جمع من أهل العراق وانهزم الباقون ، وذلك فى سنة ١٠٢ ، وقيل إن الذى تولى قتل يزيد القحل بن عياش بن* حسان بن سمير بن شراحيل بن عرين* بن أبى جابر بن زهير بن جناب ، وفى ذلك يقول المسيب بن الرفل* الكلبي مفتخرا :

قتلنا يزيد بن المهلب بعد ما　　تمنيتم أن يغلب الحق باطله

فما كان من أهل العراق منافق　　عن الدين إلا من قضاعة قاتله

وقال رفيع بن أزير الاسدى فى مقتله مخاطبا يزيد بن عبد الله بن مروان :

إليك أمير المؤمنين مسيرنا　　على المقربات والمحذفة البتر

نزيد* أمير المؤمنين بأرضه　　رءوسا جناها بين بابل والعقر

ولاقى يزيد بن المهلب باكرا　　من الموت ساقته الحتوف ومايدرى

وركب من بقى من آل المهلب وأتباعهم السفن حتى صاروا إلى قندابيل من أرض السند فوجه مسلمة هلال بن أحوز المازنى لاتباعهم ، فلحقهم بها ، فقتل منهم جمعا وأسر الباقين ، فكان المهلب عند وفاته استخلف يزيد بن المهلب على عمله وأمر سائر إخوته بالسمع والطاعة له .

وكانت وفاة المهلب بمرو الروز من أرض خراسان فى ذى الحجة سنة ٨٣ وهو على إمرتها يومئذ ، وفيه يقول نهار بن توسعة التميمى :

ألا ذهب العز المقرب لانتقى　　ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرو الروز رهنى ضريحه　　فقد غيبا عن كل شرق ومغرب

ذكر أيام هشام بن عبد الملك

وبويع هشام بن عبد الملك بن مروان ، ويكنى أبا الوليد وأمه ام هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى فى اليوم الذى توفى فيه يزيد ، وتوفى بالرصافة من أرض قنسرين مما يلى البر يوم الأربعاء لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ ، وله ثلاث وخمسون سنة

وكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر وإحدى عشرة ليلة ، وكان ابيض الى الصفرة ماهو ، احول شديد انقلاب العين ، يخضب لحيته بالسواد ، ربعة من الرجال ، حسن البدن خشن الجانب ، شكس الاخلاق ، دقيق النظر ، جامعا للاموال ، قليل البذل للنوال ، متيقظا فى سلطانه ، سائسا لرعيته ، مباشرا للامور بنفسه ، لايغيب عنه شيء من أمر مملكته

وكتب له محمد بن عبدالله بن حارثة الانصارى ، وأسامة بن زيد السليحي ، وسالم مولى سعيد بن عبد الملك

وكان نقش خاتمه « الحكم للحكيم » وعلى قضائه محمد بن صفوان الجمحى ، ونمير بن أوس الأشعرى ، وحاجبه غالب مولاه .

وفى السنة السابعة عشرة من ولايته وهى سنة ١٢٢ ، كان ظهور زيد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب بالكوفة فى نفر يسير ، وعليها يوسف بن عمر الثقفى ، وقد كان بايعه خلق كثير ، ثم قعدوا عنه ولم يفوا له ، فلقيه يوسف ابن عمر فى جموع عظيمة ، فقاتلهم زيد قتالا شديدا إلى ان قتل ومن معه فى صفر من هذه السنة وصلب بالكناسة .

ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك

وبويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويكنى أبا العباس ، وأمه أم الحجاج ابنة محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي في الوقت الذي هلك فيه هشام فقدم نزاروا استبطنها ، وجفا اليمن وأطرحها ، واستخف بأشرافها ؛ وعمد الى خالد القسرى ، وهو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله ابن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق الكاهن بن صعب بن يشكر بن رهم ابن أفرك بن أفصى بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار ، وكان رئيس اليمنية في وقته المنظور إليه منهم ، وكان على العراق وما يليه من الاهواز وفارس والجبال واخوه أسد بن عبد الله على خراسان ، فدفعه الى يوسف بن عمر الثقفي عامله على العراق ، فحمله الى الكوفة وعذبه حتى قتله .

وقال الوليد : عند ذلك يوبخ اليمن ويقرعها ويذكر خالدا ويفتخر بنزار في قصيدة له طويلة أولها :

ألم تهتج فتذكر* الوصالا وحبلا كان متصلا فزالا

وقال :

شددنا ملكنا ببنى نزار وقومنا بهم من كان مالا
وهذا خالد فينا أسيرا ألا منعوه إن كانوا رجالا
عميدهم وسيدهم قديما جعلنا المخزيات له ظلالا

وتتابعت من الوليد فعال أنكرها الناس عليه ، فدب يزيد بن الوليد في الدعاء الى خلعه فأجابته اليمن بأسرها ، وعاضدوه ووثبوا معه على عامل الوليد بدمشق فأجابوه وبايعوا يزيد ؛ ثم ساروا الى الوليد وهو في الحصن المعروف بالبخراء مما يلي البر بين حمص ودمشق فقتلوه ، وذلك يوم الخميس لليلتين بقيتا

من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وله اثنان واربعون سنة ، فأخذوا ابنيه وليى عهده الحكم ، وعثمان ، فقتلا بعد ذلك بدمشق مع يوسف بن عمر الثقفى . فقال الاصبغ بن ذؤالة الكلبي فى ذلك :

من مبلغ قيسا وخندف كلها   وساداتها من عبد شمس وهاشم
قتلنا أمير المؤمنين بخالد   وبعنا وليى عهده بالدراهم

وقال خلف بن خليفة البجلى :

تركنا أمير المؤمنين بخالد   مكبا على خيشومه غيرَ ساجد
وإن سافرالقسرى سفرة هالك   فان أبا العباس ليس بعائد
أقرى معد بالهوان فاننا   قتلنا أمير المؤمنين بخالد

ذكر أيام مروان بن محمد

وبويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، ويكنى أبا عبدالله وأباعبد الملك وأمه امولد، يقال لها زبادة، كانت لابراهيم بن الاشتر النخعى ، فصارت إلى محمد ابن مروان يوم قتل إبراهيم ، وإبراهيم على مقدمة مصعب بن الزبير ، ومحمد على مقدمة أخيه عبد الملك بن مروان ، وقيل انها كانت حاملا من إبراهيم ، فجاءت بمروان على فراش محمد بن مروان ، وكانت بنو أمية تكره أن تولى الخلافة أبناء أمهات الأولاد لأنها كانت ترى أن ذهاب ملكها على يدى ابن امة فكان ذلك مروان بن محمد ، وكانت البيعة له يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ١٢٧ ، ونزل حران من ارض الجزيرة .

وكان جميع من ملك من قبله من بنى أمية ينزلون دمشق ، ومنهم من كان يتبدى ، وكانت ايامه كلها فتنا وحروبا ، ولم تصف له الامور ، وخالفه أهل حمص وخلعوا طاعته ، فحصرهم وحاربهم دفعة بعد اخرى ، وخالفه أهل مصر إلى أن

سير اليهم الجنود ، فعادوا الى طاعته ، وخالفه بنو هشام بن عبد الملك سليمان وأبان وغيرهما مع من انضاف اليهم من بنى امية وحاربوه مرة بعد اخرى ، وخالفه ثابت بن نعيم الجذامى، وأجابه كثيرمن اجناد الشأم كفلسطين وغيرها .

وغلب الضحاك بن قيس الشيبانى من بنى المحلم بن ذهل بن شيبان الخارجى الصفرى على العراق ، ولم يغلب أحدا من الخوارج قبله ولا بعده عليهما ، وسار للقاء مروان فى جيوش عظيمة ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك فى جمع مواليه ورجاله مؤتما بالضحاك تابعا له ، وفى ذلك يقول بعض شعراء الخوارج مفتخرا :

ألم تر أن الله أنزل نصره وصلت قريش خلف بكر بن وائل

فالتقيا بكفرتوثا من بلاد الجزيرة ، وأقاموا يقتتلون أياما كثيرة أشد قتال الى أن قتل الضحاك وخليفته الخيبرى ، وتفرق بقية الخوارج ، وذلك فى سنة ١٢٩ وسارت الخوارج الاباضية من اليمن من قبل عبد الله بن يحيى الكندى الملقب طالب الحق ، عليهم ابوحمزة المختار بن عوف الأزدى، وبلج بن عقبة ، فنزلوا مكة يوم عرفة من هذه السنة ، ووادعهم عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان عامل مكة الى انقضاء الحج ثم هرب وخلاها وسار الى المدينة ، ودخلت الخوارج مكة فجهز عبد الواحد للقائهم جيشا ، أمر عليهم عبد العزيز بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان ، وخرجت الخوارج من مكة ، فالتقوا بقديد فى صفر سنة ١٣٠ فقتل عبد العزيز فى جمع كثير منهم ، من اهل المدينة سبعمائة اكثرهم من قريش، ولم ينج الا الشريد ، فقالت نائحتهم :

ما للزمان وماليه أفنت قديد رجاليه

فلأبكين سريرة ولأبكين علانية

ودخلت الخوارج المدينة ، فغلبوا عليها ثلاثة أشهر ، فوجه مروان للقائهم

عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى ، سعد بن بكر بن هوزان فى اربعة آلاف فالتقوا بوادى القرى ، فقتل بلج وا كثر الخوارج ، ونجا ابو حمزة ، فصار الى مكة ، ولحقه عبد الملك فقتله بها وجمعا من اصحابه ، ولحق بقيتهم بعبد الله بن يحيى ، وسار عبد الملك الى اليمن ، فلقيه عبد الله بن يحيى بنواحى صنعاء فاقتتلا قتالا شديدا ، فقتل عبد الله وا كثر من كان معه ، وذلك فى هذه السنة .

واشتد امر أبى مسلم بخراسان ، وأخرج نصر بن سيار عامل مروان عنها ، وسير قحطبة بن شبيب الطائى فى جيوش كثيفة ، فقتل نباتة بن حنظلة الكلابى عامل مروان على جرجان فى نحو من ثلاثين ألفا ، وعامر بن ضبارة المرى باصبهان فى نحو من اربعين الفا ، وسار فى جيوشه نحو العراق ، وسار يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى عامل مروان للقائه ، فالتقيا بالفرات مما يلى الكوفة ، فهزم ابن هبيرة وغرق قحطبة وسارت المسودة الى الكوفة فبايعوا لابى العباس السفاح .

وسار عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس عم السفاح فى جمع غفير عظيم للقاء مروان .

وسار مروان فى جيوش عظيمة وجموع مهولة وعدد كثيرة ، فالتقيا بالزاب من أرض الموصل يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ١٣٢ ، فهزم مروان واستولى على عسكره ، وقتل من أصحابه جمع عظيم ، فسار حتى أتى الشأم والجيوش تتبعه ، فصار إلى مصر فقتل ببوصير الأشمونين من صعيدها ليلة الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة من هذه السنة وله سبعون سنة ، وقيل أقل من ذلك .

وكانت أيامه إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وأحد عشر يوما .

وكان شديد الشهلة ، أبيض مشربا حمرة ، ضخم الهامة ، والمنكبين ، كبير اللحية ، وكان مجربا صابرا على التعب والنصب ، يغرى بين القبائل ، ويغضب

بين العشائر، ويلقى اموره وهى مدبرة ، ويريد أن يجعلها مقبلة . واصطفى قيس عيلان وانحرف عن اليمن ، وبادأها العداوة فصارت عليه إلبا ، وله حربا

وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد بن عبد الله بن جابر بن مالك بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب .

وكان مفوها بليغا له رسائل مجموعة متناقلة يقتدى بها ويعمل عليها ، ورأيت له عقبا بفسطاط مصر ، يعرفون ببنى مهاجر ، وقد كان منهم عدة يكتبون لآل طولون .

ونقش خاتمه « فوضت أمرى إلى الله » ، وعلى قضائه عثمان بن عمرو البتى ، وحاجبه صقلاب مولاه .

قال المسعودى أبو الحسن على بن الحسين بن على : وكانت مدة ملك بنى أمية على ما قدمنا من التاريخ منذ صالح الحسن بن على معاوية ، وسلم له الأمر إلى أن قتل مروان بن محمد آخر ملوكهم احدى وتسعين سنة وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوما ؛ وتنازع أصحاب السير والتواريخ ومن عنى بأخبار ملوك العالم فى زيادة شهور وأيام فى مدتهم ونقصانها عما ذكرنا والأشهر من ذلك ما قدمنا

وكذلك باين هؤلاء أصحاب كتب الزيجة فى النجوم فيما ذكروه فى كتب زيجاتهم ورسموه من مقادير أيامهم ؛ وقد أتينا على ما قاله كل فريق منهم فى مقادير أيامهم وأيام من كان من بعدهم الى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ فى كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر، فى تحف الاشراف من الملوك وأهل الدرايات) وفى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) وفى كتاب (الاستذكار ، لما جرى فى سالف الأعصار) الذى كتابنا هذا تال له ومبنى عليه وانما الغرض من هذا الكتاب إيراد لمع من ذلك دون الشرح والايضاح ليسهل تدرسه على قارئه ويقرب حفظه على راويه .

ذكر ماجرت عليه أحوال بنى أمية

بعد قتل مروان ، بن محمد وتفرقهم فى البلاد ، وسبب تملك عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام على بلاد الأندلس وولده الى وقتنا هذا وما اتصل بذلك

لما قتل مروان بن محمد بن مروان ، تفرقت بنو أمية فى البلاد ، هربا بأنفسهم ، وقد كان عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب قتل منهم على نهر أبى فطرس ، من بلاد فلسطين ، نحوا من ثمانين رجلا مثلة ، واحتذى أخوه داود بن على بالحجاز فعله ، فقتل منهم نحواً من هذه العدة بأنواع المثل ، وكان مع مروان حين قتل ابناه عبد الله وعبيد الله ، وكانا وليى عهده فهربا فيمن تبعهما من أهلهما ومواليهما وخواصهما من العرب، ومن انحاز اليهم من أهل خراسان من شيعة بنى أمية

فساروا الى أسوان من صعيد مصر ، وساروا على شاطىء النيل الى أن دخلوا أرض النوبة وغيرهم من الأحابش ، ثم توسطوا أرض البجة ميممين باضع من ساحل بحر القلزم ، فكانت لهم مع من مروا به من هذه الأمم ، حروب ومغاورات ، ونالهم جهد شديد وضر عظيم ، فهلك عبيد الله بن مروان فى عدة من كان معهم قتلا وعطشا وضرا ، وشاهد من بقى منهم أنواع الشدائد وضروب العجائب

ووقع عبد الله بن مروان فى عدة ممن نجا معه الى باضع من ساحل المعدن وأرض البجة ، وقطع البحر الى جدة من ساحل مكة وتنقل فيمن نجا معه من أهله ومواليه فى البلاد متسترين راضين أن يعيشوا سوقةً بعد أن كانوا ملوكا ،

فظفر بعبد الله أيام أبى العباس السفاح فأودع السجن ، فلم يزل فيه بقيةَ أيام أبى العباس وأيام المنصور والمهدى والهادى ، فأخرجه الرشيد ، وهو شيخ ضرير ، فسأله عن خبره . فقال : يا أمير المؤمنين ، حبست غلاما بصيراً ، وأخرجت شيخا ضريراً ، فقيل إنه هلك فى أيام الرشيد وقيل بل فى أيام الأمين .

كان عامل افريقية لمروان عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، وكان كاتب مروان وهو بمصر ورغبه فى المصير اليه وذكر له كثرة جنوده وعدده ومنعة بلاده

ثم تعقب الرأى نعلم أن مروان إن قدم صار كأحد أتباعه وجنوده وأن من وراءه المسودة يتبعونه ، فكتب الى مروان يعرفه كراهية من قبله من الجنود لذلك فعوجل ، فقطع النيل ومضى الى الصعيد فقتل هناك ، وقيل إن كتاب عبد الرحمن الذى يستدعيه فيه جاءه ، وقد قطع النيل الى الجانب الغربى لمعاجلة المسودة اياه ، ودخولهم فسطاط مصر ، فمضى الى بوصير الأشمونين من صعيد مصر ليصير الى افريقيـة على طريق الواحات ، فبادرته المسودة بالعبور اليه والبيات فقتل ، وإن عبد الرحمن لم يكتب اليه كتابا يثبطه فيه عن المسير اليه .

وقدم على عبد الرحمن بن حبيب بعد قتله جماعة من بنى أمية يرجون الأمر فى بلاده منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، ولؤى ، والعاص ابنا الوليد بن يزيد

فبلغ عبد الرحمن عن ابنى الوليد شىء أنكره ، ففتك بهما فاشتد خوف عبد الرحمن بن معاوية منه فهرب وقطع المجاز الذى بين أفريقية والأندلس ، الآخذ من بحر أوقيانس المحيط الى بحر الرومى وصار اليها وعاملها يوسف بن عبد الرحمن الفهرى

وقد عظم الخطب من العصبية بين من بها من اليمانية والنزارية ، ودامت عدة سنين ، فطمع فى الغلبة عليها ، وكاتب اليمانية ودعاهم الى نفسه ، وسير بدرا مولاه

اليهم ، فبايعوه وسارعوا الى طاعته وسُرّوا بقدومه

وبلغ يوسف بن عبد الرحمن أمره فسار اليه فى النزارية وغيرهم من أنصاره فاقتتلوا قتالا شديدا ، فهزم يوسف بن عبد الرحمن وقتل أصحابه قتلا ذريعا وذلك فى سنة ١٣٩

واستولى عبد الرحمن على بلاد الأندلس، وهو صقع جليل، ومملكة عظيمة ، يكون مسيرته* نحواً من أربعين يوما فى مثلها، فيه مدن كثيرة وعمائر متصلة

واستقام له الامر بعد أن بذل السيف* فى مخالفته ، فاستوسق الجميع على طاعته ، ولم يكن خطب لأحد من بنى العباس بالأندلس الى ذلك الوقت ، ولاجل ذلك افردنا هذا الباب لتسمية من ملكها إذ كانت مملكة مفردة لبنى امية ؛ ورسوما قائمة الى هذا الوقت ولم يتبدل ولم ينتقل ، فملك عبد الرحمن بلاد الأندلس ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر .

وكانت وفاته غرة جمادى الأولى سنة ١٧٢ فولى بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، سبع سنين وتسعة أشهر ، وكانت وفاته فى صفر سنة ١٨٠.

فولى بعده الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ، سبعا وعشرين سنة وشهراً وخمسة وعشرين يوما ، وتوفى لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٠٦ .

فولى بعده ابنه عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، اثنتين وثلاثين سنة، وأربعة أشهر ، وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٢٣٨

فولى بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما ، وتوفى لليلة بقيت من صفر سنة ٢٧٣

فولى بعده ابنه المنذر بن محمد بن عبد الرحمن سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما . وتوفى للنصف من صفر ٢٧٥

فولى بعده أخوه عبد الله بن عبد الرحمن، خمسا وعشرين سنة، وخمسة عشر

يوما ، وتوفى مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠ .

فولى بعده ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان الى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ خمسا وأربعين سنة ، وبلده عامر ، والعدل فيه شامل

ولم يكن فيمن سمينا من آبائه ممن ملك الأندلس أحد يسمى بامرة المؤمنين وكانوا يسمون « بنى الخلائف » الى أن ملك هو فخوطب بها ، وصدرت عنه الكتب بذلك ووردت ، وخطب له به على المنابر ، وجعل ولاية العهد بعده لابنه الحكم بن عبد الرحمن دون سائر اخوته ، لما تخيل فيه من النجابة ، وتبين من اضطلاعه بالملك وقيامه به

قال المسعودى وقد ذكرنا فى الأخبار المعروفة (بالمسعوديات) التى نسبت الينا وفى كتاب (وصل المجالس) جملا من أخبار من سمينا من ولاة الاندلس وسياستهم وحروبهم مع من يجاورهم من الجلالقة والجاسقس والوشكنش وقرمانيش وغوطس وغيرهم من الافرنجية براً وبحراً .

وما كان من الاندلس من الحروب والفتن مذ افتتحها طارق مولى موسى ابن نصير فى سنة ٩٢ فى ايام الوليد بن عبد الملك إلى وقتنا هـذا ، وعبور طارق مولى موسى اليها ، وقتله لُذريق ملك الاشبان الذين كانوا بالأندلس ، وعبور موسى بن نصير بعده ، وما لقى من الامم ، وشاهد من العجائب وخبر المائدة الذهب ، والبيت الذى كان فيه تيجان ملوكهم السالفة .

وذكرنا فى كتاب (فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف) ما كان ببلاد أفريقية من الحروب والوقائع والزحوف منـذ افتتحت ، وخبر موسى بن نصير ، ومن بها كان بعده من الامراء الى أن أفضى أمر تملكها فى أيام الرشيد

الى إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن تميم بن سوادة التميمى ، وخبره وخبر ولده من بعده إلى أن زال الأمر عنهم باستيلاء ابى عبد الله الشيعي الداعية المعروف بالمحتسب على مملكتهم ، وخروجه فى كتامة من البربر ، وما كان بينه وبين آل الأغلب من الوقائع والزحوف ، وتسليمه الأمر الى عبيد الله ، وقتل عبيد الله إياه .

وما كان من خبره بعد ذلك وبنائه مدينة المهدية وتسييره الجيوش الى بلاد مصر للاستيلاء عليها مرة بعد اخرى ، وذلك فى سنة ٣٠٢، ووفاته ومصير الأمر بعده الى أبى القاسم عبد الرحمن

وخروج أبى يزيد مخلد بن كيداد البربرى الزناتى من بنى يفرن الاباضى ، ثم النكارى فى الاباضية وغيرهم ، وما كان بينهم وبين جيوش أبى القاسم من الوقائع والحروب ومن قتل منهم الى أن غلب على اكثر أفريقية ، وحصاره أبا القاسم فى المهدية إلى أن مات بها .

وخروج ابنه إسماعيل بن أبى القاسم ومواقعته أبا يزيد ، وما كان بينهم من الحروب ، وانفضاض الجيوش عن أبى يزيد وحصره إياه ، إلى أن قتل أبو يزيد لخمس ليال بقين من المحرم سنة ٣٣٦ ، وإن عدة من وقع عليه الاحصاء ممن قتل فى تلك الحروب نحو من أربعمائة ألف

ووفاة اسماعيل ومصير الأمر بعده الى ابنه أبى تميم معد بن اسماعيل الى هذا الوقت ، وغير ذلك من الأخبار مما شرحناه وبيناه فى كتاب (تقلب الدول ، وتغير الآراء والملل) وإنما نذكر فى هذا المختصر لمعاً وجوامع ، استذكارا لما تقدم تأليفه من كتبنا فى هذه المعانى ، وتنبيها عليه .

وقد رأينا بعض المتأخرين ممن ينحرف عن الهاشميين الطالبيين منهم والعباسيين ، ويتحيز إلى الأمويين ، ويقول بامامتهم ، يذكر أنه كانت لمن ملك

من بنى أمية ألقاب كألقاب خلفاء العباسيين ، وذكر فى ذلك روايتين

إحداهما قال روى محمد بن عبد الله بن محمد القرشى ، قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه عن جده . قال حدثنى سابق مولى عبد الملك بن مروان . قال سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول : تلقب أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان « بالناصر لحق الله » ويزيد بن معاوية « بالمستنصر على الربيع* » ومعاوية ابن يزيد « بالراجع الى الله » ومروان بالمؤمن بالله والثانية . قال حدثنا أبو مطرف عن أبيه عن جده . قال : تلقب عبد الملك « بالمؤثر لأمر الله » والوليد ابن عبد الله « بالمنتقم لله » ولقب سليمان بن عبد الملك « بالمهدى » لما احدث من قطع ما كان على المنبر ، وعهده إلى عمر بن عبدالعزيز ، وتلقب هو « بالداعي الى الله » وعمر بن عبد العزيز « بالمعصوم بالله » ويزيد بن عبد الملك « بالقادر بصنع الله » وسمى هشام بن عبد الملك « بالمنصور » وذلك أنه ولد فى الساعة التى ورد الكتاب فيها بما كان من مقتل مصعب بن الزبير ، فلما قدم أبوه جىء به إليه وخبر باسمه ، فقال ليس هذا من أسمائنا بل سموه باسم جده لامه هشام ، ولقبوه المنصور ، فلم يزل على ذلك حتى عهد إليه بزيد ، فلقب « بالمتخير من آل الله » وتلقب الوليد بن يزيد « بالمكتفى بالله » ويزيد بن الوليد « بالشاكر لأنعم الله » وإبراهيم بن الوليد « بالمتعزز بالله » ومروان بن محمد « بالقائم بحق الله » وكان عبد العزيز بن مروان إذ كان ولى عهد يدعى له على المنابر « بالمعظم لحرمات الله » وكان مسلمة بن عبد الملك لما بنى مدينته التى على خليج القسطنطينية سماها مدينة القهر ، وتسمى « بالقاهر بعون الله »

قال المسعودى : وهو إن جاء بهاتين الروايتين فان الكافة على خلافه ، فلو كان الأمر على ماذكر لظهر واشتهر واستفاض ، وجاء فى الأخبار المنقولة القاطعة للعذر والأعمال الموروثة ، فلما لم يذكره الجمهور من حملة الأخبار ونقلة السير

والآثار، ولا دونه مصنفو الكتب فى التواريخ والسير ممن ذكر أخبارهم ووصف أيامهم ممن تولاهم وانحرف عنهم علم أن ذلك لا أصل له

ورأيت فى سنة ٣٢٤ بمدينة طبرية من بلاد الأردن من ارض الشأم عند بعض موالى بنى أمية ممن ينتحل العلم والأدب ويتحيز الى العثمانية كتابا فيه نحو من ثلاثمائة ورقة بخط مجموع مترجم بكتاب (البراهين فى إمامة الأمويين) ونشر ماطوى من فضائلهم أبواب مترجمة ودلائل مفصلة يذكر فيه خلافة عثمان ابن عفان ومعاوية ويزيد ومعاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ومن تلاه من بنى مروان إلى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ثم يذكر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وأن مروان بن محمد نص عليه وعهد بالأمر بعده إليه، وينسق سائر من تملك بالأندلس من بنى أمية من ولد عبد الرحمن المقدم ذكرهم، الى سنة ٣١٠.

وذكر عبد الرحمن بن محمد الوالى عليها فى هذا الوقت، وهو سنة ٣٤٥ ووصف لكل واحد منهم فضائل ومناقب وأموراً استحق بها الامامة، ونصوصاً على أسمائهم وأعيانهم، وادعى الأخبار المتواترة الجائية مجىء الاستفاضة، وعزى ذلك الى شيعة العثمانية ورجال السفيانية وأنصار المروانية، معارضا لأهل الامامة وهم جمهور الشيعة فى المنصوص والنقل، ومستدلا على فساد اقاويل أصحاب الاختيار من المعتزلة والزيدية والخوارج والمرجئة والحشوية والنابتة، ومناقضا لأصحاب النص على أبى بكر من أصحاب الحديث، والبيهسية من الخوارج والبكرية اصحاب بكر بن اخت عبد الواحد وغيرهم، وأتى بمسائل ومعارضات على من ذكرنا وإلزامات.

وذكر من بعد ذلك أخباراً من أخبار الملاحم الآتية والأنباء الكائنة ما يحدث فى المستقبل من الزمان والآتى من الأيام من ظهور أمرهم ورجوع

دولتهم ، وظهور السفيانى فى الوادى اليابس من أرض الشأم فى غسان وقضاعة ولخم وجذام وغاراته وحروبه ومسير الامويين من بلاد الأندلس إلى الشأم ، وأنهم أصحاب الخيل الشهب والروايات الصفر ، وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف ولم يذكر فى هذا الكتاب هذه الألقاب ولا شيئا منها .

ذكر أيام ولد العباس

خلافة أبى العباس السفاح

وبويع أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبدالمطلب ؛ وأمه ريطة ابنة عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان* ابن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقد كان لقب أولا بالمهدى ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢ بالكوفة .

وكان مبدأ الدعوة العباسية بالكوفة وخراسان وغيرها من الأمصار فى سنة ١٠٠ للهجرة ، وذلك أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، كان قدم على سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ فأعجب به ، وقضى حوائجه وصرفه وضم اليه من سمه فى الطريق ؛ فلما أحس بذلك غدا الى محمد بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب ، وهو يومئذ بالحميمة ، وقيل بكرار من جبال الشراة والبلقاء من اعمال دمشق ؛ فأفضى اليه بسرائر الدعوة ، وعرف بينه وبين الدعاة ، وأعلمه

أن الخلافة صائرة الى ولده ، وأن الامر الى ابن الحارثية منهم ، وأمر ببث الدعوة عند تمام المائة سنة للهجرة .

فلما حضرت محمداً الوفاة أوصى إلى ابنه ابراهيم ، فكانت الدعوة اليه ، وسمي الامام، واليه دعا أبو مسلم بخراسان ، فلما وقف مروان بن محمد الجعدى على ذلك كتب إلى عامله بدمشق ، وهو الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم يأمره بتوجيه بعض ثقاته إلى الحميمة أو كرار فيأتيه بابراهيم الامام ، فحمله إلى مروان فحبسه فى المحرم من هذه السنة وهى سنة ١٣٢ ، فقتل فى محبسه بعد شهرين ، وعهد بالامر بعده الى أخيه أبى العباس عبد الله بن محمد وهو ابن الحارثية .

وتوفى أبو العباس بالأنبار فى مدينته التى بناها وسماها الهاشمية يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ١٣٦ وله ثلاث وثلاثون سنة ، وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر ويوما

وكان طويلا أبيض أقنى ، حسن الوجه ، جعد الشعر ، له وفرة ، سديد الرأى ، ماضى العزيمة ، كريم الأخلاق ، متألفا للرجال ، سمحا بالأموال ، يهون عليه أن يأمر بسفك دماء عالم من أعدائه من غير أن يعاين ذلك

قال المسعودى : وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة فى دولة بنى العباس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال ، مولى السبيع من همدان وزر لأبى العباس السفاح ، وكان يقال له وزير آل محمد، وفيه يقول بعض الشعراء

ان المساءة قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جديرا
ان الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا

وقد أتينا على أخباره وسبب قتله فى كتاب (مروج الذهب ، ومعادن الجوهر) وهو أول وزير وزر لبنى العباس وأبوه حي

وكانت ملوك بنى أمية تنكر أن تخاطب كاتبا لها بالوزارة وتقول الوزير مشتق من الوزارة ، والخليفة أجل من أن يحتاج الى الموازرة ، وكانت العرب تسمى وزير الملك من ملوك اليمن والشأم والحيرة الراهن والزعيم والكافى والكامل تريد بذلك أنه مرتهن بالتدبير زعيم بصواب الرأى كف للملك مهمات الأمور كامل الفضائل، وكانت العجم تسمى وزير الملك من ملوكها حامل الثقل ووساد العضد ورئيس الكفاة ومدبر الأمور العظام إذ بهم نظام الامور وجمال الملك وبهاء السلطان وهم الألسن الناطقة عن الملوك وخزان أموالهم وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم، وأعظم الناس غناء عن الملوك والرعية وأولاهم بالحباء والكرامة

وكذلك كان اليونانيون والروم يسمون وزير الملك الذى يدور عليه أمره ويرجع الى رأيه وتدبيره فلما جاء الله بالاسلام ونزل القرآن فيما قص الله من خبر نبيه موسى عليه السلام فى قوله(واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيرا فلم يكن الخلفاء والملوك تستوزر إلا الكامل من كتابها ، والأمين العفيف من خاصتها ، والناصح الصدوق من رجالها ، ومن تأمنه على أسرارها وأموالها ، وتثق بحزمه وفضل رأيه ، وصحة تدبيره فى أمورها واستوزر أبو العباس بعد أبى سلمة أبا العباس خالد بن برمك وكان نقش خاتمه « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن » وقاضيه ابن أبى ليلى الانصارى ثم الأوسى ويحيى بن سعيد الانصارى ، وحاجبه أبو غسان صالح بن الهيثم مولاه

ذكر خلافة ابي جعفر المنصور

وبويع أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس وأمه سلامة ابنة بشير ، مولدة البصرة ، وقيل بربرية - فى اليوم الذى توفى فيه السفاح ، وقتل أبا مسلم القائم بدولتهم ، والمنتقم لهم من عدوهم برومية المدائن فى شعبان سنة ١٣٧

وكان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٤٥ وبايعه خلق كثير من الحاضرة والبادية ، وتسمى بالمهدى ، فوجه اليه المنصور عيسى بن موسى فى أربعة آلاف فالتقوا بظاهر المدينة فقتل محمد فى عدة ممن كان معه ، وذلك فى شهر رمضان من هذه السنة .

وكان ظهور أخيه ابراهيم بالبصرة مستهل شهر رمضان ، فغلب عليها وعلى الأهواز ، وواسط ، وكسكر ، وعظمت جموعه ، وسار يريد الكوفة فوجه المنصور عيسى بن موسى فى العساكر ، فالتقوا بباخمرى على ستة عشر فرسخا من الكوفة يوم الاثنين لأربع بقين من ذى القعدة ، من هذه السنة أيضا فقتل ابراهيم فى جمع كثيف ممن كان معه ، وانهزم الباقون وبعقب قتل محمد وابراهيم لقب بالمنصور

وكانت وفاة المنصور ببئر ميمون على أميال من مكة يوم السبت لست ليال خلون من ذى الحجة سنة ١٥٨ وله ثلاث وستون سنة ، ودفن بالحرم ، وكانت خلافته احدى وعشرين سنة ، واحد عشر شهرا ، وعشرين يوما

وكان طويلا ، أسمر ، نحيفا ، خفيف العارضين يخضب بالسواد ، محنك السن ، حازم الرأى ، قد عركته الدهور ، وحلبت الايام سطوته ، وروى العلم

وعرف الحلال والحرام ، لا يدخله فتور عند حادثة ، ولا تعرض له ونية عند مخوفة ، يجود بالأموال حتى يقال هو اسمح الناس ، ويمنع فى الاوقات حتى يقال هو ابخل الناس ويسوس سياسة الملوك ، ويثب وثوب الاسد العادى ، لا يبالى أن يحرس ملكه بهلاك غيره ، وخلف من الاموال مالم يجتمع مثله لخليفة قبله ولا بعده ، وهو تسعمائة الف الف وستون الف ألف ففرق المهدى جميع ذلك حين أفضى الأمر اليه واستوزر خالد بن برمك مديدة ، ثم غلب عليه أبو أيوب المورياني الخوزى فاستوزره ، وقد أتينا بخبر مقتله وخبر من طرأ بعده من الوزراء فيما سلف من كتبنا ، ثم استوزر مولاه الربيع ، وكتب له عدة غير هؤلاء منهم سليمان بن مجالد وعبد الحميد بن عدى، وابن أبى عطية الباهلى

وكان نقش خاتمه « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن » وعلى قضائه يحيى ابن سعيد الأنصارى ، وأبان بن صدقة ، وعثمان بن عمرو البتى ، وعبد الله بن محمد بن صفوان ، وحاجبه عيسى بن روضة ، وابو الخصيب مرزوق مولاه ، والربيع مولاه قبل أن يستوزره

ذكر خلافة المهدى
محمد بن عبد الله المنصور

وبويع المهدى محمد بن عبدالله المنصور ويكنى أبا عبد الله وامه أم موسى ابنة منصور بن عبد الله بن شهر الحميرى ثم الرعينى فى الوقت الذى توفى فيه المنصور ، وتوفى بالرذ والراق من أرض ماسبذان من الجبال ، لسبع بقين من المحرم سنة ١٦٩ ، وله اثنتان وأربعون سنة

وكانت خلافته عشر سنين وخمسة وأربعين يوما ، وكان حسن الوجه والجسم

أسمر طوالا ، بعينه اليمنى نكتة بياض ، كريما حبيبا ، بذولا للأموال ، حسن العفو ، كريم الظفر ، لا يدخله غفلة عند مخوفة ، ولا يتكل فى الأمور على غير ثقة ، وصولا لأرحامه ، براً بأهله ، فيه لين جانب ، كثير الولاية والعزل لغير سبب ، واستوزر أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعرى الطبرانى من مدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشأم ثم يعقوب بن داود مولى بنى سليم ، ثم أبا صالح الفيض .

وكان نقش خاتمه « الله ثقة محمد وبه يؤمن » وعلى قضائه عافية بن يزيد الأزدى ، وابن علاثة العقيلى . وحجبه الربيع ، والخضر بن سليمان ، والفضل ابن الربيع

ذكر خلافة موسى الهادى بن محمد المهدى

وبويع موسى الهادى بن محمد المهدى ، ويكنى أبا جعفر ، وأمه أم ولد يقال لها الخيزران ابنة عطاء مولدة جُرَش من أرض اليمن فى الوقت الذى توفى فيه المهدى ، وتوفى بعيساباذ نحو مدينة السلام لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ وله خمس وعشرون سنة

وكانت خلافته سنة وشهراً وخمسة وعشرون يوما ، وكان طوالا جسيما ، ابيض ، أفوه ، بشفته العليا بياض ، شجاعا بطلا ، أشد الناس بدنا ، واجرأه مقدماً فى تسرع ، وجبرية ينسب بهما الى الهوج

وكان كاتبه عبيد الله بن ابى زياد بن أبى ليلى ، ثم استوزر الربيع مولاه واستكتب عمر بن بزيع ، وابراهيم بن ذكوان الحرانى

قال المسعودى : هذا قول الأكثر ممن عنى بأخبار خلفاء بنى العباس ووزرائهم وكتابهم

وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح عم ابى الحسن على بن عيسى الوزير فى كتابه فى (أخبار الوزراء) مما شرحه وزاد فيه أبو العباس احمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار أن موسى الهادى استوزر ابراهيم بن ذكوان الحرانى الأعور صاحب طاق الحرانى ببغداد من الجانب الغربى وولى الربيع الأزمة والخاتم

وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى فى كتابه (فى اخبار الوزراء والكتاب) ان الهادى لما قدم مدينة السلام استوزر الربيع مولاه ، ثم صرفه عن الوزارة ، وقلدها ابراهيم بن ذكوان الحرانى ، واقر الربيع على دواوين الأزمة ولم يزل عليها حتى توفى فى سنة ١٦٩ وله ثمان وخمسون سنة فقلد موسى ديوان الأزمة ابراهيم بن ذكوان

وابو عبد الله محمد بن عبدوس احد المتأخرين ممن صنف فى اخبار الوزراء والكتاب ، وكذلك المعروف بابن الماشطة الكاتب ، وابو بكر محمد بن يحيى الصولى الجليس وعلى بن الفتح المعروف بالمطوق صنف من أخبارهم الى سنة ٣٢٠

وكان نقش خاتم الهادى « الله ربى » وعلى قضائه أبو يوسف صاحب أبى حنيفة النعمان بن ثابت ، وهو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب من أنمار بن إراش ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، وعداده فى الأنصار ثم فى بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وسعيد بن عبد الرحمن الجمحي ، وحاجبه الفضل بن الربيع

ذكر خلافة الرشيد

وبويع الرشيد هارون بن المهدى ، ويكنى ابا جعفر وامه الخيزران ام اخيه الهادى فى الوقت الذى توفى فيه الهادى ، وبايع لابنه محمد بن زبيدة بالعهد بعده ثم لعبدالله المأمون بعد محمد ، وولاه الرى وخراسان ، وما اتصل بذلك ، واخذ عليهما العهود والمواثيق بالوفاء ، وكتب عليهما بذلك كتبا بين علقهما فى الكعبة ، ثم بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون ، وجعل امر القاسم للمأمون اذا صار الأمر اليه ، فان رأى إقراره أقره وإن رأى خلعه خلعه

وتوفى بقرية يقال لها سناباذ من طوس من أرض خراسان يوم السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ ، وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر ، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوما .

وكان تام الخلقة جميلا، طويلا أبيض مسمنا ، قدوخطه الشيب ، له وفرة إذا حج حلقها .

وكان كامل الاخلاق سمحا شجاعا كثير الحج والجهاد ، حج فى خلافته ثمانى حجج وغزا ثمانى غزوات ، وتسلط* على الأمور بعد مدة من خلافته ، فأفسد الصنائع ، وأحب جمع الأموال واستوزر البرامكة يحيى بن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل ، ثم نكبهم فى صفر سنة ١٨٧ ، وقتل جعفرا ، وذلك لسبع عشرة سنة خلت من خلافته . ودفع خاتم الخلافة بعد إيقاعه بهم إلى على بن يقطين ، وغلب عليه الفضل بن الربيع ، واسماعيل بن صبيح الى أن مات .

وكان صبيح أبو اسماعيل مولى عتاقة لسالم الأفطس ، وسالم الافطس مولى عتاقة لبنى أمية واختلت أموره بعد البرامكة ، وبان للناس قبح تدبيره وسوء سياسته .

وكان نقش خاتمه « بالله يثق هارون » وقضى له عهده منهم على بن حرملة ، عون بن عبد الله المسعودى ، وحفص بن غياث ، وشريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعى ، ومحمد بن سماعة الحنفى ، وحجبه بشر بن ميمون ، ثم محمد بن خالد بن برمك ، ثم الفضل بن الربيع .

ذكر خلافة الأمين

وبويع الامين محمد بن هارون الرشيد ويكنى أبا موسى وامه زبيدة امجعفر ابنة جعفر بن أبى جعفر المنصور يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ ، وبايع له المأمون بخراسان ، وكتب اليه بالطاعة والخضوع وامتثال أمره ونهيه ، انقياداً الى ماتقدم به العهد فعمل الأمين فى خلعه والاحتيال لذلك وكتب إليه بأمره بتسليم بعض اعماله الى من يرسم له ، فامتنع من ذلك ، فكتب اليه يأمره بالمصير اليه لمعاونته على تدبير ملكه ، فاعتل بأمور ذكرها ، فوجه اليه يسأله تقديم ابنه عليه بولاية العهد ، ويرغبه فى ذلك ويرهبه ، فأبى وقوّى الفضل بن سهل ذو الرئاستين عزمه على محاربته .

فلما عادت الرسل الى الأمين بذلك بايع لابنه موسى « ولقبه الناطق بالحق » وهو يومئذ صبي صغير وسرح على بن عيسى بن ماهان فى خمسين ألفا بأعظم مايكون من القوة والعدد ليجيئه بالمأمون ، فندب المأمون للقائه طاهر بن الحسين ابن مصعب بن زريق بن حمزة الرستمى من ولد رستم بن دستان الشديد وهم موالى خزاعة فى الاسلام واليهم ينتمون فنزل الرى وسار على بن عيسى حتى قرب منهما فالتقيا فاقتتلا قتالا شديدا ، فقتل على بن عيسى وفضت جموعه واحتوى على عسكره وذلك لعشر خلون من شعبان سنة ١٩٥ فحينئذ سلم على المأمون بأمرة المؤمنين وسمي طاهر ذا اليمينين ، وسار طاهر يفتح بلدا بلدا ويكسر من تلقاه

الجيوش إلا أن نزل حلوان فلحق به هرثمة بن أعين فى جيش كثيف ، وكتب اليه المأمون ان يخلى بين هرثمة وبين المسير الى مدينة السلام ويسير هو اليها على طريق الاهواز فسار هرثمة حتى نزل ظاهر الجانب الشرقى من مدينة السلام وسار طاهر فافتتح الاهواز وواسط والمدائن واحتوى على الكوفة والبصرة ونزل بظاهر الجانب الغربى من مدينة السلام وذلك فى سنة ١٩٦ فحاصرها وغادوهم القتال وراوحوهم

وقد كان الحسين بن على بن عيسى بن ماهان قدم من الرقة قبل وصول طاهروهرثمة مدينة السلام فى جيش كثيف، وكان مع عبد الملك بن صالح ابن على بن عبدالله بن العباس ، فلما مات عبدالملك سار الى مدينة السلام لثلاث خلون من رجب من هذه السنة فخلع محمدا ودعا الى المأمون ، فاجابه الناس الى ذلك وسجن محمدا وأمه وولده فى مدينة أبى جعفر ؛ وطلب منه الجند ارزاقهم فلم يكن عنده مايعطيهم ومناهم قدوم هرثمة فأخرجوا محمدا بعد حبس يومين وأعادوه الى حاله وجددوا له البيعة يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة وجاءوه بالحسين بن على فصفح عنه وولاه امره ودفع اليه خاتمه فغدر وهرب يريد هرثمة فلحق فقتل على فرسخ من بغداد على طريق النهروان وأتى محمد برأسه ودخل هرثمة الجانب الشرقى وطاهر الجانب الغربى فى المحرم سنة١٩٨وجد طاهر فى القتال الى ان استولى على اكثر الجانب الغربى وحصر محمدا بمدينة أبى جعفر المنصور .

فراسل الأمين هرثمة خفية* فى المصير اليه ، وكان أوثق عنده من طاهر ، فتأهب هرثمة لذلك ، وصار فى حراقة له إلى بعض المشارع ؛ وركب معه الأمين وعلم طاهر بذلك ، فوجه بعده من خاصته ؛ فرجموا الحرافة ؛ ونجا محمد الأمين سباحة الى الشط ، وصار فى يد بعض أصحاب طاهر ، فقبض عليه ؛ وعرف طاهر

خبره ، فوجه من قتله ، وجاءوه برأسه ، فأنفذه الى المأمون الى خراسان .

وكان مقتله ليلة الاحد لخمس ليال بقين من المحرم من هذه السنة ، وهي سنة ١٩٨ ، وله ثلاث وثلاثون سنة .

وكانت خلافته أربع سنين وسبعة اشهر وعشرة أيام ، وكان حسن الوجه ، تام القامة ، أبيض مسمنا ، صغير العينين ، بعيد مابين المنكبين، شديداً فى بدنه، باسطاً يده بالعطاء ، قبيح السيرة ، ضعيف الرأى ، سفاكا للدماء ، يركب هواه ويهمل أمره ، ويتكل فى جليلات الخطوب على غيره ، ويثق بمن لا ينصحه ، واستوزر الفضل بن الربيع الى أن استتر الفضل لماتبين من اختلال أمر محمد ، ووهاء أمره ، فقام بوزارته من حضر من كتابه ، كاسماعيل بن صبيح ، وغلب عليه عدة من الأولياء ، منهم محمد بن عيسى بن نهيك ، والسندى بن شاهك ، وسليمان بن أبى جعفر المنصور .

وكان نقش خاتمه « نعم القادر الله » ، وقيل « سائل الله لايخيب » ، وقضاته محمد بن سماعة ، ومحمد بن حبيب ، واسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة ، وأبو البخترى وهب بن وهب القرشى . وحاجبه العباس بن الفضل بن الربيع .

ذكر خلافة المأمون

وبويع المأمون عبد الله بن هارون ، ويكنى أبا جعفر ، وامه أم ولد باذغيسية تسمى مراجل — البيعة العامة بعد قتل المخلوع يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم سنة ١٩٨ وبايع للرضا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب بالعهد بعده ، وأزال لبس السواد ولبس بدله الخضرة وأخذ الناس بذلك فاضطرب من بمدينة السلام من الهاشميين ، وعظم ذلك على أهل بغداد عامة وعلى الهاشميين خاصة لزوال الملك عنهم ومصيره الى ولد أبى طالب

فأخرجوا الحسن بن سهل أخاذى الرئاستين ، وكان خليفة المأمون على العراق وبايعوا المنصور بن المهدى فلم يتم له أمر ، وكان مضعفا فبايعوا أخاه ابراهيم ابن المهدى بالخلافة لخمس خلون من المحرم سنة ٢٠٢ ودعى له على المنابر بمدينة السلام وغيرها فوجه الجيوش لمحاربة الحسن بن سهل وهو بناحية المدائن فكانت الحروب بينهم سجالا

وسار المأمون عن مرو يريد بغداد ومعه على بن موسى الرضا وزيره القائم بدولته الفضل بن سهل ذو الرئاستين ، وقتل الفضل بن سهل غيلة فى حمام بسرخس يوم الاثنين لخمس خلون من شعبان من هذه السنة ، فقتل الرضا فى طوس فى أول صفر سنة ٢٠٣

ولما قرب المأمون من بغداد اضطرب على ابراهيم من كان يعتمد على نصرته ، وقعد عنه أكثر من بايعه من الهاشميين وغيرهم فاستتر لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من هذه السنة ، وقال معاتبا للعباسيين

فلا جزيت بنو العباس خيراً ... على رغمى ولا اغتبطت برى
أتوني مهطعين وقد أتاهم ... بوار الدهر بالخبر الجلى
وقد ذهل الحواضن عن بنيها ... وصد الثدى عن فم الصبى
وحل عصائب الاملاك منها ... فشدت فى رقاب بنى على
فضجت أن تشد على رءوس ... تطالبها بميراث النبى

وكانت أيامه منذ بويع الى ان استتر سنة واحدى عشر شهرا وأياما ، ودخل المأمون مدينة السلام يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٢٠٤ وأمر باعادة لبس السواد وتخريق الخضرة بعد ثمانية أيام من قدومه ولم يزل ابراهيم مستترا متنقلا بمدينة السلام الى أن ظفر به فى استتاره ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ٢١٠ فعفا عنه المأمون واعتقل مدة ثم

اطلقه ورد عليه نعمته ، واعاده الى رتبته

وتوفى المأمون على عين البُدَنْدُون من أرض الروم مما يلى طرسوس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ وله تسعة واربعون سنة ودفن بطرسوس فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما ، وكان أبيض يعلوه صفرة أجنى طويل اللحية ضيق الجبين كاملا عالما ، جوادا ، عظيم العفو ، كريم المقدرة ، ميمون النقيبة ، حسن التدبير ، جليل الصنائع ، لا تخدعه الأماني ، ولا تجوز عليه الخدائع ، علمه بما بعد عنه من ملكه كعلمه بما حضره ، وربما حرك منه الغضب فعجل بالعقوبة

واستوزر الفضل بن سهل ، ثم أخاه الحسن بن سهل . فلما أظهر العجز عن الخدمة لعوارض من العلل ، ولزم منزله ، عدل المأمون الى استكتاب كتاب لعلمه بكتابتهم وجزالتهم ، وأنه ليس فى عصرهم من يوازيهم ولا يدانيهم ، فاستوزرهم واحدا بعد واحد

أولهم أحمد بن أبى خالد الأحول . وكان ينوب عن الحسن بن سهل لما تخلف فى منزله ، فلما دعاه المأمون الى أن يستوزره قال « يا أمير المؤمنين اجعل بينى وبين الناس منزلة يرجونى لها صديق ، ويخافنى بها عدوى ، فما بعد الغايات إلا الآفات » ثم أحمد بن يوسف ، ثم أباعباد ثابت بن يحيى ، وعمرو ابن مسعدة بن صول . وكان يجرى مجراهم ، ولا يعده كثير من الناس فى الوزراء

ثم استوزر بعد هؤلاء محمد بن يزداد بن سويد . وتوفى المأمون ، وهو على وزارته ، ولم يملك المأمون بعد الفضل بن سهل كتابه أمره لقيامه بالملك واضطلاعه به ، ولم ير أحد أنه مفتقر الى وزير يشركه فى تدبيره ، ولم يكن يسمى بين يديه أحد من كتابه وزيرا ، ولا يكاتب بذلك ، فلأجل ذلك ترك كثير من الناس ، أن يعد من ذكرنا فى الوزراء ، ورأيت من صنف كتابا .

فى أخبار الوزراء والكتاب ، كأبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، ومحمد ابن يحيى الصولى الجليس ، ومحمد بن عبدوس الجهشيارى ، والمعروف بابن الماشطة الكاتب منهم من عدهم فى الوزراء ، ومنهم من لم يعدهم للسبب الذى بينا .

وكان نقش خاتمه « الله ثقة عبد الله ، وبه يؤمن » وقاضيه محمد بن عمر الواقدى ، ويحيى بن أكثم

وحجابه شبيب بن حميد بن قحطبة ، ثم على بن صالح صاحب المصلى ، ثم محمد بن حماد بن دنقش .

ذكر خلافة المعتصم

وبويع المعتصم محمد بن هارون الرشيد ، ويكنى أبا إسحاق ، وأمه أم ولد تسمى ماردة ـ فى الوقت الذى توفى فيه المأمون .

وكان قدومه الى مدينة السلام ، غرة شهر رمضان سنة ٢١٨ ، وبعث بالأفشين ، وغيره من الامراء ، وقواد العساكر ، لحرب بابك الخرمى بآذربيجان فى سنة ٢٢٠ .

وكان الفتح قد أسر* بابك فى شهر رمضان ، وقيل شوال سنة ٢٢٢ ، وحمل الى سرمن رأى ، فقتل بها فى صفر سنة ٢٢٣ .

فكان من أدركه الاحصاء ممن قتله بابك فى اثنتين وعشرين سنة ، من جيوش المأمون والمعتصم من الأمراء والقواد وغيرهم من سائر طبقات الناس فى فى القول المقلل خمسمائة ألف ، وقيل أكثر من ذلك ، وأن الاحصاء لا يحيط به كثرة .

وكان خروجه فى سنة ٢٠٠ فى خلافة المأمون ، وقيل سنة ٢٠١ بجبل البذّين

من بلاد آذربيجان فى الجاوذانية أصحاب جاوذان بن شهرك الخرمى صاحب بابك وغيرهم.

قال المسعودى : وقد ذكرنا فى كتابنا (فى المقالات فى أصول الديانات) وفى كتاب (سر الحياة) مذاهب الخرمية الكوذكية منهم والكوذشاهية وغيرهم ومن منهم بنواحى اصبهان والبرج وكرج أبى دلف والزَّزّ بن زَّ زّ معقل وزَزّ أبى دلف ورستاق الورسنجان وقسم وكوذشت من اعمال الصيمرة من مهرجان قذق وبلاد السيروان وأربوجان من بلاد ماسبذان وهمذان وماه الكوفة وماه البصرة وآذربيجان وأرمينية وقم وقاشان والرى وخراسان وسائر أرض الأعاجم وغيرها وما بينهم من التنازع ؛ وما بين الفريقين وبين المحمرة والمزدقية والماهانية وغيرهم من الخلاف ، وماجرى* لنا من المناظرات مع من شاهدنا منهم فى هذه المواطن وما ينتظره الجميع فى المستقبل من الزمان الآتى من عود الملك فيهم ، ومن خلع فى الاسلام منهم وظهر من عهد الهرمزان الذى قتله عبيد الله بن عمر بن الخطاب عند وفاة أبيه عمر الى وقتنا هذا وغير ذلك ، واستقصينا الكلام على هؤلاء وغيرهم من أصحاب الاثنين وجميع من قال بالقدم على تباينهم وسائر من خالف التوحيد وباين ملة الاسلام فى كتاب (الابانة فى اصول الديانة) وكتابنا هذا كتاب خبر ، لا كتاب بحث ونظر

وخرج المعتصم الى ارض الروم غازيا فافتتح انقرة ومدينة عمورية فى شهر رمضان سنة ٢٢٣ ، وكان سخطه على الأفشين خيذر بن كاوس الأشروسنى سنة ٢٢٥

وتوفى المعتصم بسر من رأى الخميس يوم لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧ وله ست واربعون سنة وعشرة اشهر وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية اشهر ويومين ، وكان اصهب ابيض حسن الجسم جميل

الوجه مربوعا ، مشربا حمرة عريض الصدر، شديد البدن، طويل اللحية لم يشب ، وكان الرجلَ الذى لايقاس به الرجال قوةَ بدن ، وشدةَ بأس ، وشجاعةَ قلب ، وكرمَ اخلاق ، آثر من استحدث من غلمانه الأتراك على المتقدمين من أوليائه ونصحاء آبائه

وكان يسمى الخليفة المثمن ؛ لأنه الثامن من خلفاء بنى العباس ، وكان مولده سنة ١٧٨ وولى الخلافة سنة ٢١٨ وملك ثمانى سنين وثمانية اشهر وثمانية أيام

وفى قول بعضهم انه مات عن ثمانية بنين ، وثمانى بنات وخلف فى بيت المال ثمانية آلاف ألف دينار ، وثمانية آلاف ألف درهم

وكانت له ثمانية فتوح عظام منها أسر بابك والمازيار بن قارن صاحب جبال طبرستان ، وقهره المحمرة من الخرمية ، وكانوا مائتى الف ، قد غلبوا على بلاد الماهات والجبال ، وعظمت شوكتهم ، واشتد أمرهم ، وأسره البوارج ، وهى مراكب الهند .

وكان فيها منهم عسكر عظيم ، قد غلبوا على ساحل فارس وعمان وناحية البصرة ، ثم إخلاؤه الزط عن البطائح ، وما كانوا غلبوا عليه مما دون البصرة ومما بين البصرة وواسط ، وقطعهم السبيل ، وسفكهم الدماء .

وكانوا خلقا عظيما كثيرا ناقلة عن ناحية الهند لغلاء وقع هناك ، فتنقلوا فى بلاد كرمان وفارس وكور الاهواز الى أن صاروا الى هذه المواضع ، فسكنوها ، وغلبوا عليها ، وعظم أمرهم ، واشتد بأسهم ، فأنزلهم بلاد خانقين وجلولاء من طريق خراسان وبلاد عين زَرْبة من الثغر الشأمى ، ومذ يومئذ صارت الجواميس بالشأم ولم تكن تعرف هنالك .

وقيل إن بدء الجواميس بالثغر الشأمى وسواحل الشأم من جواميس كانت

لآل المهلب ببلاد البصرة والبطائح والطفوف ، فلما قتل يزيد بن المهلب نقل يزيد بن عبد الملك بن مروان كثيرا منها إلى هذه النواحى ، ثم قتله جعفر بن مهرجيش الكردى .

وكان ذا عدة عظيمة بين الموصل وآذربيجان وارمينية ، قد تغلب على البلاد وأخاف السبيل ، وبسط يده فى القتل . ثم هزيمة الأفشين لتوفيل ملك الروم ، ثم فتحه عمورية ، وأسره ياطس بطريقها وهى أعظم مدنهم بعد القسطنطينية ، وقد أتينا على شرح هذه الحروب والوقائع فى كتابنا (فى اخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة)

واستوزر الفضل بن مروان ، وكان كاتبه قبل الخلافة ، ثم أحمد بن عمار ابن شاذى البصرى ، وقيل بل كان خاصا به يتولى عرض الكتب عليه ، ولم يكن وزيراً ، واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات .

وكان نقش خاتمه « الحمد لله الذى ليس كمثله شىء ، وهو خالق كل شىء » وقضاته جعفر بن عيسى الحسنى من ولد الحسن بن أبى الحسن البصرى ، وشعيب ابن سهل ، ومحمد بن سماعة ، وقاضى القضاة أحمد بن ابى دؤاد الايادى .

وكان يذهب فى الفقه مذاهب البصريين ، وهى طريقة الحسن البصرى وعبيد الله بن الحسن العنبرى ، وعثمان البتى والأصم وغيرهم ، وتخلفه أبو الوليد إبنه وحاجباه محمد بن حماد بن دنقش ، وبغا الكبير .

وهو أول خليفة من خلفاء بنى العباس انتقل عن مدينة السلام منذ بناها المنصور .

وكان السبب فى ذلك ، أن أهلها كرهوه وتأذوا بجواره حين كثر عبيده الأتراك ، وغيرهم من الاعاجم ، لما كانوا يلقون منهم ومن غلظتهم ، وربما وثبت العامة على بعضهم ، فقتلوه لصدمهم إياهم فى حال ركضهم ، فأحب التنحى

بهم، والانفراد عن مدينة السلام ، فخرج فى آخر سنة ٢٢٠ الى ناحية القاطول ، فنزل قصراً كان للرشيد هنالك ، وهم أن يبنى فى ذلك الموضع مدينة ، ثم بداله

ولم يزل ينتقل فى تلك النواحى حتى وقع اختياره على موضع سامرا* ، وهو فى بلاد كورة الطيرهان ، فابتدأ بنائها فى سنة ٢٢١ ، وسماها سرمن رأى ، وكملت فى أسرع مدة وعظمت عمائرها ، واتصلت أسواقها وقصورها ، ونقلت اليها الدواوين والعمال وبيوت الأموال ، وقصدها الناس لنزول الخليفة بها وطيبها وحسن موقعها وعمارتها وصنوف مكاسبهم .

وقد ذكر أنها كانت قديمة مسماة بهذا الاسم ، سميت بسام بن نوح ، وأنها كانت آهلة عظيمة عامرة ، فلم تزل تتناقص على مر الزمان

وكان آخر خرابها فى أيام فتنة الأمين والمأمون ، وأن موضع قصر المعتصم ، كان ديراً للنصارى وأراضى ، فابتاعها منهم ، وسرمن رأى آخر المدن العظيمة ، التى أحدثت فى الاسلام ؛ وهى سبع ونحن ذاكروها فى هذا الموضع لما تقتضيه الحال من ذكرها وحسن موقعها عند جمعها واتصال نظمها .

فالأولى منها البصرة ، وكان تمصير عتبة بن غزوان أحد بنى مازن بن منصور إخوة سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر البصرةَ فى المحرم سنة ١٧ للهجرة ، وبنى مسجدها .

ومن الناس من يرى أنها مصرت فى أحد شهرى ربيع سنة ١٦ ، وأن عتبة ابن غزوان ، إنما خرج إليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبى وقاص من حرب الفرس بجلولاء الوقيعة ، وأن عتبة قدم البصرة وهى يومئذ تدعى أرض الهند فيها أحجار بيض فنزل موضع الخريبة

وذهب أبو مخنف لوط بن يحيى الغامدى ، وأبو الحسن على بن محمد المدائنى والهيثم بن عدى وغيرهم ، إلى أن نزول عتبة بن غزوان موضع البصرة كان فى

سنة ١٤ . وأن عمر كان أنفذ عتبة إلى ما هنالك ، لقطع مواد الفرس عن المدائن وما حولها .

قال المسعودى : ومن ههنا أغفل من ذهب إلى أن البصرة مصرت فى هذه السنة .

والثانية الكوفة، تنوزع فى تمصير سعد بن أبى وقاص الكوفة ، فمنهم من قال كان ذلك فى سنة ١٧ ايضا ، والى هذا ذهب الواقدى فى آخرين ، وذهب آخرون إلى أنها مصرت سنة ١٥ .

وأن عبد المسيح بن بُقَيْلة الغسانى دل سعداً على موضعها ، وقال أدلك على أرض ارتفعت عن البق* وانحدرت عن الفلاة .

ولا خلاف بينهم جميعا أن البصرة والكوفة بنيتا بعد فتح المدائن ، دار مملكة فارس ، وخروج الملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز عنها الى حلوان ووقعة جلولاء الوقيعة .

والثالثة فسطاط مصر ، كان تمصير عمرو بن العاص فسطاط مصر سنة ٢٠ وكان مسيره اليها وحروبه مع أهلها سنة ١٩ على مافى ذلك من التنازع .

كذلك ذكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى كتابه فى فتوح البلدان ، وأن اسم الحصن الذى كان قتالهم عليه وهووسط مدينة الفسطاط ، واليوم يعرف بقصر الشمع بابليون* وقيل أليونة ، فسماها المسلمون فسطاطاً لأنهم قالوا هذا فسطاط القوم ومجمعهم

وذكر عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم* المصرى فى كتابه فى فتوح مصر والاسكندرية والمغرب والأندلس وأخبارها ، أن عمراً أقام محاصراً لهم سبعة أشهر إلى أن افتتحها ، وسار الى الاسكندرية ، فلما فرغ من فتحها ، ورأى منازلها وأبنيتها مفروغا منها هم أن يسكنها ، وقال « مساكن قد كفيناها »

فكتب الى عمر يستأذنه فى ذلك ، فسأل عمر الرسول « هل يحول بينى و بين المسلمين ماء ؟ » قال نعم ياأمير المؤمنين النيل ، فكتب عمر الى عمرو « إنى لا أحب أن ينزل المسلمون منزلا يحول الماء بينى و بينهم فى شتاء ولا صيف » فتحول عمرو من الاسكندرية الى الفسطاط .

قال عبد الرحمن وغيره ، وإنما سميت الفسطاط لأن* عمرو بن العاص لما أراد التوجه الى الاسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاط ، فاذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو لقد تحرم بمتحرم ، فأمر به فأقر كما هو ، وأوصى به صاحبَ قصر الشمع

فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالوا أين ننزل ، فقال بعضهم الفسطاط لفسطاط عمرو الذى كان خلفه ، فنزلوا ووضعوا أيديهم فى البناء ، ولم يزل عمرو قائماً حتى وضعوا قبلة المسجد

والرابعة الرملة لما ولى الوليد بن عبد الملك أخاه سليمان جند فلسطين نزل لدّ ، ثم أحدث مدينة الرملة ومصرها .

وكان أول ما بنى قصره والدار التى تعرف بدار الصباغين الى هذا الوقت وأذن للناس فبنوا واحتفر لهم القناة التى تدعى بردة ، وآباراً كثيرة ، واختط للمسجد خطة وبناه ، فولى الأمر قبل استتمامه* ، وبنى قبة* فى أيامه وأتمه عمر ابن عبد العزيز بعده غير انه نقص من الخطة ، وقال « أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذى اقتصرت عليه » كذلك ذكر أحمد بن يحيى البلاذرى .

والخامسة واسط العراق ، كان بناء الحجاج مدينة واسط العراق سنة ٨٣ أو ٨٤ فيما ذكر احمد بن يحيى وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها وكانت أرض قصب ، فلذلك سميت واسط القصب ، وبينها وبين البصرة والكوفة والاهواز وبغداد مقدار واحد ، وهو خمسون فرسخاً

والسادسة مدينة السلام كان ابتداء ابى جعفر المنصور ببناء مدينته المنسوبة اليه فى الجانب الغربى من بغداد سنة ١٤٥ وكان هناك دير عادى مما يلى الصراة وباغ وهو البستان بالفارسية فقيل بغداد لأجل ذلك

وقيل إنه كان موضع صنم يقال له باغ ، قبل ظهور المجوسية وغلبة فارس على هذا الصقع ، والأول أشهر ، كذلك ذكر ابن أبي طاهر فى كتابه فى أخبار بغداد ، وغيره من المصنفين

فلما ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب بالمدينة وأخوه ابراهيم بالبصرة شخص المنصور الى الكوفة ولم يزل مقيما بها إلى أن قتلا فعاد الى بغداد سنة ١٤٦ واستتم بناءها ، وسماها مدينة السلام ، وحول بيوت الأموال والدواوين إليها

ثم بنى للمهدى الرصافة فى الجانب الشرقى من بغداد ، وكان هذا الجانب يدعى عسكر المهدى لمعسكره فيه عند شخوصه إلى الرى ، فلما عاد نزل الرصافة سنة ١٥١ واتصلت الأبنية فى الجانبين جميعا ، ويسمى الجانب الغربى من بغداد الزوراء ، لازورار الناس فى قبلتهم ، والجانب الشرقى الروحاء الى وقتنا هذا والسابعة سرمن رأى ، على ما قدمنا

ذكر خلافة الواثق

وبويع الواثق هارون بن محمد المعتصم ويكنى أبا جعفر ، وأمه أم ولد تسمى قراطيس - فى الوقت الذى توفى فيه المعتصم ، وهو يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧ وتوفى بسرمن رأى يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة ٢٣٢ وهو ابن اثنتين واربعين سنة ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة ايام

وكان أبيض مشربا حمرة ، حسن الجسم ، عريض الصدر ، كث اللحية في عينيه نكتة بياض ، يذهب في كثير من أموره مذاهب المأمون ، شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم ، وأوجدهم السبيل إلى الطعن عليه

وكان وزيره محمد بن عبد الملك الزيات على ما كان عليه في أيام المعتصم ونقش خاتمه « الله ثقة الواثق » وقاضيه أحمد بن ابى دؤاد ، وحجابه حماد بن دنقش، وإيتاخ ، ووصيف

ذكر خلافة المتوكل

وبويع المتوكل جعفر بن محمد المعتصم ، ويكنى أبا الفضل ، وامه ام ولد طخارستانية تسمى شجاع ـ في اليوم الذى توفى فيه الواثق

وبايع لبنيه الثلاثة بولاية العهد بعده: المنتصر ، وابى عبد الله المعتز، وابراهيم المؤيد . وجفا الموالى من الأتراك واطرحهم ، وحط مراتبهم ، وعمل على الاستبداد* بهم والاستظهار عليهم .

وضم إلى وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان نحواً من اثنى عشر الفا من العرب والصعاليك وغيرهم برسم المعتز ، وكان في حجره

وضاق عليهم المال بشركة هؤلاء معهم فيه ، وجعل يجيل الآراء في استئصالهم ، ونال ابنه محمداً بأنواع الذلة والهوان ، فأجمع على قتله ، فواطأوصيفاً وبغا وغيرهم من الموالى على الفتك به ، فأعدوا لذلك عدة من أصاغر الموالى منهم باغر وغيره فقتلوه بمدينته المسماة الجعفرية من سرمن رأى ليلة الاربعاء لثلاث ليال خلون من شوال سنة ٢٤٧ ، وله احدى واربعون سنة ، وكانت خلافته اربع عشرة سنة وتسعة اشهر ، وتسعة أيام

وكان أسمر رقيق البشرة ، يضرب لونه الى الصفرة حسن الوجه ،خفيف

العارضين، كبير العينين ، وكان وسيما مهيبا* الى انغاية ، رفع المحنة ، ومنع الجدل في الدين ، وصفت* له الدنيا فنال منها أعظم الحظ على إيثاره الهزل والمضاحك والأمور التى تشين الملوك

واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات نحوا من أربعين يوماً من خلافته ، ثم قتله واستوزر محمد بن الفضل الجرجرائى ، ثم استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان المروزى ، ووزر وأبوه يحيى بن خاقان حى

وكان نقش خاتمه « جعفر على الله يتوكل » وعلى قضائه يحيى بن أكثم ، وجعفر بن محمد البرجمى ، وعلى حجابته وصيف ، وبغا ، وزرافة

ذكر خلافة المنتصر محمد

وبويع المنتصر محمد بن جعفر المتوكل ، ويكنى أبا جعفر ، وامه ام ولد رومية تسمى حبشية — صبيحة الليلة التى قتل فيها المتوكل

وتوفى بسرمن رأى ، لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨ وله ثمان وعشرون سنة مسموماً فيما قيل ، وأن الموالى لما علموا سوء نيته فيهم ، وانه على التدبير عليهم بادروه بذلك ، فكانت خلافته ستة أشهر ويوماً

وكان مربوعا ، حسن الوجه ، اسمر مسمناً ، ذا شهامة ومعرفة وامساك للمال ، وحفظ له حتى أنكر الناس عليه البخل ، وشدة المنع

واستوزر احمد بن الخصيب الى ان مات ، وكان نقش خاتمه « محمد بالله ينتصر » وقاضيه جعفر بن محمد ، وقيل جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ، وحاجباه وصيف ، وبغا

ذكر خلافة المستعين

وبويع المستعين احمد بن محمد بن محمد المعتصم ، ويكنى أبا عبد الله ، وأمه أم ولد يقال لها مخارق ـ فى اليوم الذى توفى فيه المنتصر ، وغلب على التدبير والأمر والنهي ؛ أوتامش ابن اخت بغا الكبير ، وكاتبه شجاع بن القاسم الى أن شغب الموالى فقتلوه ، وكاتبه للنصف من شهر ربيع الأول سنة ٢٤٩

ولم يزل مقيما بسرمن رأى إلى أن قتل وصيف وبغا باغرَ التركى أحد المتقدمين فى قتل المتوكل ، فشغب الموالى وتحزبوا ، فانحدر ومعه وصيف وبغا إلى مدينة السلام لثلاث خلون من المحرم سنة ٢٥١ وبايع الأتراك بسرمن رأى أبا عبد الله المعتز لحرب من بمدينة السلام ، فكانت الحروب بينهم سنة إلا أياما يسيرة والقيم بأمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أن خلع المستعين نفسه ، وسلم الخلافة الى المعتز لليلتين خلتا من المحرم سنة ٢٥٢ ، وقتل بقادسية سرمن رأى يوم الاربعاء لثلاث ليال خلون من شوال فى هذه السنة ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة

فكانت خلافته منذ بويع الى أن خلع ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما ، ومنذ خلع الى أن قتل تسعة أشهر .

وكان مسمنا ، حسن الوجه ، أسود اللحية ، لين الجانب منقاداً لاتباع مهملات الامور ، شديد الخوف على نفسه ، فأداه خوفه ، وقلة أمنه الى الهرب عن دار ملكه ، وقرار عزه ، وأدبرت الامور عنه .

واستوزر أحمد بن الخصيب ثم سخط عليه فكانت الوزارة مرسومة بأوتامش التركى ، وكاتبه شجاع بن القاسم يدبر الامور ، ثم استوزر بعد قتل أوتامش وشجاع ؛ أحمد بن صالح بن شيرزاد

وكان نقش خاتمه فى الفص المعروف بالجبل « أحمد بن محمد » وقاضيه الحسن بن أبى الشوارب الاموى ، وحاجباه وصيف وبغا .

ذكر خلافة المعتز

وبويع المعتز الزبير بن جعفر المتوكل ، ويكنى أبا عبد الله ، وأمه أم ولد رومية تسمي قبيحة ـ البيعة العامة يوم الخميس لثلاث ليال خلون من المحرم سنة ٢٥٢ بعد خلع المستعين نفسه . وصار اليه وصيف وبغا ، فردهما الى مراتبهما ، ولم يزل يعمل فى الحيلة عليهما الى أن شغب الموالى فقتلوا وصيفا يوم الجمعة سلخ شوال سنة ٢٥٣ .

ثم ركب المعتز فى بعض الليالى ، وقد بلغته عن بغا غرة ليوقع به، فهرب بغا الى نواحى الموصل ، ثم عاد مختفيا فى زورق صغير منحدراً فى دجلة لتدبير يوقعه على المعتز فعلم فظفر به بجسر سر من رأى ، وعرف المعتز خبره فأمر بقتله فقتل سلخ ذى القعدة سنة ٢٥٤ وحمل رأسه إليه ، فغلب على الامر وتفرد بالتدبير صالح بن وصيف ، وكانت نيته للمعتز فاسدة ، وبلغ صالحاً التدبير عليه فقبض عليه وخلع لثلاث ليال بقين فى رجب سنة ٢٥٥

وقتل بسر من رأى لثلاث خلون من شعبان من هذه السنة ، وله اربع وعشرون سنة ، وكانت خلافته منذ خلع المستعين إلى أن خلع هو ثلاث سنين وستة أشهر وأربعة وعشرين يوما

وكان أبيض حسن الوجه ، اسود الشعر ، حسن العينين ، لم ير فى الخلفاء مثله جمالا ، يؤثر اللذات ، ويعدم الرأى ، تدبره امه قبيحة وغيرها

وغلب على اموره وقهر فى سلطانه ، واستوزر جعفر بن محمود الاسكافى ثم عيسى بن فرخانشاه ، ثم أحمد بن اسرائيل

وكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف ، كأنه مرسوم بالوزارة لغلبته على الأمر ، وكان نقش خاتمه « المعتز بالله » وقاضيه الحسن بن أبي الشوارب الأموى ، وعلى حجبته صالح بن وصيف ، وبايكباك

ذكر خلافة المهتدى محمد بن هارون

وبويع المهتدى محمد بن هارون الواثق ويكنى أبا عبد الله وامه ام ولد رومية تسمى قُرْب - يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من رجب سنة ٢٥٥ ، والغالب على الأمر والقيم بالتدبير صالح بن وصيف إلى أن قدم موسى بن بغا الكبير من الرى - وكان هناك عاملا - منكرا ماجرى على المعتز

وكتب اليه المهتدى فى الرجوع من حيث أقبل ، ووجه اليه رسلا فى ذلك فأبى ، وكانت موافاته سر من رأى فى المحرم سنة ٢٥٦ ولما قرب منها اختفى صالح بن وصيف ، وأطلق المهتدى لسانه فى موسى بن بغا ، ونسبه الى المعصية لمجيئه بغير اذن ، الى أن أخذ كل واحد منهما على صاحبه الأيمان والمواثيق بالوفاء والمناصحة ، وطلب صالحا* طلباً حثيثا فظفر به ، وقتل لثمان بقين من صفر من هذه السنة ، وغلظ أمر مساور بن عبد الحميد الشارى مولى بجيلة ببلاد الموصل ، وشهر زور والجبال وغيرها من البلاد ، فتجهز موسى بن بغا للخروج اليه ، ومعه بايكباك فى جيش عظيم فخرجا اليه فلقياه وهزماه وقتلا من أصحابه جمعا فكتب المهتدى الى بايكباك بالفتك بموسى ، وتسلم العسكر ، فاطلع بايكباك موسى على الكتاب ، وسار الى سر من رأى ، لموافقة المهتدى على كتابه ، فلما حصل عنده قبض عليه ، وشغب اصحابه فرمى اليهم برأسه ، وذلك فى رجب من هذه السنة

وخرج ابو نصر بن بغا اخو موسى فخرج فعسكر بخارج سر من رأى فى

جمع من الموالى، فوجه اليه المهتدى فأعطاه الأمان، فلما صار اليه قتله ، فتنكر له الموالى وشغبوا عليه، فخرج لحربهم فى المغاربة والفراعنة والأشروسنية واستنصر بالعامة فهزموه وأسر وبه ضربات مثخنة وقتل بسرمن رأى لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ وله أربعون سنة واربعة اشهر ، وكانت خلافته احد عشر شهرا وثمانية عشر يوما ، وكان مربوعا ، حسن الجسم ، رحب الجبهة ، أشهل العينين ، عظيم البطن ، طويل اللحية ، اجلح

وكان ورعاً ، كاد ان يكون فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أمية هديا* وفضلا وقصدا ودينا فصادف أقواما لايجوز عندهم اخلاق الدين ولا يريدون الا أمر الدنيا، فسفكوا دمه ، وتشتت امورهم بعده

واستوزر فى ايامه على قصرها جماعة كل سلم عليه بالوزارة منهم جعفر بن محمود الاسكافى ، ومحمد بن احمد بن عمار، وسليمان بن وهب ، وكان نقش خاتمه « محمد امير المؤمنين » وقاضيه الحسن بن محمد بن أبى الشوارب ، وحجابه صالح ابن وصيف ، ثم موسى بن بغا ، وعبد الله بن دكين

ذكر خلافة المعتمد

وبويع المعتمد احمد بن جعفر المتوكل، ويكنى أبا العباس، وامه أم ولد تسمى فتيان - يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ فأهمل أمور رعيته وتشاغل بلهوه ولذاته حتى اشفى الملك على الذهاب، فغلب على أمره وتدبير ملكه وسياسة سلطانه اخوه ابو احمد الموفق طلحة بن جعفر المتوكل ، ويسمى بالناصر لدين الله

وصيره كالمحجور عليه ولا امر ينفذ له ولا نهى ؛ فقام بأمر الملك احسن قيام، وقمع من قرب من الاعداء ، واستصلح من نأى، على كثيرما كان يلقى من

اعتراض الموالى وسوء طاعتهم وتشغبهم ، فلم تزل أمور الموفق جارية على ذلك الى ان توفى بمدينة السلام فى صفر سنة ٢٧٨

قال المسعودى : وكان خروج المعتمد من سرمن رأى الى مدينة السلام يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٦٢ فى جيوشه للقاء الصفار فاجتاز بها وصار الى الموضع المعروف باضطربذ* بين السيب ودير العاقول من شاطىء دجلة فكانت الوقعة هناك مع يعقوب بن الليث الصفار يوم الأحد لسبع خلون من رجب من هـذه السنة ، فهزم الصفار واستبيحت عساكره ، وعاد المعتمد الى سرمن رأى فى شعبان من هذه السنة ، وسار الصفار الى جنديسابور من كور الأهواز ، فتوفى بها فى شوال سنة ٢٦٥

وكان مقتل على بن محمد صاحب الزنج ، المنتمى الى آل ابى طالب فى صفر سنة ٢٧٠ وكان ظهوره بالموضع المعروف ببرنخل ناحية المفتح من اعمال البصرة للنصف من شوال سنة ٢٥٤ فى خلافة المهتدى وغلب على البصرة ، واكثر كور الاهواز وما يلى ارجان من ارض فارس وواسط الى الموضع المعروف بالنعمانية وجرجرايا من شاطىء دجلة الى الطفوف ونواحى الكوفة ، وغير ذلك من النواحى ، وكانت ايامه منذ نجم الى ان قتل اربع عشرة سنة واربعة اشهر وتنوزع فى عدة من قتل من اصحاب السلطان وغيرهم من الرجال والنساء والصبيان بالسيف والحرق والغرق والجوع ، فمنهم من يقول ان ذلك الف الف واكثرهم يرى ان ذلك لايحيط به الاحصاء ، ولا يحصره العدد كثرة وعظما ، وادخل رأسه بغداد بين يدى المتضد ، وقد زينت له الطرق وعقدت له القباب ، يوم الاثنين لأربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٧٠

وتوفى المعتمد ببغداد لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩ وله خمسون سنة واشهر ، وقيل ثمان واربعون سنة ، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين

سنة وثلاثة ايام . وكان حسن الجسم ، كبير العينين طويلا جسيما ، طويل اللحية، عظيم الهامة

وولى الخلافة على وجل من اوليائه وحذر من مواليه فرد الأمور اليهم حتى قام بالأمر اخوه ابو احمد الموفق على ماقدمنا ، واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم الحسن بن مخلد بن الجراح ، ثم سليمان بن وهب، ثم الحسن بن مخلد ثانية ، ثم ابا الصقر اسماعيل بن بلبل ، ثم الحسن بن مخلد ثالثة، ثم ابا بكر بن صالح ابن شيرزاد ، ثم اسماعيل بن بلبل ثانية

وكان نقش خاتمه « المعتمد على الله يعتمد » وقاضيه الحسن بن محمد بن أبي الشوارب ، ثم اخوه على بن محمد ، وحجبته يارجوخ التركى ، وكيغلغ ، وحسنج وهو الحسن بن ترتنك ، وخطارمش ، وبكتمر

ذكر خلافة المعتضد

وبويع المعتضد احمد بن طلحة الموفق ويكنى ابا العباس وامه ام ولد تسمى حقير — يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩ وتوفى بمدينة السلام ليلة الأحد وقيل الثلاثاء لثمان بقين وقيل لست ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩ وله سبع واربعون سنة فكانت خلافته تسع سنين وتسعة اشهر واثنين وعشرين يوما

وكان نحيفا ربعة من الرجال حسن اللحية خفيف العارضين يخضب بالسواد سريع النهضة عند الحادثة قليل الفتور ، يتفرد بالأمور ويمضى تدبيره بغير توقف ، ولى الأمر بضبط وحركة وتجربة ، وكف من كان يتوثب ويتشغب من الموالى

واستوزر بعد القبض على الوزير اسماعيل بن بلبل ، عبيد الله بن سليمان بن

وهب ، ثم القاسم بن عبيد الله

وكان نقش خاتمه « الحمد لله الذى ليس كمثله شىء وهو خالق كل شىء » وقاضيه ابو اسحاق اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد مولى الجهاضم من الازد ، وكان مالكى المذهب ، ثم يوسف بن يعقوب ؛ وهو ابن عم اسماعيل وابو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز الحنيفى البصرى على قضاء الشرقية . وحاجبه صالح الامين، ثم خفيف السمرقندى . ولم يل الخلافة من بنى العباس بعد السفاح والمنصور الى وقتنا هذا من لم يكن أبوه خليفة الا المستعين والمعتضد

ذكر خلافة المكتفى

وبويع المكتفى على بن احمد المعتضد، ويكنى أبا محمد وأمه أم ولد يقال لها خاضع وتلقب جيجق فى الوقت الذى توفى فيه المعتضد، وتوفى بمدينة السلام ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٢٩٥ وله احدى وثلاثون سنة وستة أشهر ، وقيل اكثر من ذلك ؛ وكانت خلافته ست سنين وتسعة عشر يوما

وكان دقيقا اسمر اللون اعين قصيرا حسن الشعر واللحية كبيرها ، حسن الوجه والبدن ، أفضى الأمر اليه بعد توطئة أبيه الامور له، فبلى بكثرة الفتوق عليه واضطراب الاطراف . وكان ماله جما، وجيوشه كثيفة ، فقام بتلك الأمور مقتفيا فعال أبيه ، محتذيا طرائقه ، ولم يكن ممن يوصف بشجاعة ولا جبن

واستوزر القاسم بن عبيد الله على ما كان عليه فى أيام المعتضد ، ثم العباس بن الحسن، وزر وابوه الحسن بن ايوب بن سليمان حى

وكان نقش خاتمه كنقش خاتم ابيه المعتضد «الحمد لله الذى ليس كمثله شىء

وهو خالق كل شيء» وعلى قضائه يوسف بن يعقوب وابنه محمد بن يوسف ، وابو خازم ، ثم صير مكانه عبد الله بن على بن أبي الشوارب الاموى ، وحاجبه خفيف السمرقندى ، ثم سوسن مولاه

ومما كان فى أيام المكتفى من الحوادث العظيمة التى يجب ذكرها خروج القرمطى صاحب الشأم المكنى أبا القاسم، المنتمى الى آل ابى طالب ، وليس منهم فى قبائل الكلبيين مما يلى السماوة سنة ٢٨٩ وسار الى ناحية الرقة من بلاد مضر فلقيه سبك الديلمي عاملها فاصطلمه القرمطى ، ومن معه من الجنود ، وسار الى نواحي دمشق فلقيه طغج بن جف الفرغانى عامل دمشق وحمص والاردن لهارون بن خمارويه بن احمد بن طولون صاحب مصر والشأم بالموضع المعروف بوادى القردان والافاعى من اعمال دمشق سلخ رجب سنة ٢٨٩ واول .... * ان معه من القواد.... * لموضع المعروف بالكده.... ن * من شهر ربيع الأول سنة ٢٩٠ فهزمه أيضا * قتل خلقا من اصحابه ، وحصره بدمشق ثلاثة اشهر وعشرين يوما يقاتله أشد قتال والحرب بينهما سجال وتقرمط اكثر من حول دمشق من الغوطة وغيرها وعاضدوه

فوافت عساكر المصريين وانضم اليه طغج فواقعوه بالموضع المعروف بكناكر وكوكبا على يوم من دمشق غرة رجب من هذه السنة ، فقتل القرمطى فى المعركة وانهزم المصريون بعقب ذلك .

فبايع القرامطة اخا له يكنى أبا الحسن ، وعاودوا حصار دمشق ، يغادون أهلها القتال ، ويراوحونهم .

وقد أسلمه سلطانهم ؛ وخرج منهم ؛ ورحل القرمطى عنهم الى حمص يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة .

فأقام بها ، ووجه الى مدينة بعلبك من أعمال دمشق ، فأباد أهلها ، فنهض

المكتفى حينئذ عن مدينة السلام فى عساكره ، وقدم أبا الاغر خليفة بن المبارك ابن خليفة السلمي أمامه ، فنزل أبو الاغر بظاهر مدينة حلب .

ووجه القرمطى سرية كبسته ، فأتت على أكثر من كان معه ، وذلك لعشر بقين من شهر رمضان من هذه السنة .

واجتاحت ما بين حمص وحلب وانطاكية م... * المكتفى ؛ وانهض الجيوش.... * بنواحى البر مما يلى شيزر... * من المحرم سنة ١ . . . . * من أصحابه ، وأسر جمع كثير ، ووقع بين من بقى منهم تحزب ، ففارقهم القرمطى مختفياً ، وعمل بالمصير الى ناحية الكوفة ، فظفر به والى الدالية من أعمال الرحبة ، وسقى الفرات ومعه أربعة نفر أو خمسة .

فقبض عليه وحمل الى المكتفى بالرقة ، فأدخل يوم الاثنين لاربع ليال بقين من المحرم من هذه السنة .

ثم دخل المكتفى مدينة السلام فى أحسن زى وأكمل عدة ، والقرمطى ومن أسر من أصحابه بين يديه يوم الاثنين مستهل شهر ربيع الاول من هذه السنة .

ودخل بعده محمد بن سليمان فى بقية الجنود ، ومعه جمع من الاسارى من أصحاب القرمطى ممن تتبع بالشأم .

ثم قتل القرمطى وأصحابه بالدكة التى بنيت لهم فى المصلى العتيق ظاهر الجانب الشرقى من مدينة السلام لسبع بقين من شهر ربيع الاول من هذه السنة .

فكان ذلك من أجل الفتوح وأعمها سرورا بخواص الناس وعوامهم ، لما أبادوا من الخلق .

وكان ظهووره بالشأم ، وما أباد من عساكر الطولونية ، سبب خروج محمد بن سليمان الى مصر ، وفتحه إياها وتشتيت أمر آل طولون وانحلال دولتهم وزوال

مدتهم، وكان دخوله إياها يوم الخميس مستهل شهر ربيع الاول سنة ٢٩٢ فكانت مدة دولة بنى طولون سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر وسبعة أيام .

ثم خرج قرمطى آخر ، يكنى أبا غانم فى جمع من كلب ايضا بنواحى الشأم فى سنة ٢٩٣ .

وقوى أمره وكثر اتباعه ، وصار الى نواحى أذرعات وبصرى من حوران والبثنية من أعمال دمشق .

وعاث وقتل وسبى وصار الى مدينة طبرية من بلاد الاردن ، فدخلها بالسيف ، وقتل أميرها جعفر بن ناعم ، وكثيرا من الجند والعوام

فجرد السلطان للقائه الحسين بن حمدان التغلبى ، فلقيه بالموضع المعروف بخندف من أعمال دمشق .

فجرت بينهما وقعة تكافآ* فيها ، ثم كانت للحسين عليهم ، فانكشف القرمطى منهزما فى البرية ، وذلك فى شعبان من هذه السنة ، وفى ذلك يقول بعض بنى كلاب .

لولا حسينٌ يوم وادى خندف وخيله ورجله لم تشتف
نفس أمير المؤمنين المكتفى

فى كلمة له طويلة يصف صاحب هذه الوقعة ، وما كان فيها ، وأفعال القرامطة بالشأم

وسار القرمطى الى هيت ، فقتل من أهلها وضربها بالنار ، وارتحل عنها متوجها الى ناحية البر .

وأنفذ المكتفى عدة قواد لطلبه منهم محمد بن اسحاق بن كنداجيق ، ومؤنس الخازن المعروف بالفحل ، وغيرهما ، فاختلفت كلمة من كان معه من الكلبيين وخافوا الفناء لاحاطة العسكر بهم .

فقتله بعضهم غيلة ودفن ليلا ، وتفرق من كان معه ، وصار بعض زعماء كلب ويكنى أبا الذئب برأس القرمطى وكفيه ، الى محمد بن اسحاق بن كنداجيق فأنفذه بما معه الى الحضرة ، وأظهر الرأس بها يوم الاربعاء لخمس خلون من شوال من هذه السنة .

وكان خروج ذكرويه بن مهرويه فى الكلبيين ، وغيرهم فى هذه السنة أيضا ، وهى سنة ٢٩٣ .

وكان من أهل الموضع المعروف بالصوأر على أربعة أميال من القادسية عرضا فى البر .

وقيل إنه أبو من قدمنا ذكره من القرامطة الناجمين بالشأم ، وقيل كان قبل خروج عبدان صاحب دعوة القرامطة بسواد الكوفة ، وصار الى مصلى الكوفة فى يوم النحر من هذه السنة ·

وعليها إسحاق بن إبراهيم وإسحاق بن عمران ، فقتل من أصحاب السلطان وغيرهم جماعة ، وأثاب أصحاب السلطان والرعية فكشفوهم ، واستمد إسحاق ابن عمران السلطان ، فسار إلى الكوفة رائق المعتضدى ، ومعه بشر الأفشينى وجنى الصفوانى الخادمان فلقوه بالقرب من الصوأر ، فكانت عليهم ، وأتى على أكثر الجيش ، وذلك فى آخر ذى الحجة من هذه السنة .

وتلقى الحاج مرجعهم ، فكان أول من لقى منهم قافلة الخراسانية ، وكانت عظيمة بالمنزل المعروف بواقصة ، فأتى عليهم .

ثم سار إلى المنزل الثانى من هذا المنزل ، وهو المنزل المعروف بالعقبة ، فأوقع بقافلة السلطان ، وعليها مبارك القمى وأبو العشائر أحمد بن نصر العقيلى ، وقد كان ولى الثغور الشأمية ، فقتلهما وسائر من كان معهما من الأولياء والرعية ، ثم لقى قافلة السلطان الثالثة التى فيها الشمسية فى الموضع المعروف بالطليح من الهبير ،

وذلك بين الثعلبية والشقوق فى الرمل ، فأتى على من كان فيها من الامراء كنفيس المولدى وأحمد بن سيما وغيرهما من القواد والاولياء وسائر أصناف الناس من سائر الامصار .

وكان عدة من قتل فى هذه القافلة الاخيرة أكثر من خمسين ألفا دون من قتل قبلها من أهل القوافل .

وسار وصيف بن صوارتكين الخزرى ، والقاسم بن سيما عن القادسية ، لطلبه فى جيش كثيف من بنى شيبان ، وغيرهم من الاولياء . فالتقوا بين الكوفة والبصرة على الماء المعروف باوم ، يوم الاحد لست ليال بقين من شهر ربيع الاول سنة ٢٩٤ فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهزم أصحاب ذكرويه ، وأخذهم السيف وأسر وبه ضربات ، فمات من الغد ، وأدخل إلى مدينة السلام ميتا ، قد شد على جمل ، ومن أسر معه من أصحابه ، ورؤوس من قتل منهم يوم الاثنين ، لتسع خلون من شهر ربيع الاول من هذه السنة .

ذكر خلافة المقتدر

وبويع المقتدر جعفر بن أحمد المعتضد ، ويكنى أبا الفضل . وقيل إن اسمه إسحاق ، وإنه إنما اشتهر بجعفر لشبهه بالمتوكل ، وأمه أم ولد رومية ، تسمى شغب ، يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٢٩٥

ولأربعة أشهر من خلافته أجمع جماعة من قواده وكتابه ، فيهم الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبى ووصيف بن صوارتكين الخزرى ، ومحمد بن داود بن الجراح ، وعلى بن عيسى وغيرهم من رؤساء الاجناد ، ووجوه

الكتاب على خلعه ، والبيعة لعبد الله بن المعتز .

ففتك الحسينُ بن حمدان بالعباس بن الحسن ، وقُتل معه فاتك المعتضدى لمنعه عنه ، وخلعوا المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز ، يوم السبت للنصف من شهر ربيع الاول سنة ٢٩٦ ، وأقاموا على ذلك يوما وليلة ، ولم يزل المقتدر عن سرير ملكه ، ولا أخرج من دار الخلافة .

ثم أثاب* عدة من خواص الغلمان ، فحاربوا شيعة ابن المعتز ، فشتتوهم وهربوا على وجوههم ، وقتل منهم جمع كثير ، وقبض على ابن المعتز ، فقتل .

وصفا الامر للمقتدر ، ثم خلع بعد ذلك ، وأزيل عن سرير ملكه ، وأخرج عن دار الخلافة للنصف من المحرم سنة ٣١٧ .

وبويع أخوه القاهر ، وجلس على سرير الملك ، وسلم عليه بالخلافة .

وكان من الذين سعوا فى خلعه أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان بن حمدون ونازوك المعتضدى ، وغيرهما من رؤساء القواد ، ووجوه الاجناد ، وأدخلوا معهم فى الامر مؤنسا الخادم المظفر على كره منه ، ثم أثاب عدة من الرجال ، ففتكوا بنازوك فى الدار ، ونادوا باسم المقتدر ، وقتل أبو الهيجاء ، وتبايع أشياع المقتدر وخواصه ، فأعيد إلى سرير ملكه ، وجددت له البيعة ، وصفا له الامر ، وذلك فى يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم من هذه السنة .

ثم فسدت الحال بينه وبين مؤنس الخادم ، فخرج مؤنس الى الموصل ، ولحقه أكثر الجيش ، فعاد الى مدينة السلام .

وخرج المقتدر فيمن بايعه من الجيوش لقتاله ، فقتل بظاهر مدينة السلام ، مما يلى الشماسية ، يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة ٣٢٠ ، وله ثمان وثلاثون سنة وشهر وسبعة عشر يوما .

وكان رَبَع القامة الى القصر ماهو ، دُرّى اللون ، صغير العينين ، أحورَ حسن الوجه واللحية أصهبها ، أفضت الخلافة اليه ، وهو صغير ، غِرٌّ تَرِفٌ ، لم يعان الامور ، ولا وقف على أحوال الملك . فكان الامراء والوزراء والكتاب ، يدبرون الامور ، ليس له فى ذاك حَل ولا عَقد ، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم ؛ فذهب ما كان فى خزائن الخلافة من الأُموال والعُدَد بسوء التدبير الواقع فى المملكة ؛ فأداه ذلك الى سفك دمه ، واضطربت الامور بعده ، وزال كثير من رسوم الخلافة .

قال المسعودى: ولم يتقلد الخلافة من أمية وبنى العباس الى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ فى خلافة المطيع من اسمه جعفر إلا جعفر المتوكل وجعفر المقتدر ،وكان مقتلهما جميعا فى شوال قتل المتوكل على ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ليلة الاربعاء لثلاث ليال خلون من شوال سنة ٢٤٧ ولم يهج لاجل ذلك فتنة ولا شهر لاجله سيف وقتل المقتدر بين خاصة وضائعه دون سائر من كان معه يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال على ماذكرنا وتولى قتل المقتدر موالى ابيه المعتضد

وكانت فيه وفى أيامه أمور لم يكن مثلها فى الاسلام

منها أنه ولى الخلافة ؛ ولم يل احد قبله من الخلفاء وملوك الاسلام فى مثل سنه ، لأن الأمر افضى اليه وله ثلاث عشرة سنة وشهران وثلاثة أيام

ومنها انه ملك خمسا وعشرين سنة إلا خمسة عشر يوما ، ولم يملك هذا احد من الخلفاء وملوك الاسلام قبله

ومنها انه استوزر اثنى عشر وزيرا فيهم من وزر له المرتين والثلاث ، ولم يعرف فيما قبله انه استوزر هذه العدة

ومنها غلبة النساء على الملك والتدبير حتى أن جارية لأمه تعرف بثمل القهرمانة كانت تجلس للنظر فى مظالم الخاصة والعامة ويحضرها الوزير والكاتب والقضاة ،

وأهل العلم

ومنها ان الحج بطل فلم يحج فى سنة ٣١٧ لدخول ابى طاهر سليمان بن حسن ابن بهرام الجنابى القرمطى صاحب البحرين مكة ، وكان دخوله اياها يوم الاثنين لسبع خلون من ذى الحجة ، ولم يبطل الحج منذ كان الاسلام غير تلك السنة، وغير ذلك من الاحوال التى كانت فى أيامه

واستوزر العباس بن الحسن على ما كان عليه فى أيام المكتفى فلما قتل العباس استوزر على بن محمد بن موسى بن الفرات ، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الملقب بدق صدره ، ثم على بن عيسى بن داود بن الجراح ، ثم على بن محمد بن الفرات الوزارة الثانية، ثم حامد بن العباس ثم على بن محمد بن الفرات الوزارة الثالثة ، ثم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقانى وزر وابوه محمد بن عبيد الله حى ، وكانت وفاته بعد وزارة ابنه باثنى عشر يوما ، وذلك يوم الاثنين وقت العصر لثمان بقين من شهر ربيع الآخر ، وقيل الأول سنة ٣١٢ وكان آخر من وزر وابوه حي الى وقتنا هذا

وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من وزر وابوه حى مثل أبى سلمة حفص بن سليمان الخلال ، وعبيد الله بن يحيى بن خاقان ، والعباس بن الحسن ابن أيوب ، ثم استوزر احمد بن عبيد الله الخصيبي، ثم على بن عيسى الوزارة الثانية ثم أبا على محمد بن على بن مقلد ، ثم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح ، وهو ابن عم على ابن عيسى ، ثم عبيد الله بن محمد الكلواذانى، ثم الحسين بن القاسم ابن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ثم الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات

وكان نقش خاتمه المقتدر بالله ؛ وقاضيه محمد بن يوسف بن يعقوب على الجانب الشرقى والكرخ ، وقلد قضاء القضاة الى أن توفى فقلد ابنه عمر بن محمد بن يوسف الجانب الشرقى والكرخ ، وعلى مدينة المنصور واعمالها عبد

الله بن على بن أبى الشوارب، وبعده ابنه محمد بن عبد الله وبعده عمر بن الحسن المعروف بالاشنانى، وانتقض وبعده الحسن بن عبد الله بن أبى الشوارب ، وبعده عمر بن محمد بن يوسف وحجبه سوسن مولاه ، ثم نصر القشورى ، ثم ياقوت وابراهيم ومحمد ابنا رائق

قال المسعودى : ومن الكوائن العظيمة والانباء الجليلة التى كانت فى أيامه مالم يتقدم مثلها فى الاسلام مسير أبى طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابى صاحب البحرين من الاحساء من بلاد البحرين الى البصرة فى أربعمائة فارس على أربع مائة حجرة لاحصان فيها وخمسمائة راجل ودخولهم اياها ليلا وقتلهم سبكا المفلحى ، ومن قدروا عليه من أصحابه ، ومن ظهر لهم من الرعية، وذلك فى ليلة الخميس لثلاث وقيل لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣١١ وقيل بل ليلة الاثنين لست بقين منه ، وكان مسيرهم من الاحساء اليها فى ست ليال وتهارب الناس منهم الى الأبلة والمفتح والشطوط والانهار والجزائر ، وغير ذلك وأقاموا فى البلد سبعة عشر يوما ، ثم رحلوا عنها منقلبين بما احتملوا منها الى بلدهم ، ثم اعتراضه الحاج فى منصرفهم عن مكة بنواحى الهبير ، مما يلى الثعلبية وهو فى خمسمائة فارس وستمائة راجل وقتله من قتل من القواد وسائر الأولياء وغيرهم ، واسره أبا الهيجاء عبد الله بن حمادان بن حمدون أميرهم ، واحمد بن بدر العم ، واحمد بن محمد بن كشمرد، وغيرهم من الوجوه وسائر طبقات الناس من النساء والرجال، واخذهم الشمسية وغيرها من صنوف الاموال التى لا يوقف على تحديدها ومبلغها ، وذلك يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢ ، ثم اعتراضه الحاج فى بدأتهم سنة ٣١٣ فى خمسمائة فارس وستمائة راجل أيضا وظفره ببعضهم ورجوع الباقين الى الكوفة ومدينة السلام ، ومصيره الى الكوفة وموافقته من كان بها من الاولياء الذين جردوا من الحضرة للقائه وهم جعفر بن

ورقاء الشيبانى ، وجنى الصفوانى الخادم مولى ابن صفوان العقيلى ، وثمل الخادم الدلفى، صاحب انطاكية والثغور الشامية، وطريف السبكرى الخادم واسحاق بن شروين السبكرى وغيرهم من رؤساء الاجناد وهزيمته اياهم وقتله من قتل منهم واسره جنيا الصفوانى وغيره ، وذلك يوم الاحد لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة من هذه السنة ، ثم مسيره عن الكوفة الى الاحساء بالذرية والثقلة وتسليمه البلد الى اسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالأخيضر صاحب اليمامة بن ابراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ومسير أبى القاسم يوسف بن أبى الساج عن واسط فى عساكره للقائه، وكان السلطان اشخصه عما كان يليه من الاعمال من بلاد آذر بيجان وارمينية وأران والبيلقان وغيرها ليستعد من واسط وينفذ الى بلاد البحرين ، وكان مقيما بواسط، مستعدا الى أن جاءه الخبر بمسير صاحب البحرين الى الكوفة، فخرج مبادرا له مسبقه أبوطاهر اليها ونزل الموضع المعروف بالخورنق وحازاها ونزل ابن أبى الساج فى اليوم الثانى بالقرب منه فى الموضع المعروف بين النهرين مما يلى القرية المعروفة بحروراء واليها اضيفت الحرورية من الخوارج ، وابو طاهر بينه وبين الكوفة فكانت الوقعة بينهم يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة ٣١٥ فأسر ابن أبى الساج واصطلم عسكره وأتى على أكثر من ثلاثين ألف فارس وراجل مع تفرق كثير من أصحابه عنه فى الطريق وتأخرهم عنه ، وصاحب البحرين فى نحو من الفين من المقاتلة أكثرهم رجالة، ثم مسيره عن الكوفة حتى جاز * الانبار وقطع علة من أصحابه الفرات الى الجانب الشرقى، فقتلوا من كان بالانبار من القواد منهم المعروف بالحارثى ، وبرغوث وابن بلال ومحمد بن يوسف الخزرى وغيرهم من الاولياء ، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذى العقدة من هذه السنة، وعقد على الفرات جسرا، وخلف السواد والذرية، وعبر فى جريدة خيل من

اصحابه الى الانبار، وسار عنها يريد الحضرة، حتى انتهى الى النهير المعروف بزبارا فوق التل المعروف بعقرقوف بفرسخ وذلك على بعض يوم من مدينة السلام وكان مؤنس الخادم نصر، ونصر الحاجب المعروف بالقشورى، وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان، وقد كان أطلقه وغيره ممن سمينا أنه أسر معه قبل رحيله لمواقعة ابن ابى الساج وسائر من كان بالحضرة من عساكر السلطان معسكرين على هذا النهر، فلما أحسوا بدنوه قطعوا القنطرة التى عليها وصار النهر حاجزا بين الفريقين فشرع قوم من رجالته فرموا بالنشاب، وذلك فى اليوم الثانى عشر والثالث عشر من ذى القعدة من هذه السنة ورجع يريد الانبار

وبعث مؤنس غلامه يلبق فى نحو من ثلاثة، وقيل من سبعة آلاف على طريق قصر بن هبيرة من طريق الكوفة. فعبروا على جسر الفرات المعروف بجسر سورا وساروا فى البر ليخالفوه الى سواده.

وقد كان قوم من الاولياء، شرعوا فى الماء، فأحرقوا الجسر الذى عقده، فحصل فى الجانب الشرقى وسواده فى الجانب الغربى.

وقيل إنه قطع الجسر عند عبوره، وتأدى اليه خبر يلبق فعبر الفرات فى زورق عشرة عشرة من أصحابه، فيهم ثلاثة إخوة له، وعبر خلق سباحة فسبق الى سواده. وقتل أخواه أبو العباس الفضل وأبو يعقوب يوسف، وكانا فى السواد بن أبى الساج حين بلغهما قرب يلبق منهم، فلقى يلبق. فأتى على أكثر من كان معه ونجا يلبق منكسرا. وذلك يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة من هذه السنة.

وسار الى مدينة هيت فى ثقلته فنزل عليها وحصرها — وأنا يومئذ بها منحدراً من الشأم أريد مدينة السلام — وعبر أصحابه الذين كانوا فى جانب الأنبار على أطواف اتخذوها فى الموضع المعروف بفم بقة أسفل هيت، فاجتمعوا معه فواقع،

أهل هيت يوم الاحد لثمان خلون من ذى الحجة من هذه السنة .

وكان عبر اليها من المساء هارون بن غريب الخال، وأبو العلاء سعيد بن حمدان ، ويونس غلام الأصمعى وغيرهم من الأولياء . فكان القتال بينهم فوق السور واحترقت له عدة دبابات .

وعاد الى معسكره وارتحل عنها يوم الاثنين صبيحة الوقعة الى ناحية رحبة مالك بن طوق وارتفعت من معسكره نار عظيمة عند السحر قبل رحيله فظننا انه يريد معاودة الحرب واذا هو قد ضرب ثقلته بالنار لكثرة الذرية والثقلة وقلة الظهر ؛ وصار الى الرحبة وعليها يومئذ ابو جعفر محمد بن عمرون التغلبي فافتتحها عنوة ونزلها وهى من الجانب الشأمى ، وقرقيسيا وهى من الجانب الجزرى، وبث منها السوارب إلى النواحى ، منها سرية الى كفرتوثا ورأس العين ونصيبين عليها الحسين بن على بن سنبر الثقفى ، ومعاذ الاعرابى الكلابى ، فأوقعوا بالاعراب من تغلب والنمر وغيرهم من الحاضرة .

وقد كان أنفذ سليمان الجلى قبل ذلك الى كفرتوثا لحمل الزاد والميرة الى معسكره ، وكان من ذوى النسك منهم والدراية بمذهبهم . وقد كلمت غير واحد من دعاتهم، وذوى المعرفة منهم ؛ فلم أر مثله دراية وتحصيلا وتدينا بما هو عليه ، وحسن اتقان للسياسة التى تكون مع الدعاة.

وكان أولا مع أبى زكريا البحرانى ، ثم صار مع أبى سعيد الجنابى وولده ، ووجه بسرية له فى نحو الفين ، وقيل دون ذلك الى الرقة ، وهى على ثلاثين فرسخا من الرحبة .

وكان على السرية الحسين بن على بن سنبر ومعاذ الكلابى أيضا ، وكان نزولهما عليها يوم الأحد ، لثمان بقين من جما ى الاولى سنة ٣١٦ ، وأميرها نجم غلام جنى الصفوانى ، فكان القتال بينهم يوم الثلاثاء والاربعاء ، لخمس بقين من

هذا الشهر ، وانصرفوا فى آخر يوم الاربعاء ، وقد أصيب عدة من الفريقين ، الاكثر منهم من السرية ، راجعين الى الرحبة .

وأقام صاحب البحرين بالرحبة يروّى فى نزول مدينة الرملة من بلاد فلسطين او مدينة دمشق فيما حكى ، ثم عمل على الرجوع الى بلده لأمور قد ذكرناها فى غير هذا الموضع من أخبارهم ، فسار عن الرحبة فى أول شعبان سنة ٣١٦ فى البر والماء منحدرا فى الفرات .

وكان مقامه بالرحبة ، الى أن خرج عنها نحوا من سبعة أشهر ، فنزل على هيت ثانية فقاتلهم قتلا شديدا فى الماء والبر ، ولم يكن معه فى الاولى سفن ، ثم انحدر عنهم ، وسار الى ناحية الكوفة والقادسية . وامتار واجتاز بظاهر البصرة وعاد الى البحرين . وذلك فى آخر المحرم وأول صفر سنة ٣١٧ .

ثم سار الى مكة فدخلها يوم الاثنين لسبع خلون من ذى الحجة من هذه السنة فى ستمائة فارس وتسعمائة راجل ، وأميرها يومئذ محمد بن اسماعيل المعروف بابن مخلب بعد أن كان من بها من الاولياء وغيرهم من عوام الناس من الحاج وغيرهم صافوه ثم انكشفوا من بين يديه عند قتل نطيف غلام ابن حاج . وكان من شحنة مكة وممن يعول عليه وأخذ الناس السيف وعاذوا بالمسجد والبيت . فاستحر القتل فيهم وعمهم . وقد تنوزع فى عدة من قتل من الناس من أهل البلد وغيرهم من سائر الامصار فمكثر ومقلل ، فمنهم من يقول ثلاثين الفا ومنهم من يقول دون ذلك وأكثر . وكل ذلك ظن وحسبان إذ كان لا يضبط وهلك فى بطون الأودية ورؤوس الجبال والبرارى عطشا وضرا مالا يدركه الاحصاء واقتلع باب البيت الحرام .

وكان مصفحا بالذهب وأخذ جميع ما كان من البيت من المحاريب الفضة والجزع وغيره ومعاليق وما يزين به البيت من مناطق ذهب وانازيرات ذهب

وفضة وقلع الحجر الأسود ومقـدار موضعه ما يدخل فيه اليـد إلى أقل من المرفق .

وجرد البيت مما كان عليه من الـكسوة . وحمل ذلك على خمسين جملا إلا ماأصابه الدم عند عوذ الناس به فانه ترك . وذلك يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ٣١٧ .

وكان مقامهم بمكة ثمانية أيام يدخلونها غدوة ويخرجون منها عشيا يقتلون وينهبون، ورحل عنها يوم السبت من هذا الشهر، وعرضت له هذيل بن مدركة ابن الياس بن مضر وهم رجالة فى المضايق والشعاب والجبال وحاربوه حربا شديدا بالنبل والخناجر ومنعوه من المسير واشتبهت عليهم الطرق فأقاموا بذلك ثلاثة أيام حائرين بين الجبال والاودية .

وتخلص كثير من النساء والرجال المأسورين واقتطعت هذيل مما كان معهم ألوفا كثيرة من الابل والثقلة . وكانت ثقلته على نحو مائة الف بعير عليها أصناف المال والامتعة الى أن دله عبد أسود من عبيد هذيل يقال له زياد استأمن اليه على طريق سلـكه فخرج عن المضايق وسار راجعا الى بلده .

قال المسعودى : ونحن نذكر فى أخبار الراضى فيما يرد من هذا الـكتاب ما كان له من السرايا فى أيامه وغير ذلك من أحواله .

وكان مقتل الحسين بن منصور المعروف بالحلاج من أهل مدينة البيضاء من أرض فارس لست بقين من ذى القعدة سنة ٣٠٩ ضرب الف سوط وقطعت يداه ورجلاه ، وضربت عنقه وأحرقت جثته ، وذلك فى مجلس الشرط .....* على سور السجن المعروف بالمترف من هذا الجانب ، وكان يوما عظيما لمقالات حكيت عنه فى الديانة كثر متبعوه عليها والمنقادون اليها ، وكان يظهر التصوف والتأله ، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا ماصح عندنا من مذهبه ، وذكره فى

كتبه عند ذكرنا مقالات أرباب النحل ورؤساء الملل

ذكر خلافة القاهر

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد، ويكنى أبا منصور، وأمه أم ولد، تسمى قبول، يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة ٣٢٠ . ثم خلع وسملت عيناه يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة ٣٢٢ وله ست وثلاثون سنة واشهر . ولم يسمل قبله أحد من الخلفاء وملوك الاسلام . وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام وكان أبيض يعلوه حمرة، مربوعا، حسن الجسم، أعين، وافر اللحية، ألثغ، شديد الاقدام على سفك الدماء، أهوج، محبا لجمع المال على قلته في أيامه قليل الرغبة في اصطناع الرجال، غير مفكر في عواقب أموره، راكبا ردعه، واطئا عشواته يريد الشبه بمن تقدم من آبائه، فلا يمكنه ذلك لسوء تدبيره وقبح سياسته

واستوزر أبا على محمد بن مقلة ثم أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله، ثم أبا العباس احمد بن عبيد الله الخصيبي .

وكان نقش خاتمه « القاهر بالله » وقاضيه عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب، وحاجبه على بن يلبق، وبدر الخرشني، وفارس بن الزنداق، ومحمد ابن ياقوت، وسلامة المؤتمن المعروف باخي نجح

ذكر خلافة الراضي محمد

وبويع الراضي محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس، وأمه أم ولد تسمى ظلوم، يوم الخميس لست ليال خلون من جمادى الاولى سنة ٣٢٢، وتوفي بمدينة السلام يوم السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول

سنة ٣٢٩ وله اثنتان وثلاثون سنة واشهر ، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام . وكان أسمر ، أعين ، مسنون الوجه ، خفيف العارضين ، دحداحا ، نحيفا ، جوادا ، محبا للادب ، حسن الشعر ، شديد التضريب بين أوليائه ، لاستبدادهم بالأمور دونه ، وقصور يده عن تغيير ذلك . فاستوزر محمد ابن على بن مقلة ، وولده أبا الحسين على بن محمد وكانا يخاطبان بالوزارة وتخرج الكتب بأسمائهما

ثم استوزر أبا على عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح ، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، ثم ابا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح ، ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم أبا عبد الله احمد بن محمد البريدى ، ثم سليمان بن الحسن بن مخلد .

وكان نقش خاتمه « الراضى بالله » وقاضيه عمر بن محمد بن يوسف ، ثم ابناه يوسف ، والحسن وحاجباه محمد بن ياقوت ، ثم مولاه ذكى

ومما ذكر فى ايامه من الحوادث العظيمة مسير القرمطى سليمان بن الحسن صاحب البحرين عن الاحساء لاعتراض الحاج فى بدأتهم لموسم سنة ٣٢٣ خرج لست بقين من شوال فى تسعمائة فارس وتسعمائة راجل ، وقسم العسكر نصفين من الجابرية وهى من الاحساء على ثلاثة أيام ، فجعل على احد النصفين أبا عبد الله الحسين بن على بن سنبر ومعاذا الكلابى فساروا قاصدين طريق مكة لطلب اول الحاج وقصد القرمطى القادسية لاستقبال قافلة الشمسية مع لؤلؤ غلام المتهشم ، فوقع ابن سنبر بالخوارزمية وغيرهم ، وكان رؤساءهم شاذان وابن حاتم وغيرهما بناحية زبالة والعقبة ، فأسرهما وغيرهما من اهل القوافل

وقتل ، وذلك لسبع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة من هذه السنة ، وانهزم الباقون راجعين يريدون العذيب ، ولا علم عندهم أن القرمطى أمامهم ،

وسار لؤلؤ غلام المتهشم بالناس ، ولقيه القرمطى بالقادسية يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة من هذه السنة .

فقاتل لؤلؤ إلى أن نالته جراحات ، وانكشف أصحابه عنه ، وطرح نفسه بين القتلى . ودخل الكوفة فى الليل مستخفيا ، واستولى أبو طاهر على تلك القافلة بأسرها

وكان من انقضاض الكواكب ليلة الاربعاء التى كانت الوقعة فى صبيحتها مالم ير مثله فى الاسلام ، والقرمطى حينئذ سائر من خفان يريد القادسية وبينهما ستة أميال .

ورجع القرمطي مستقبلا للمنهزمين من ابن سنبر الراجعين يريدون الكوفة فلقيهم بالعذيب . فاستأمنه قرة لقافلته ، وبذل عنها مالا فأطلقه ، ولم يعرض له ، وأوقع بالباقين ، فقتل وسبي ، وصار إليه من صنوف الاموال والامتعة مالا يوقف على تحديده ولا يحاط بمبلغه .

وكانت له بعد ذلك سريتان الى الكوفة وناحية واسط فى ايام الراضى أيضا لم يلق فيهما حربا أثر تأثيرا يذكر ، ولم يزل مقيما بالاحساء من بلاد البحرين الى أن توفى يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٣٣٢ ، وله ثمان وثلاثون سنة ، لأن مولده فى شهر رمضان سنة ٢٩٤ .

وقتل أبوه أبو سعيد الجنابى سنة ٣٠٠ ، وله يومئذ ست سنين ، وبقى العسكر تسع سنين الى أن تسلمه أبو طاهر فى شهر رمضان سنة ٣١٠ .

قال المسعودى : وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على شرح هذه الحروب والوقائع وما كان من أخباره فيها وأخبار القرامطة البقلية بسواد الكوفة وغلبتهم عليها ، وذلك فى سنة ٣١٦ ، والعلة فى تسميتهم البقلية ، وهو اسم ديانى عندهم ، وكان رؤساءهم مسعود بن حريث وعيسى بن موسى بن أخت عبدان بن الربيط

الملقب قرميط والمعروف بابن أبي السيد وابن الأعمى ، وأبو الذر والجوهري وغيرهم .

وكان جمهورهم بنو ذهل وبنو رفاعة وإيقاعهم ببني بن نفيس بناحية الطفوف، وجنبلاء، وتل نخار ، وهزيمتهم إياه واحتواؤهم على عسكره ، ومواقعة هارون بن غريب الخال ، وصافي غلام نصر القشوري إياهم ، ومن قتل منهم وأسر ، ومن انضاف منهم الى سليمان بن الحسن عند رجوعه من هيت الى بلد البحرين ، وكانوا يعرفون في عسكره بالأجميين ، لسكنى أكثرهم الآجام والطفوف من أعمال الكوفة وأخبار الغلام المعروف بالذكرى من أبناء ملوك الاعاجم من بلاد صبهان ، ووروده اليهم في سنة ٣١٦ ، وتسليم أبي طاهر الامر اليه في سنة ٣١٩ وإجماعهم عليه ، وما رسم من الرسوم والمذاهب التي أخذهم بها ، وقتله لابي حفص بن زرقان زوج أخت أبي طاهر .

وكان يدعي الشريك ، وكان أكملهم عقلا ، وأوسعهم علما ، وأحسنهم أدبا ، وبني شلمان وغيرهم من وجوه العسكر ، وهم نحو من سبعمائة رجل ، وما أظهر في العسكر من المذاهب الشنيعة، والسير القبيحة ، التي لم تعهد ، ولا عرفت في عسكر هؤلاء القوم منذ استولى أبو سعيد على هذه البلاد وولده وزوالها بزواله ورجوعهم عنها ، واعتذارهم عنها ، وما وقع عليها من التدبير الى أن قتل فيما قيل .

وعاد الأمر الى أبي طاهر ، وغير ذلك من أخبار أصحاب الغرب وحروبهم ومن كان منهم باليمن واتفاق جميع من ذكرنا على سبب واحد وانقيادهم إليه ، وقولهم به وانتظارهم له ، وأخبار أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، ونسبته واتصاله بملوك فارس، ومكانه من هذه الدعوة، وكيفية دخوله البحرين ، وما كان من أمره بالتطيف مع بني مسمار ، واتصاله ببادية بني كلاب ، وكان أبو زكريا

البحراني دعاهم ، وما كان بين أبي سعيد وبين أبي زكريا ، وقبض أبي سعيد عليه وهلاكه في يده وفتحه سائر مدن البحرين ، وكان أهلها في نهاية العـدة والقوة كالقطيف ، وكان بهـا علي بن مسمار وإخوته ، وهم من عبد القيس ، وقتله عليا والزارة ، وكان بها الحسن بن العوام من الازد وصفوان، وكان بهـا بنو حفص ، وهم من عبد القيس أيضـا والظهران والاحساء ، وكان بها بنو سعد من تميم وجُواثا ، وكان بها العريان بن الهيثم الربعي ، وقد ذكره علي بن محمد المنتمى الى أبي طالب صاحب الزنج الناجم بالبصرة عند ظهوره بالبحرين في تميم وكلاب ونمير وغيرهم ، وذلك قبل مصيره الى البصرة ، وكان العريان أوقع بهم في عبد القيس ، وبني عامر بن صعصعة ، ومحارب بن خصفة بن قيس ابن عيلان وغيرهم وقعات متتابعات ، فأخرجه عن البحرين ونواحيها ، وقتل من أصحابه خلقا كثيرا ، فلما وقع طرفه بالصمن على الطائر المعروف بالمكاء ، قال كلمته التي أولها :

ايا طائر الصمان مالك مفرداً تأسيت بي أم عاق إلفك عائق

فقال فيها :

عدمت عتاق الخيل إن لم أزر بها عليها الكماة الدارعون البطارق
عليها رجال من تميم وقصرها كليب بن يربوع الكرام المصادق
وجثوتها سعد وفي جنباتها نمير وبيض من كلاب عواتق
وإن لم أصبح عامراً ومحارباً بخطة خسف أو تعقنى العوائق
أيحسبني العريان أنسى فوارسي غداة نزال الردم والموت عالق

وقال في كلمة أخرى يذكر عبد القيس :

أتحسب عبد القيس أني نسيتها ولست بناسيها ولا تاركا تبلي*

وهجر وكانت أعظم مدن البحر ، وكان بها عياش المحاربي ، وكان أعظمهم

عدة ، وأشدهم شوكة ، ومواقعة أبي سعيد العباس بن عمرو الغنوى ، وقد جرده المعتضد للقائه من البصرة فى السبخة المعروفة بافان ، وأفان ماء ونخل أراد العباس نزولها ، وذلك عند ارتحاله من الماء المعروف بالاعياء ، فسبقه أبو سعيد الى الماء ، وطول هذه السبخة سبعة أميال ، وبينها وبين البصرة سبعة أيام ، وهى على يومين من ساحل البحر ، وهى القطيف وبين القطيف وبين البحر ميل ، ولها مدينة على الساحل ، يقال لها عنَكٌ وفيها يقول الراجز :

طعن غلام لم يجئك بالسمك ولم يعلل بخياشيم عنك

فلما توسط العباس السبخة بعث أبا سعيد فغور * . ماوراءه من المياه ، وكانت فى أعلى السبخة ، وهو طريق ضيق

وأبو سعيد فى سبعمائة فارس وراجل من كلاب وعقيل وبحرانيين

والعباس فى سبعة آلاف من الجند ، ومطوعة البصرة والبحرانيين ، الذين كانوا خلوا عن البحرين وغيرهم .

فأسر العباس وأتى على أكثر من كان معه ولم ينج إلا الشريد ، وذلك فى رجب من سنة ٢٨٧ .

وما كان من سريته الى صحار وهى قصبة عمان مرة بعد أخرى ، ودخوله أياها عنوة وبين البحرين وعمان مسيرة عشرة أيام رمال ودهاس ، وفى بعض المواضع ماء مالح ، والى بلاد الفلج وهى على ثلاثة أيام من اليمامة ، والى يبرين وهى من اليمامة على مثل ذلك أيضا ، فأباد أهلها وكانت من أطيب بلاد الله وكثرها أهلا ، وعمائر ونخلا وشجرا ، فلا أنيس بها الى هذا الوقت وفيها يقول جرير

فقلت للركب اذ جد المسير بنا يابعد يبرين من باب الفراديس

وسبب فتك الخادمين الصقلبيين الذى كان أخذهما حين واقع بدر الحملى ، وكان جاء من عمان فى البحر لقتاله ، وكان اصطنعهما فقتلاه فى الحمام فى ذى القعدة

سنة ٣٠٠ وخلقا من خواص اصحابه من القطيفيين معه وهم حمدان وعلى ابنا سنبر، وبشر ، وابو جعفر ابنا نصير ، وهما خالا ولد ابى سعيد المعروف بابن جنان ومحمد بن اسحاق

وكانت مدة أبى سعيد مذ ظهرت دعوته بالقطيف وافتتح سائر مدن البحرين وآخرتها هجر إلى ان قتل سبعا وعشرين سنة

وقد ذكرنا فى كتاب خزائن الدين ؛ وسر العالمين؛ عند ذكرنا ارباب النحل ورؤساء الملل وما أحدثوه عن الآراء والمذاهب ماذكره من خالف هذه الطائفة ورد عليهم وحكى عنهم ان هذه الدعوة أحدثت بأصبهان سنة ٣٦٠ وماالغرض بها والمقصد منها وتسليمهم ظاهر الشريعة ؛ وقولهم فى تأويل معانيها ؛ وأمرهم المدعو عند أخذ العهد عليه بستر ما يكشفونه له من تأويل كتاب الله ؛ ومنهم من يقول المدعو عند ذلك استر ما أكشفه لك من تأويل كتاب الله وتأويل التأويل وتبليغه الى مراتب ينتهون به اليها يسمونها البلاغ ؛ وغير ذلك من دعواتهم ووجوه سياساتهم وأسرارهم فى ذلك ورموزهم .

وقد صنف متكلمو فرق الاسلام من المعتزلة والشيعة والمرجئة والخوارج والنابتة ممن تقدم كتبا فى المقالات وغيرها من الرد على المخالفين ؛ كاليمان بن رئاب الخارجى ، وزرقان غلام ابراهيم بن سيار النظام ، ومحمد بن شبيب صاحب النظام أيضا ، وعباد بن سلمان الصيمرى ، صاحب هشام بن عمرو الفوطى ؛ صاحب أبى الهذيل محمد بن الهذيل العبدى العلاف البصرى ، ومحمد بن عيسى بن غوث ، صاحب الحسين بن محمد النجار ، وأبى عيسى محمد ابن هارون الوراق ؛ واحمد بن الحسن بن سهل المصمعى المعروف بابن أخى زرقان وغيرهم ممن شاهدناه كأبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى فى كتابه فى الرد على أصحاب التناسخ والخرمية ، وغيرهم من أهل الباطن ، وأبى القاسم البلخى

وأبى العباس عبد الله بن محمد الناشى ، والحسين بن موسى النوبختى فى كتابه فى الآراء والديانات ، وفى كتابه فى الرد على الغلاة وغيرهم من الباطنية ، وأبى محمد عبد الله بن محمد الخالدى ، وأبى الحسن بن أبى بشر الأشعرى البصرى الكلابى وغير هؤلاء فلم يعرض أحد منهم بوصف مذاهب هذه الطائفة ورد عليهم آخرون مثل قدامة بن يزيد النعمانى ، وابن عبدك الجرجانى ، وابى الحسن ابن زكريا الجرجانى ، وابى عبد الله محمد بن على بن رزام الطائى الكوفى ، وأبى جعفر الكلابى الرازى وغيرهم ، فكل يصف من مذاهبهم مالا يحكيه الآخر مع إنكارهذه الطائفة حكاية من ذكرنا وتركهم الاعتراف بها ، ونحن فلم نقصد فى كتابنا هذا حكاية مذاهبهم ولا الرد عليهم

وكان مقتل محمد بن على الشلمغانى الكاتب المعروف بابن أبى العزاقر يوم الثلاثاء غرة ذى القعدة سنة ٣٢٢ قطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه وأحرق فى مجلس الشرطة فى الجانب الغربى لأمور ديانية احدثها ومقالات فيما ذكر ذكرها وأظهرها كثر المستجيبون له اليها

وقتل معه رجل من اتباعه يقال له ابن أبى عون ويعرف بابن النجم الكاتب مثل ذلك .

وقد أتينا على ماظهر من قوله وحكاه من هذا عن نفسه فى رسالته المعروفة بالمذهبة وكتابه فى الوصية وكتاب الغيبة وكتاب التسليم ، وغير ذلك من كتبه فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات عند ذكرنا مذاهب الشيعة وغلاتهم .

ذكر خلافة المتقى ابراهيم

وبويع المتقى ابراهيم بن المقتدر ويكنى ابا اسحاق وامه ام ولد تسمى خلوب يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الاول سنة ٣٢٩ ، وخلع وسملت عيناه يوم السبت لعشر ليال بقين من صفر سنة ٣٣٣ وله ثلاثون سنة ، واشهر

وكانت خلافته ثلاث سنين وعشرة اشهر وعشرين يوما، وكان ابيض صافى اللون اشهل ، فى شعره شقرة وهو حى الى وقتنا هذا ـ وهو سنة ٣٤٥ مكرم على ماينمى الينا من اخبـاره

واستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم ابا الحسين احمد بن محمد بن ميمون ، ثم ابا جعفر محمد بن القاسم الـكرخى

بعد ان دبر الامور ابو الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح ، وميسم الوزارة لاخيه عبد الرحمن بن عيسى ، ثم ابا اسحاق محمد بن احمد القراريطى ، ثم ابا العباس احمد بن عبد الله الاصبهانى ، ثم ابا الحسين على بن محمد بن على ابن مقلة

وكان نقش خاتمه « المتقي بالله » وقاضيه المعروف بالخرقى ، وحاجبه سلامة مولاه المؤتمن المعروف بأخي نجح ، ثم بدر الخرشنى ، ثم احمد بن خاقان

ومن الحوادث العظيمة التى كانت فى ايامة فى الملك مالم يجر مثله على احد من خلفاء بنى العباس . دخول ابى الحسين البريدى الى مدينة السلام فى جيوشه فى الماء وعلى الظهر ، يوم السبت لتسع بقين من جمادى الاخرة سنة ٣٣ وهرب المتقى عن دار ملـكه ، ومعه محمد بن رائق يريدان الموصل

وانتهبت دار الخلافة وغيرها من دور الاولياء وانتهك الحريم بعدما نعمة عظيمة وحروب وقتل من الناس وغرق نحو من عشرة آلاف ، وقيل اكثر من ذلك

ذكر خلافة المستكفى

وبويع المستكفى عبد الله بن على المكتفى ويكنى أبا القاسم ، وامه أم ولد رومية تسمى غصن ، فى الموضع المعروف بالبثق على نهر عيسى بازاء القرية المعروفة بالسندية ، فى الوقت الذى سملت فيه عينا المتقى

وخلع يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة٣٣٤ ، وسملت عيناه ، وله ثمان ، وقيل ثلاث واربعون سنة واشهر ؛ وكانت خلافته سنة وشهرين وثمانية وعشرين يوما .

وكان أبيض اللون ، حسن الوجه ، صغير الفم ، بعارضه شيب ، وكان المدبر للامور فى أيامه أبو جعفر محمد بن شيرزاد كاتب توزون التركى

وقد كان أبو الفرج احمد بن محمد السامرى خلع عليه ووزر سبعة وأربعين يوما ، وهو آخر من خوطب بالوزارة فى أيام بنى العباس الى وقتنا هذا

ثم الشيرازى ابو احمد الفضل بن عبد الرحمن نفذت الكتب عنه باسمه ، ثم غلب ابن شيرزاد على الأمر

وكان نقش خاتمه « المستكفى بالله » وقاضيه ابن أبى الشوارب ، وابن أبى موسى الهاشمى ، وحاجبه احمد بن خاقان المفلحى .

ذكر خلافة المطيع

وبويع المطيع الفضل بن جعفر المقتدر بالله ، ويكنى أبا القاسم ، وامه أم ولد صقلبية ، تسمى مشعلة - يوم الخميس لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ .

ولخمس سنين خلت من خلافته أعيد الحجر الاسود الى موضعه من البيت الحرام فى ذى الحجة سنة ٣٣٩ وكان أخذه فى سنة ٣١٧ على ما قدمناه فى خلافة المقتدر فى هذا الكتاب ·

وقد ذكرنا فى كتاب (مروج الذهب ، ومعادن الجوهر) أخبار الحجر فى الجاهلية ومن تداوله من الأمم من جرهم ، وإياد ، والعماليق ، وخزاعة وكم مرة أزيل من موضعه ثم رد اليه ، وغير ذلك من أخبار مكة والبيت الحرام ·

والغالب على امر المطيع والقيم بتدبير الحضرة الى هذا الوقت أحمد بن بويه الديلمى ، المسمى بمعز الدولة وكتابه

وزالت أكثر رسوم الخلافة ، والوزارة فى وقتنا هذا ، وهو سنة ٣٤٥ على مايتصل إلينا من أخبارهم ويتصل بنا من أحوالهم ، لطول غيبتنا عن العراق ، ومقامنا بأرض مصر والشأم

قال المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على : ولم نعرض لوصف أخلاق المتقى والمستكفى والمطيع ومذاهبهم ، إذ كانوا كالمولى عليهم ، لاأمر ينفذ لهم ·

أما ما نأى عنهم من البلدان ، فتغلب على أكثرها المتغلبون ، واستظهروا بكثرة الرجال والأموال ، واقتصروا على مكاتبتهم بأمرة المؤمنين والدعاء لهم وأما بالحضرة ، فتفرد بالأمور غيرهم ، فصاروا مقهورين خائفين ، قد قنعوا باسم الخلافة ، ورضوا بالسلامة ·

وما أشبه أمور الناس بالوقت إلا بما كانت عليه ملوك الطوائف بعد قتل الاسكندر بن فيلبس الملك داريوش وهو دارا بن دارا ملك بابل إلى ظهور أردشير بن بابك الملك

كل قد غلب على صقعه ؛ يحامى عنه ويطالب الازدياد اليه ؛ مع قلة العمارة ، وانقطاع السبل ، وخراب كثير من البلاد ، وذهاب الأطراف ، وغلبة الروم وغيرهم من الممالك على كثير من ثغور الاسلام ومدنه

وقد أتينا على شرح جميع ما ذكرنا فى هـذا الكتاب وإيضاحه وأخبار من ذكرنا والغرر من أيامهم*

وما كان من الكوائن والهرج والأحداث فى أعصارهم ، وغير ذلك من أخبار الشرق والغرب ، والشمال والجنوب ، وما كان فيها من الفتن والحروب فى كتابنا (فى أخبار الزمان ؛ ومن اباده الحدثان من الامم الماضية ، والأجيال الخالية ؛ والممالك الداثرة) وفيما تلاه من الكتاب الأوسط ، وفى كتاب (مروج الذهب ، ومعادن الجوهر) وفى كتاب (فنون المعارف ، وما جرى فى الدهور السوالف) وفى كتاب (ذخائر العلوم ، وما جرى فى سالف الدهور) وفى (نظم الجواهر ؛ فى تدبير الممالك والعساكر) وفى كتاب (الاستذكار ؛ لما جرى فى سالف الأعصار) الذى كتابنا هـذا تال له ومبنى عليـه . وغيرها من كتبنا .

وأودعنا كتابنا هذا لمعاً من ذلك ، استذكارا لما تقدم من كتبنا منبهين على ما سلف من تصنيفنا .

وقد كان سلف لنا قبل تقرير هذه النسخة نسخة على الشطر منها ، وذلك فى سنة ٣٤٤ ، ثم زدنا فيها ما رأينا زيادته ، وكمال الفائدة به ، فالمعول من هذا الكتاب على هذه النسخة دون المتقدمة

وكان فراغ على بن الحسين بن على المسعودى من تأليف هذا الكتاب بفسطاط مصر سنة ٣٤٥ للهجرة فى خلافة المطيع . والملك على الروم قسطنطين ابن لاون بن بسيل ، وهى سنة ١٧٠٢ لبختنصر ، وسنة ١٢٦٨ للاسكندر بن فيلبس الرومى ، وسنة ٦٧٣ لأردشير بن بابك ، وسنة ٣٢٤ ليزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز ، آخر ملوك فارس ، والله ولى التوفيق

تم كتاب التنبيه والاشراف ، بحمد الله ومنه ، ولطفه ويمنه ، والحمد لله وحده

وكان الفراغ من هذه الطبعة فى اليوم الثالث من جمادى الآخرة من سنة ١٣٥٧ هجرية (بدار الصاوى للطبع والنشر والتأليف) بشارع درب الجاميز رقم ١٠٣ بالقاهرة

موضوعات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس الاعلام

(ب)

(ح)

(خ)

(غ)

(ك)

(فهرس الجماعات والفرق واللغات)

فهرس الاماكن والبقاع

(ب)

(ك)

تم فهرس الاماكن والبقاع وبه تمام فهارس الكتاب
والحمد لله على تمام نعمته بيده مقاليد كل شيء
إليه نلجأ وبحبله نعتصم وعليه نتوكل
وهو نعم الوكيل


Bibliotheca Alexandrina
04052249